

Princeton University Library



32101 076415700

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

كِتَابُ مِيزَانِ الزَّانِ

تَأْلِيفُ

الأب يوحنا اوسابيوس نيرمبرك اليسوعي

IMPRIMATUR

† F. LUDOVICUS ARCH. SIND.

كِتَابُ مِيزَانِ الزَّمَانِ

تأليف

الأب يوحنا اوسابيوس نيرمبرك اليسوعي

واستخرجه من اللغة الايطالية الى اللغة العربية الاب بطرس فوماج اليسوعي
للمسل الرسولي في سوريا

طبعة ثانية مصححة



مطبعة المرسلين اليسوعيين في بيروت

١٨٨٣

بسم الاب والابن والروح القدس
الاله الواحد

الحمد لله الذي منح الانسان ميزان الحكم العقلي لادراك صحة
الاوزان . وأمدّه بنور المعرفة والبرهان الجلي ليفرق بين عظمة
الامور الابدية وخاصة اشياء هذا الزمان . حمداً يصنعنا عن الضلالة
والزيفان . فيما يتخير بين ربح وخسران ورجحان ونقصان . ويرفعنا باعتبار
الامور الابدية من حضيض الاشياء الزمنية الى اوج الجنان . ويكسونا
رداء المحبة ويسرلنا بنطاق الرجاء بنور الايمان آمين

وبعد فانه لما كان اجل ما يعتبر في إصلاح حياة الانسان . وافضل
ما يلزم لصونه من الضلال والخطا والطغيان . معرفة ما بين الاشياء
الزمنية والاشياء الابدية من البون . وعلى هذه المعرفة قد تأسس احتقار
اولياء الله جميع ما يتعلق بهذه الحياة وهذه الحياة عينها . واعتبارهم ما
يختص بالحياة الاخرى والاشياء الابدية الفضلى . وبناء على هذه المعرفة
حكم الابرار المجاهدون . والشهداء والمترفون . والناسك والصديقون .
باحترار كل ما هو زائل مع الزمن . واعتبار كل ما هو ثابت الى الابد .
وجب لذلك ان يوضع افادة للشعب المؤمن اولا هذا الكتاب الجليل .
المسمى بميزان الزمان وقطاس ابدية الانسان . تضمنه ايضاح هذه
المعرفة الضرورية جداً لثنيه كثيرين من الذين لا يفتكرون في ماهية
الامور الابدية . ولا ينتبهون ايضاً الى بطلان الاشياء الزمنية . فدونكه

ايها المؤمن الحبيب إنه بمنزلة منبه ضروري يصونك من الضلالة
 والانخداع فيما تلتزم بممارسته والتصرف به من الامور العالمة ويقتضيه
 خلاصك وغايتك السعيدة من اعتبار الامور السماوية . فقد حوى من
 المضامين المؤثرة ما ثبت ببرهان التوكيد والتحقيق . ومن الاخبار الرهبة
 المرعبة ما أيدته ادلة جهود التصديق . فهو الدرّة التي يجب ان يُباع ما
 سواها لتبتاع . ويُهمل ما دونها لتذاع . وانه لأربح تجارة للخاطي . في
 دعوته وعودته . وانتهج طريق التائب في نموه بكمال توبته



المقدمة

في مؤلف هذا الكتاب واكتشف عن دعوته وقداسته سيرة

اعلم ان مؤلف هذا الكتاب هو راهب يدعى يوحنا
اوسابيوس نيرمبرك وهذا قد ولد في بلاد اسبانيا من والدين غسافرين
سنة الف وخمسة وتسعين للتجسد الالهي . واذ بلغ من العمر اربعا
وعشرين سنة دخل الرهبانية اليسوعية سنة الف وستمئة واربعة عشر
للمسيح . وسبب دخوله هذه الرهبانية أنه لما قصد السلوك في طريق
الكمال المسيحي وحسن العبادة التجأ الى والدته الله المجيدة التي كان مخلصا
لها العبادة العظمى طالبا من مرشديه الالهية ان تهديه للطريق التي تريد
ان يسلكها . فاستجابت التول الطوباوية دعاه واشارت اليه بخطاب
سري شمريه باطنا ان ترهب في الرهبانية الملقبة باسم ابني القدوس . تلك
ارادة الله بك . فقصد الرهبانية المذكورة وقبل في دير المبتدئين

غير ان الروح الشرير اذ راي في حقل الرب هذا الزرع الجيد
افرغ كل جهده وجده في استنصاله وقلمه . وذلك ان ابا اوسابيوس
المذكور لما علم بترهب ابنه . التجأ حالا الى اكاابر الدولة وحكام المملكة
والى قاصد الخبر الاعظم . مدعيا بان الرهبان اليسوعيين غرّوا ابنه
واجذبوه الى رهبانيتهم . مكررا وتحيلا . فامر قاصد البابا بان يرجع
اوسابيوس الى بيت ابيه ريثما يتفحص عن حقيقة دعوته . فعاد المبتدئ
الى بيت ابيه . وأخذ حثيثا ابواه يخاطبانه ويغريانه بكل ما تستطيع ان

تفتحه المحبة الطبيعية . ليناً بذلك قلبه ويعطفاه الى قبول طلبتهما . بل تضرعا اليه بدمع مخيم لا يحل بالموت عليهما نرهه . ثم كشماله عن إرثه الوافر والرب العاليه لساميه المعدة له ان مكث في العالم . غير ان هذه الامور جميعها لم تؤثر في قلبه . ولم تقطعه أصلاً عن قصده . فلما رأى ابواه أن جميعها حبط وقصدهما لم تنجح وتحققا دعوته من الله هي . ارتضيا بها واذنهما عاد اوسايوس الى دير المبتدئين

وحينئذ شرع يمارس رياضات الرهبانية بنشاط عظيم ولا سيما رياضات احتقار النفس . وقد حطم طمعاً باكتساب هذه الفضيلة طامخ الدير اربعة عشر شهراً في احقر امور حرفته لانسان ثانياً رثة مكشوف الرأس وذا خرج الى المدينة لبتاع لوازم حرفته جعل على رأسه غطاء حقيراً . وكان الرئيس قد امره بالطاعة لاحد مستدنين . فبدأ اوصى يوماً اوسايوس بالأيكاه من دون الاستخاره منه . فاث المجاهد عشرين يوماً صامتاً لا يطق بكلمة لا في اعترافه . وبعد مرور سنتي التجربة . نذر الدور الرهبانية وأرسل الى لمدرسة ليتمهر في العلوم الفلسفية واللاهوتية وقادر اجتهاده في اكتسابها رغبة حزينة وشوق مبرح الى اكتساب الفضائل . وذلك بممارسة رياضات الصلاة العقلية والامانات . لانه في كل مدة اقامته في المدرسة كان يصرف كل يوم في الصلاة العقلية اربع ساعات . اما لما انقضت هذه المدة فنحصر لهذه الرضاة كل يوم سبع ساعات ولم يكن ينام سوى ثلث ساعات او اربع غير متجمع على

فراش ومع تماذي الزمان كان يتصر ايضاً من نومه هذا القليل . حتى غدا
لا يرقد سوى ساعتين او ثلث ساعات لا خير . ولم يكتب بذلك بل راد
عليه تقشعات شديدة صارمة . فكان يجلد جسده التي بحبال ذات
اشواك حديدية . ومرت كثيرة كال يابس السمح . ويضع على صدره
وساعديه وباقي اعضاء جسده سلاسل حديدية ذات اشواك . وكان
يضع في احذيته تحت رحليه حصاً رفيعة قصده بذلك ان يشعر في كل
دقيقة بالماء . وكان يواظب على الصوم في يرايمونات اعياد العذراء المجيدة
كلها ويقتصر من اناكل والمشرط على الجبز والماء . وكانت قساوته نحو
نفسه لاقمة عن ان يبدي للجمع حسن المونة والحلم

وقد درس في المدرس عشرة سنة العلوم الطبيعية واللاهوتية .
وكان طلبة كثيرون يتحجرون اليه ويستشردونه في تدبير انفسهم .
وكانت الحكام والاساقفة ايضاً يقصدونه طلباً للارشاد وكانت الملكة
نفسها انتدبه لذلك . ومرت كثيرة كال يطوف الجبال وتقرى ليعلم
المساكين . ومن اعجب الامور انه مع هذه الرياضات المتصلة الشاقة
والاشغال المتصاعدة مترائدة . استطاع ان يؤلف واحد وخمسين كتاباً في
كل نوع من انواع العلوم . ومن ثم زعم قوه ان العلوم محت له من الله
بفيض خصوصي . فعد هذه الجهادات والاعمال جميعها . احب الله
ان يتخص عده ويبتلي به ويزيد فضائله كما لا يارض اليمة احتمالها بصير
عجيب مدة ست عشرة سنة قبل موته المقدس واستأثر الله به في سنة

الف وستائة وثمان وخمسين للتعبد الالهي . وقد ذكر المؤرخون اشياء
كثيرة فائقة الطبيعة شرف الله بها عبده المذكور في حياته وبعد مماته
اصاً ونحن نأل الله الذي من علينا بهذه النعمة الخارجة . اعني بها
تعليم هذا المعلم البليل الفضيل . ان يمين عليا ايضاً في حالة قرآنه بنعمة
اخرى باطلة تجعله مثراً فيسا ثمار المقصودة به ثمار الزهادة في الاشياء
الدورية . والجدة في اكتساب الخبرات الروحية والسموية . حتى اذا
ما اتينا بهذه ثمار المفيدة . يكون المؤلف المذكور تضاعف الثواب
احفظهم . ولنا شركة الخط لوسيم . نعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد
الى الابد آمين

المقالة الاولى

في تمييز ما بين رمزي والابدئي وهي ثلثة عشر فصلاً

الفصل الاول

في الزمني والابدئي

انه لكي نحبس استعمال الاشياء ونصرف بها على حسب الحكمة
و لصواب . يجب ان يتقدم الحكم الواجب عليها وان نسبق ونعرفها
بموجب ذلك الحكم . والحال ان معرفتنا الاشياء في هذا المسكن الارضي
هي ناقصة جداً وهيئات أن تبلغ الى المسكن السماوي الابدئي الذي قد
حلقا لاجله . ومن ثم فلا نحب ان لم نقل الا قليلاً جداً الاشياء المتقدمة
من الحس البشري بعداً عظيماً . وتعلم علمائنا انفساً نظراً الى الاشياء
لزمنية نفسها على جهل حسيم وعلى بصائرنا للحجاب عليل . وكيف اذا
يمكننا ان ندرك امور الآخرة ان كنا لانقل هذه التي نحن متصرفون بها
ومتقلون فيها وبيها . والسبب الذي من اجله ينبغي الالتماس بافراط
الرغبة والاهتمام الغنى والتعم والكرامات وبقية خيرات الارض هو
لانه لا يعقلها . على ان العالم كما قال حسناً وصواباً القديس بطرس الرسول
للقدس اكليمنضوس الخمر الروماني يشبه مسكناً مفعماً دخاناً . فكما ان
الذي يسكن في مسكن هذه صفته لا يبصر ما هو خارجة ولا ما هو داخلة
لما يحول بين نظره وبين تلك الاشياء من الدخان . كذلك من يستوطنون
هذا العالم . فاهم لا يطلون ما هو داخل العالم ولا ما هو خارج عنه .

فلا يحيطون علماً باتساع الأبدية الغير المحدود ولا اختارة الأشياء الزمنية .
وهكذا يحملون الأشياء السماوية والأشياء الأرضية على حدٍ سوى . واذ
لم نسقوا على حقيقة الأمور فتراهم يغيرون موارد حكمهم العقلي فيزنون
الأشياء الأبدية بميزان الأشياء الزمنية ويثنون الأشياء السماوية الراهنة
بثمن الأشياء الأرضية لرثالة . وهذا الضلال الفظيع قد لحقته جيداً وأشار
إليه حنا القديس غريغوريوس المعظم إذ شق على حمل الناس الدين
يمدون منى هذه الحياة وطناً ويحملون ظلام الحكمة الكاذبة نوراً
ويحتسبون هذه القربة العابرة مكسباً ثباتاً ومن ثم يعتبرون الشرخيراً
والخير شراً

ار الملك والنبي داود طلب الى الله ان يمنحه معلماً يعرفه ما هي
الحيرات الحقيقية قائللاً : من يرينا الحيرات . وانما قال هذا لانه لم يجد
احداً يعرف لا العالم ولا الحيرات التي فيه ولا الوحودة تحت يده . وقد
يتم ما لا كثر من ما قيل عن الاسرائيليين انهم كانوا مالمكين المن
وحاميتة في ابيهم وناظرين اليه باعينهم ومع ذلك فلم يكونوا يعرفون ما
هو المن . وكانوا يسألون عنه متفهمين قائلين ما هو . فها نحن على اسواء
حالٍ منهم . وذلك لاننا ملهم لا نبحث ولا نفهم . طيت شعري من
ذا الذي يسأل ما هو الفنى الذي من اجل اكتسابه يرمى الناس بانفسهم
في الوف الوف من مخاطر الموت . وما هذه امراتب وانوظائف التي
تُوعب قلوب البشر عجباً واحداً هذا مقدارها . وما هذه اللذات

التي من اجابها تحمل الانام اجسادهم وينفون حياتهم ويقصرونها . ما هي
 هذه الخيرات العلية التي لا يمكن ان نفوز بها الا في هذه الدنيا وتضمحل
 سريعاً حال ولوجنا الاخرى . كما اضحل لمن وزال حينما دخل الاسرائيليون
 ارض الميعاد . ولهذا دعاه السيد المسيح في سفر الرؤيا مناً محمياً . لانه
 كان فيما بين ايدي العبرانيين ولم يعرفوه . فعلى هذا النحو نرى اشياء
 هذه الحياة محجوبة عن الحس حتى ولو اننا نسمها بايدينا مع ذلك لانها
 ونبيل نظام شها ونصنع لاجل الرغبات ما كان ينبغي ان نفعله لاجل
 الابديات فنستعظم هذه ونستحق تلك

فليق اذ الانساو ونعم انظر ويعقل جيداً ما بين الاشياء الزمنية
 والاشياء الالدية من الخلاف والوب لكي بقدر الامور حق قدرها
 فيحقر ما يزول مع الزمن ويستهزأ بدوه الى الابد . على ان هذه الالدية
 هي التي يحب تليان نفعها في زمن حياتنا هذه العارة . لكي نكون لنا
 الرغبات نفسها مدرجات مؤدية الى ادراك الابديات . والحال انه من
 المستحيل ان نفور بهذا الغرض ان لم نعرف هذين الامرين اعني هما
 الرغبات والابديات . هذا وان ذلك بين المعطى للامرائيين قدما حين
 كانوا في القفر متغربين كان دمر اذ الا على خبرت هذه الحياة التي نحن
 فيها متغربون . انى ان ننتهي الى ارض ميعاد السعادة الالدية التي نحن
 بها موعودون . ولذلك كل المن يتقر بالكلمة ويتلاشى كما يحدث لاشياء
 هذا العالم كافة . ولم يكن يسلم من الفساد الا ما كانوا يلتقطونه بقصد

ان يحفظوه ليوم السبت الذي هو رمز احد الابددي . فقد كانت نية
العبرانيين هذه في التقاضهم اياه تقيه شر الفساد كما لحظ ذلك المعلم
القديم بلوديوس . فكم يحب لينا ان رفع الحائط الى اعلا ، ووجه بيتنا
الى الابديات لكي نتمتع من هذه الرميا . واستعمالنا اياها بلغ الى
الابديات . وهكذا يصير عظيمًا راهبًا ما هو حثير زائل

قد ذكر من قوه من الفلاسفة الذين نحووا عن هذه الحياة منعا من
عن الحياة الابدية . اهم قد عثروا على نقص كثيره في هذه الحياة وقد
عين منها الملك واليرون انطويديوس انيسوف ثلثا اي انها قصيرة
ومتغيرة وهاسده . وهذه اعراض النقص يد جاء عاده صادقه عنها المن
الامرائيلي لانه كان حبا صغرا جدا كما يشهد به الكتاب المقدس .
وكان سريع التغير والفساد . لانه لطر الى البعض كان يتسع
متحدلا . وبالطر الى الآخر كان يصغر متزدا . وبالطر الى الجميع كان
يحول سريرا . ولم يكن يستقيم على صحه يوما واحدا بل كان ينتن .
ورد على كل هذه الاعراض حريل النعب الذي كان يقتنيه تناولها
وكله . لانه كان ينبغي اولًا ان يستحق في هارو بماء عظيم الى ان
يصير ناعما ثم يطبخ تنعب اخر . فمذه هي صورة خيرات هذه الحياة التي
لا يمكن ان نحصل عليها ونتمتع بها الابديا وكبحر حسيم . فضلا عن انه
لم يكن كل الاسرائيليين يستعديون المن ويذوقون فيه طعم ما كانوا
يرعبون . وان هم الخطاة كان يتخذع في كل المن . وهد يعرض لنا

حينما تغير الرديلة ذوقنا الروحي وتقدم كما سنورد ذلك فيما بعد . نعم
ان منظر المن كان جميلاً لانه على ما قال مفسر الكتاب المقدس كان
يشبه البور المتلألئ وهذه الحال هي حال حيرات هذا العالم . لاسها
تتلا لألامعة بحارجها ، لاسها بالحقيقة اسرع من الزجاج عطياً وهي كتور
كادب تبهر منه الاعين وتخدع لباصر . وتظهر لسانحن المحتدين في
طلبها كلها خيرات عظيمة ابدية

فلهملن الظاهر وانغادرن الوجه الخارج . وللمن الطار في حوهر
الاشياء وحقيقتها . فتجد هذه الخيرات الرمية كلها شتاً طغيماً بل دون
الطفيف . ولها غير ثمة لكها عارة رائلة . اما الخيرات الابدية فمجدها
راهمة باقية وعلى الاحمال نجدعاً ابدية ثامة . وفي هذا قال القديس
عريغوريوس في الفصل الثاني عشر من كتابه في الادبيات . ان ما ليس
له نهاية هو عظيم تغير هاية . وما له نهاية هو يسير

فلنبثثن بارالة الرقع . ولنعكشن عن البون البعيد الذي بين
خيرات السماء وخيرات الارص من حيث ان هذه ابدية وتلك زمنية . ثم
بعد ذلك تكلم عن خسارة كل خير زمني وعظمة الخير الابدی . وامري
انه لقد احسن فيما قال احد الفلاسفة انه ليس شيء اوضح من النور
ولا يمتاض عنه . اذ قد توجد اشياء كثيرة تسنين للارص واضعة
وليست كذلك . ومن جعلتها الزمن والابد . ولذلك سنبذل المجهود في
ايضاح هدين اشيين بواسطة نور الايمان وتعليم الاباء القديسين

الفصل الثاني

في التامل في الابدية حريل القاعة

لتعبر اسيرة واصلاحها

اعلم ان القديس اغوستينوس في تفسيره المزمور السادس
والسبعين دعا التفكير في الابدية فكراً سقيماً . لا ذكر الابدية يورث
القديسين فرحاً وابتهاجا والخصاة خوفاً وارتخافاً . واما كلا الفريقين يحكي
من هذا التامل نوعاً بليغاً . فان ذكر الابدية من شأنه ان يحث
الانسان على ممارسة الافعال السامية واحترار كل اشياء هذا العالم
الحسية الفانية . فهم اذاً بنا لايضاح دأه الرمني وغروره وحساسته .
ونزسخ في ذهن المتامل صورة الابدية الذي يجب ان يحدق فيه نظراً مع
المرتل ونعلق به فكراً . فهذا هو الفكر الذي كان يحول النبي رعباً
جسماً حينما كان حاططاً . وهو الذي حصه ونشطه الى التوحي القداسة
حينما حصل قديماً . ومنه اي من فكر الابدية اجتنى لنفسه فائدة
لا توصف . ومن ثم تراه يكرر ذكره في ترنيم مزاميره مرات عديدة . لا
ضمن مزاميره فقط حيث يورد كثيراً هذه الالفاظ . دواماً الى الابد
ومن الدهر الى دهر الدهرين . بل في عوائدها ايضاً . ومن ثم
لم يكن عنده عنوان اكثر استملاً من هذا العنوان وهو الى الانتهاء او الى
الاقضاء . مشيراً بذلك الى الابدية والى انه في حين تأليفه هذه المزامير

كان يتأمل الابدية التي في هذه الحياة

فكان اذا انشبي يتأمل الابدية لئلا وهما زائرا وهي التي كانت تصطره الى ان يرفع هتافه الى السماء والى الله . هي التي كانت تصيره اصم بين الناس وتحمل على ادنيه وقرأ . هي التي كانت تحدد دمه وتخلص معاصله عن الحركة وترد فرائضه . هي التي كانت تخرج له افسدسيا مرأ في مذاق لذات هذه الحياة . هي التي كانت تجعله ان يحصن صميمه ويؤخذ به بشد المواخذة والتكبل . واحيرا اقول ان تأمل الابدية رده الى التوبة بتغيير سيرته تدبر انحياء . واصبر في قلبه نشاطا عظيما في العادة . وجميع هذه المواضع المعادرة من ذكر الابدية تراها في المزمور السادس والسبعين حيث يتغوه هكذا . تمت عينا في فادرك المحاسن اضطرت ولم انكاهم ثم يورد حالا سبب ذلك قائلا . تفكرت بالايام القديمة وندرت السنين الابدية . وهذا هو الذي صيره ان يسير متواترا بممارسة العبادة . هذا هو الذي كان يردده في عقله ايلالا ويستغفره في خيلته صباحا ويكرره بعد ذلك مرات كثيرة . وقد كان هذا الفكر على نوع ما متجنا ومستمر في عقله مترددا فيه اكثر من تردد انفسه . وكان يطلع مرتجفا عند تأمل هاتين القنيتين وهما ان خطي سيكون اما الهلاك الابد في دركات جهنم اما السعادة الخالدة في ملكوت السماء

فلا يتحجب احد من ان مثل هذا الملك القديس المظفر كان يرتعد عند ترديد هذ الفكر العظيم في عقله . اذ ان حقوق الهي نفسه علن

ار اعلی مابک العالم تعی وترتجف عند الطار فی طریق الابدیة .
 حیث انه یقول هکذا انحب اکام العالم من قبل مساعی ابدیته ٣١ ١٦ .
 وقد ذکر عن القدیس یواصف انه لما تصور فی عقله من جهة الابدیة
 فی حتم . ومن اخری الابدیة فی السماء . حارمه الخیر واعتراض الدهول
 وحارت قوته ولم یقو علی الهوص من قراشه . وصار کمن اصکته مرص
 مستصیل . بل ان النلاسفة الوثنیین انفسهم کانوا یرتخفون من فکر
 الابدیة . ولما ارادوا ان یصوروها استعملوا رموزاً وتشابیه محیفة مرهبة .
 فبعضهم صوروها بصورة اشر الاطاعی نوعاً ای التي تجرد فحیجها تقتل
 البشر . وهکذا القدیس یوحنا لدمشی رسم دوام الابدیة بصورة نین
 مخفیة فانظر فاه علی شفاء حفره عمیقة یرصد الناس لیلتهم احیاءا .
 واکرون یصورون الابدیة بصورة هاویة عمیقة مریة حدالها عند
 مدخلها اربع درجات . الدرجة الاولی من حدید والثانیة من نحاس
 والثالثة من فضة والرابعة من ذهب وعلى هذه الدرجة اطفال وقوفا
 یلمبون بملاعب مختلفة . وهم غافلون عن خطر السقوط فی هذه الهاویة
 وایس المراد بهذا المثل بیان الفرع الصادر من تأمل الابدیة فقط بل
 اظهار تفاقم جهل البشر ایضاً من یتنزهون ویضحکون ویمزحون فی
 امور هذه الحیاة ولا ینتصرون انه قد یمکن ان یلقوا دموماً فی هویة
 جهنم . وبخلاف ذلك کال المرتل یعد من قل الله الذین یسامون بین
 هذین الحذین الابدیین . ای الذین تغوص عقولهم فی سبات التأمل

في ابدية السماء وابدية جهنم بأنه معظمهم اخفوه حمامه من قصة ذات اصول من ذهب وذلك لان السيرة الروحية ليست هي قائمه في ان نضع خيراً فقط . بل تقتضي ايضاً ان نحتمل الاسواء التي تأتيها من قبل الناس . وهذا مثلها النبي يا لاشياء الاكثر ثمناً واعتبراً عند الناس سني القصة والذهب . ولكن ما كان عالماً احمل الشرا صعب من فعل الخير . وبالتالي افضل استحقاقاً ان كلاً الامرين جرباً لا الشرا . قل المرئى ان المناكب من ذهب ولا حجة من قصة . وقد احتب ذلك يعقوب ابو الاسباط خيراً عظيماً واحصه باسمه ايضاً قائلاً انه يستريح بين الحديد . فكانه يقول انه ستمثل بتأمر حد العقاب الابدى وحد السعادة السرمدية

الفصل الثالث

في ان ذكر الالديه يؤثر في الاساس اكثر من

ذكر الموت

انه وان كان ذكر الابدية وذكر الموت جزئياً للاعتبار والمنفعة . فذكر الابدية اشد تأثيراً وفاعلية واعر انما اى افعالا مقدسة . لانه انما ذكر الالديه حمل العذارى الى حفظ بتوليتهن . والنساء الى ممارسة تقشفات شاقة . والشهداء الى مكابدة عذابات قاذحة . ولم يحركهم الى ذلك الخوف من الموت كما كان يشجعهم اليه الخوف من الالدية والحجة الالهية

ولما كان الفلاسفة الوثنيون لا يترحون نظيراً لحياة باقية بعد الموت .
فكانوا بقوة ذكر الموت يصدون عن اباطيل العالم ويحترقون عظامه .
وكان يدعوهم اليه مقتضى حكم العقل النطقي والفلسفة لا غير . ولذلك
أوعز ابيكتيوس الفيلسوف ان اذمنوا فكر الموت . واعتقب قوله قوله
ان هذا الفكر يمنعكم من ان تفكروا ابدًا وفكراً ادياً او تشتهوا شيئاً
بافراط الرعدة والشوق . وقال افلاطون انه بعدد ما يتعمق الانسان في
التفكير بالموت ويتوغل في التأمل فيه يقدر ذلك تغر حكمته وتوسع
ولذلك كان يامر تلاميذه ان يعيشوا حافين . مشيرين بذلك الى انه في مدة
سمرنا في هذه الحياة يجب ان يكون المرض اي الموت مادياً على الدوام
نصب عيناً . الا ان المسيحيين المعتقدين بابدية الحياة الآخرة فيجب عليهم
ان يضيفوا الى ذكر الموت ذكر الابدية . اما كون ذكر الابدية اكثر تأثيراً
من ذكر الموت فذلك يتضح مما سبق الزماني والابدي من البور والخلاف .
وانما ما كان يوجب الفلاسفة الاقدمين خيفةً وارتحافاً عند ذكر الموت
كان هذا لا غير . وهو لانه بالموت كان ينهي كل ما لهم في هذه الحياة
الرائقة . مع انه بالنظر الى الآخرين قد كان الموت شيئاً شبيهاً لانه به كانت
تنتهي كل بلايهم . فان كان الموت من شأنه ان يرهب ويرعب لانه
يسببنا جميع الخيرات الارضية التي دأبنا ان نسلب منا انواع شتى . بل
ان تزول داتياً قبل روال من يتلکها وهي باقصة ومفهمة خطراً وسجساً
ولهذا اشتاق الكثيرون بافراط الشوق الى لموت لانهم كانوا ينفذون

به من البلايا الارضية . مما الذي يجب ان تفعله فيا الاندية التي ترىنا
خيرات لاقباس لعظمتها ولاحد لدوامها . وتوعدنا بشقاء لا يحول ولا
يزول

انه لما رام زيوس القلوب ان يحد واسطة فاعلة مؤثرة لتهديب
حياته وصبط حركاته الحسية وحفظ واحباب القليلة ذهب الى صهر
ما ليستشير فيه . فقال له الصم اذهب واسخر الاموات وما اشاروا
عليك به فاعنه انما تهذب سيرتهم . لانك اذ اريت وتاملت حال
الأموات انهم قد عدوا كل ما كان لهم وبروا حيلهم ذات حيل
سعادتهم . لا بد من ان تستخف بالخبرات الزائلة وتعيش نفسك من الافئدة
بها . ومن ثم قد اعتاد قوم من الفلاسفة ان ياكلوا ويشربوا في جماعهم
الموتى . لكي يكون ذكر الموت ووجوبه . ديبين على الدوام باراء انبيهم .
وهذا كما يوايد اودو كل شهوة عانية . من كبراً من ملوك المعظمين
اتحدوا ذكر الموت دواء لمزتهم الارضية . حذر من ان تترهبهم نعمتهم
وسعادتهم فتفسد سيرتهم . وقد ذكر عن الملك فيلوس المكدونى ابي
لاسكندر الكبير انه امر احد خدامه ان يكرر له في كل صباح ثلث
مرات هذه الاقباط اذكر يا فيلوس انك اعشر وانك مالموت ترك كل
شيء ولا بد منه . ولذلك الملك مكسيميليانوس الاول صنع نعتاً لنفسه قبل
موته باربع سنين . وحيثما توجه كان يتقله معه . وذلك لكي يستمع في نفسه
على الدوام صوتاً غصيداً مخضوفاً يقول له بلسان حاله اذكر انك ستموت

لا محالة وانت تفارق كل شيء . اما ملوك المشرق فمن جملة اعلام عرثهم
 الموكية كان لهم كتاب من ذهب يحملونه بيدهم الشمال عنوانه . البر .
 وكان ذلك الكتاب مموناً تراباً وغباراً . وكانوا يشيرون بذلك الى ان
 الانسان مات والى الحكم الالهى القديم الذى قضى به سايه . انت
 تراب و اليه ستعود . محققاً بهم بحكمة اخترعوا شكل هذا الكتاب .
 ايداً ناعماً يحويه ذكر الموت من المصح والمناجاة بانه مدرسة نصابها من
 الفضائل والحداثة . وفي كور ورق الكتاب من ذهب وحمله باليد الشمال
 اتى هي الاقرب الى القلب سر . والدليل فيه على وحب اطباع هذا
 التعليم السكى القوي في القلب وعليه احتوا اذ عنوانوا هذا الكتاب
 بالبر . لانه من دايماً سر على ان يخطى مع علمه بانه سيوت لا محالة .
 . كذا ملوك الحداثة قد اجتهدوا في اوقاس هذا التعليم . لاسمهم لما كانوا
 يكون موكاً كل . من جملة عاداتهم ا هم يحملون وعاء مملوء تراباً وجهمة
 انسان ميت . فكانوا يعلمون مد الابتداء انه لا بد من ان ينتهي ملكهم
 وينت . واقول اخيراً ان الفلاسفة جميعهم قد قرروا هذه الحقيقة . بل
 يسوع لما ان يقول ان الفلسفة كلها هي الضديد بالموت

والابدية هي مادة للتعلف اعظم جداً من الموت . لان العذاب
 الجهنمي الابدى من شانه ان يربنا ويخففنا خوفاً اشد بغير قياس مما
 يحسد روال اعظم ممالك العالم العتيدة ان تنقرض سريراً . فان دوام
 الشر وادبته اشد : أعب من سرعة روال الخير . وكون النفس غير قابلة

القنأ هو امرٌ اعجب جداً من كون الحسد عتيداً ان يموت . فمن اجل ذلك
 على المسيحيين ولاسيما الذين يرغبون الصكمال ان يحسنوا معرفة الابدية
 افضل من أن يتعمدوا الخوف من الموت . ولقد كان يجب أن نردّد
 دائماً في ذهننا هذا الكلام المريع الابدية الابدية . وانك سوف تموت
 ولا ريبه فيه وليس هذا قط بل انه بعد الموت تنتظر الابدية . فتذكر
 اذاً انه توجد جهنم ولا انتهاء لها . وانه يوجد محد ابدى ايضاً . فلا حرم ان
 اعتقادك بابدية المحد وابدية العقاب المعدتين لحافظي الناموس الالهى
 ومحافظيه وتذكرك ياها بختانك على حفظ الناموس افضل خثماً مما يمكن ان
 يحثك عليه التامل في سرعة زوال خيرات هذه الحياة . وردّد اذاً في
 ذهنك ذكر الابدية وليأخذ صوتها في مجامع قوادك . وهذا قد اعتادت
 البيعة المقدسة ان تذكر الاساففة عند ارتسامهم بذلك قائلة لهم تذكر
 الايام القديمة ولا تنس السنين الالسة . ولما رقى الخبر الرومانى الى درجة
 الحرية العظمى يحرق امامه احد الاكليريكين قاتلاً من القطر قائلاً
 هكذا يقضى محد العالم وسلاشى . وكل الغرض من هذه العادة اي
 احراق القطر ناراً عيني الحر الاعظم ان يتذكر لبيب النار الابدية .
 وقد ذكر عن البابا ريتنوس الخامس انه امر بتصوير صورة رمزية شامها
 ان تشخص ناراً عظيمة ملتهبه يعلوها تاج ناروى وتاج ملوكي وقبعة
 كرسال . ويحفل فيها للرائى ان الكل يحترق ويتحول الى رماد سريراً .
 ولعل بذلك الى اهم ان لم يقوموا باحباب وظائقهم حق قيام يحرقوا عملاً

قليل في جهنم خالدين فيها . وقد اردت الخبر المتقدم ذكره ان تكون هذه الصورة نصبت عينيه على الدوام

ويجب ان تعتبر الان ان اسم ايساخري الذي باركته يعقوب ابوه اذ ارتاح الى اوسط الحدين المتقدم ذكرهما اعني العتاب الابدي والمحمد السرمدى دليل على من يكون متصفا بقوة ذاكرة . ويطلق ايضا على انساى ازمع ان ينال ثوابا عبادا . وهذا الاسم السرى الرمزى رمى الروح القدس ان يحرض ايساخري على ذكر الاجر الابدي . ولقد امر تعالى اسمه بان يكتب اسم ايساخري حفرا في حجر الكر كهن الذي كان يحملهُ الحجر الاعظم في وشاحه وذلك لكي نفهم ما احب هذا الذكر الى الله واقوده .
 انا . وقد اعلن الله الرسول يوحنا الانجيلي ان هذا الحجر كان من قوسهم وأسس المدينة السموية . وقال القديس اسكندر ان هذا الحجر يدل على ذكر الابدية التي هي اخص اسس لسا الكمال الانجيلي جميعه . ولعمري انا اذا مضى النظر في خواص هذا الحجر يستدل به على ذكر الابدية وعلى معرفة الخبرات الناجمة لناعى تاملها . فاعتبر اولاً ان حجر الكر كهن يصير حاملهُ ساهراً مستيقظاً . والحال انه ما من شيء من شأنه ان يحمد اكثر تيقظاً واحتراساً من التامل باننا ساتورين هذين الحدين . اعني هما المحمد الالهي والعداب السرمدى . كيف لا ولا يمكن ان يستحوذ العاس على من يجوز وادباً عمقاً حذاً من طرف الى طرف اخر من فوق جسر من خشب عرضة نصف قدمه لا غير . وتصدمه رياح عاصفة هاتة

من كل جهة . ويكون هو في كل دقيقة على وشك السقوط وفي خطر
المسوط في تلك الهدوية المحيطة . فتخطر هذه الحياة ليس بأقل من الخطر
المذكور لأن الطريق المؤدية الى السماء هي ضيقة جداً . ورياح التجارب
شديدة جداً وتعصف من كل جانب . واطوار اسباب السقوط كثيرة .
واضرار الامثال الرديئة وعثراتها عظيمة . وخداعات المشيرين مكرراً لا
تحصي . واعتبر ثانياً انه قد ذكر عن حجر الكركين انه ليس من خواصه ان
يجعل الانسان مستيقظاً فقط . ان الله يدركه الافكار الرديئة ايضاً .
ولست اعلم كيف يمكن ان يدهم من يفكر في الابدية فكل ما ردي .
وكيف يمكن ان يزد في عقله ذكر العقاب الابدي اعتياد يحكم به
عليه اذا رمى بخطية مميته رخي لنفسه الاعية لكي تتدبعر اللذات
المحرمة . اعتبر ثالثاً ان حجر الكركين يصون الانسان من السكر ويحفظ
عقله على حال صحة اصاحته وتميزه . ولا ريب انه ما من شيء يمكن عقل
الانسان شراً من هذه الحياة مثل ذكر الآخرة . اعتبر رابعاً ان
هذا الحجر علاج فعال لمن يتبع شياً مسموماً . لأن الحجر المذكور يبيد
قوة السم المميته . ولا علاج يلاشي سم الخطية كما الاشياء تامل الانسان
في العقاب المهنئي الذي يستحقه من احلها . او ذكر الملك السماوي الذي
يخسر بسببها . اعتبر خامساً ان الحجر المذكور يمكن محسن العقل . ولا
شيء أشد فعلاً وفاعلية لتسكين النشوى عن اشياء هذا العالم
ولكن شهوة الشح والمعرفة من التامل بالخيرات الابدية المعدة للمواضع

والمساكين بالروح . اعتبر سادساً أن حجر الكركن يوتي . صبا . هكذا .
 هذا الفكر العظيم فكر لابدية يتي الاعمال الصالحة بالخطب . لانه من
 ذا الذي يتامل بايمان حي ان كل الاعمال الصالحة وان تمت بمدة يسيرة
 وتنب وقتي تستحق محداً ابدياً ولا ينشط ادراك وينحمل الجهد في ان
 يعمل ويحتمل كثيراً من اجل الله . وبالعظمة الاعمال التي اصدرها هذا
 افكر اقدس اني . فكر المحمد الادي . ان انتصارات الشهداء .
 ربوات وتقصيات باقي القديسين صادرة عن هذ الفكر السماوي .
 دباله فكر مقدساً وباعد من حجر دمر يوتي الصالحين نوراً خلاصياً .
 ديشفي اسقام شفاء تاماً ويسكن هيجال الشهوات ويشم حدة الاميل
 ويلقي الخصب في قلوب المتواضعين الساترين في امادة بوقور افعال
 الفضيلة . فياليت المؤمنين يعصونه على مصاحف قلوبهم طبعاً لا ينجي .
 لانهم لو فعلوا ذلك لرأوا في سيرتهم تغيراً وتحسناً سرمدين وفي اعمالهم
 صلاحاً عجيباً . لانه ان كانت اواقف الاربع جزيلة التأثير في اصلاح
 سيرة الاناس فالابدية اكثر تأثيراً منها . لانها هي الابدية بتبرلة امر لها
 وتتضمن ما لباقي العواقب من التأثير والفاعلية

الفصل الرابع

في عظم شدة حال الانس لتسعى ادسية

انه قيل ان بشرع دليل ماهية الابدية الكلي الضرورة لتهدب
 السيرة . نكشف قليلاً عن حلال اني ادم بنسبائهم الابدية دهوراً

يرثي له . اذ انهم يتفاضلون معها مع انها تهتد بهم في كل دقيقة . وتقرب
من كل منهم كما قال احد الفلاسفة على دنى من قارب قوس . لانه انما
يعد بين الموت والذوق الا عرص دقة واحدة . وما بعد بين السان
سني الخلق والابدية الاخذ السيف . وكما يبعد الخندي عن نهاية حياته
الارشق سهم او بلوغ رصاصه . وما يبعد النص عن المشقة الامساة
اسجن . واحبباً كم تعد الابدية عن رحل متع صحة الجسم وعلى
حاسب من الموة . لاشك بعد الحياة عن الموت وهذا يمكن ان يفاجنا
بغثة في كل دقيقة في طرق محتمة . حثاً ر حياه الاناس ليست شيئاً
اخر سوى ملك خطر بشرع به على شفاء هوة لامية التي لا تدأكل
ان تستط فيها . فكيف اذا نعيش متغافلن عنها

وهذا قد اوضحه اندريس يوحنا الدهشقي بثل دقيق رقيق ضربه
في هذا الصدد . غير انه عن حال حياتنا تعبيراً مبغياً . قال ان رجلاً قرأ
هارباً من الوحش او حيد اقرب الذي صكر يهدده يرحف الحمال
ويسمع صمحه في الامداد . دوي . ويسا كالها . ما هكذا وهو لا يدري
ولا يظن ما يستهي اليه اذ هو سقط في حمرة عجيبة . ولحسن حظه
مذيده حالاً متمساً ما يتفق به . واذا ابعد علقث لشجرة نائنة في جانب
الحفرة فاستلث ما عصبها استلثا وثقفا . هذا لذلك روعة ومكث متعرباً
مسروراً نخاته على الخوامد كود من ذلك الخطر المربع . ثم انفت متفرساً
ياصول تلك الشجرة فابصر هناك خردين ضخمين جداً احدهما ابيض

والاحمر اسود وهما يقرصان اصل الشجرة حيثما بعير فتور . حتى كانت
تسعين وشيث السقوط في اسفل تلك الحفرة . فاحدق بنظره الى
عمق الهوثة . وادارتين مخيف تنبعث النار من عييه ويتصفع فيه
بنظر مريع . متوقفاً سقوطه لينتلمه حالاً . ثم صرف وجهه الى حيث
كانت الشجرة ثابتة . ورأى اربع اعاعي حادجات منها يسبحن اليه
بعضضنه ويدعه لدغاً مميئاً . ثم دفع الحافظة الى ورق هذه الشجرة فرأى
انها تقطر قليلاً من العسل . فمارأى الجاهل العسل خامرة القرح العظيم
والابتهاج الحميم وتغاضى عن تلك المخاطر المحدقة به من كل ناحية .
وشرع يعق من ذلك العسل السائل نقطة نقطة . غير مبالٍ بشمر الوحش
الوحيد القرم الذي ينتظره من علوه . ولا شراسة الثين الذي كال يترقه
من اسفل . ولا سم الافاعي المحدقة بحرسه . ولا بضغف الشجرة القريب
سقوطها . ودهل عن انه ان رلت قدمه انحدر الى اسفل الحفرة . وكان
اليسير من العسل الذي قد اتمك بأكاه كافياً لآن يلبيه عن جميع هذه
المخاطر . ففى هذه الصورة الرمزية رى حال الدين يتفاضون عن
الالاخطار المصمة بها هذه الحياة مهمكين في ضل لالت حواسهم
واعتبر اذا ال الوحش الوحيد القرم هو الموت الذي ينأهر
الانسان من يوم ولد ولا يزال كذلك الى يوم بأو أحله . اما الحفرة فهي
لعالم المملوكه من الشقاء والشرور . والشجرة هي مدة حياتنا .
والحر دان الالبيض والاسود اللذان يقرصان الشجرة هما النهار والليل

اللذان يمتلئان حياتنا شيئاً فشيئاً . والأربع الأفاعي هي العناصر الأربعة
 المتألف منها الإنسان . فحتى قوتي أحدها على الآخر ونقص عنها يهدم
 نظام جسدنا وانقضت حياتنا . والثنين الممثل والرعب هو أيدي جهنم
 القاعرة وأها على الدوام لتساع الخطاه . أما قطر العسل فهو لهو هذا العالم
 ومترهاته ولذاته . فالإنسان الآحق الغبي يتعصى ويتغافل عن هذه
 المخاطر العظيمة المحدقة به ويكسب على لذة وحيزة وقتية . ولئن كان عدد
 أخطار الموت بوزي عداد أساه وأوايه وكل ذلك ككافواه الأبدية
 وأبوابها . فترى الإنسان لاهياً لأنه بقعة واحدة من غسل الذات
 الأرضية وإن أزمعت أن تهوئه أحشاه وتزق ثيابه إلى دهر الدهرين
 فياتنقم جهل الشر وعنايته . أنه من دخل إنسان غافاً نضمت
 فيها شرك وأخفت مكاناً خفياً . إذا وطئ . أحداها سقط حلاً على
 سيوف وحرايب مرهفة أوفي فم تسن هائل . ترس . وري أساً الخرس
 قد دخلوا معه فسقطوا في تلك المكان ونقطعت أوصالهم وهلكوا
 ومع ذلك صل هو ماشياً . حاقها راكضاً متغاضباً عن خطر نفسه . حقت
 عليه كلمة التوبع ودعى جاهلاً غيباً . لعمر الله مات لأشد جهالة وعبادة
 منه . لأنك ترى صاحبك قد سقط في حسان الموت . وحارك قد
 استلته الأبدية . وأحلك قد دشوة في البهر البقع وحشوا عليه التراب
 وانت مع ذلك تستمر مطمئناً ككذلك كبرت عن أن يصيبك ما أصابه .
 أو كل الموت شيء . غير موكد شددك . وكان يجب أن تتحفظ لكل

خطر أيّا كان وإن خفيفاً . فكيف لا يجب أن نحترس بكل جهنم
به . أن تحققت يقيناً أنك سوف تلج خوف لأبدية آجلاً أو عاجلاً .
نحب أن الناس يتلاعبون بكل الاعتناء احتذاراً عالمية غير مؤكدة .
فإن شاع عن طريق أنه لا يؤمن به العار من مكائن الخوارج والاصوص
فلا يجوز له أحد الامدحجاً بالاسحة ومع رغبة استصحبهم . ومن سمع نجر
طاعون يسمى سرعاناً في تحصيل الادوية وهذا جهاد كل ما تقتضيه صيانة
نفسه من خطر المصاحبة . وإذا حذف جذب وحشي محل إذا هو يملأ
أهراً حالاً . فلم أذكر أن أحسن الخدم مع عساكين حقيقة الموت والديونة
والجحيم والابدية . ولم لا بعد شيئاً لذلك ولا هرب ما هضين ولا نتج أعيننا
ونتشوف إلى المخاطر نخوفة به . وري من وكيف يجب أن نأتي
خطواتنا لأن قدمنا فهناك . لأن حال هذه الحياة هي حصرة جد .
وقد شبهها حسناً أحد العلماء بحسر صيف لا يسع أكثر من قدمين . وتحت
وحد عميق مقعم حيات وحيوانات أخر سائمة صارية تفتات من الحاي
الذين يستطون فيه من على الجسر . ويحيط بالجسر سائين ذات اشجار
مورقة وبسابع متدمنة وقصور مشيدة مبهجة . أما كل يدعى جاهلاً
وعياً من كان يختار هذا الجسر الضيق وهو يلهي منترجاً على سهو ثلاث
الرياض وحسن تدفق تلك السابح وجمال تلك القصور ولا يحترس على
نفسه ولا يدري حيث يضع رجله وينقل خطواته . أو ما يجري ما جهل
وأعني أولئك الذين يعبرون طريق هذه الحياة متلاعبين بملاهيها وخيراتها

الباطلة غير متهين بالحكام خطوات اعمالهم

وقد صاف الى هذا المشل شيئاً اخر معلم حادق قال ان معظم الخطر في امر الحسر المتعدم ذكره . حيث الملك اصيق ومن ثم فالتجاة من السقوط أصعب وأعسر . وهذه الخطوة الصيقة عبارة عن الموت . فكى اذا حسن الحذر والتعمط ما دمت حياً في الارض . وضع قدمك حيث تأمن به الملوغ الى الملكوت . حذراً من ان ترل رحلك عند الموت فحسر الابدية . يا ايها الابدية ما اقل الدين يحسور استمدادهم للقائت . يا ايها الابدية ما اعظم خطرك كيف لاتعاقب الناس . كيف لا يعذبون انفسهم قبل ما جاتك . ان زمن هذه الحياة لقصير ووجيز جداً . ولقد اوشكت اقوة ان تنور وكادت الحواس تصمف وتوهن . ويستلب الفنى ويضمحل الهوى والتنعيم وستخرج من هذا العالم بعيداً . فماذا لا نتامل الال في ما يحى بنا بعد الزوال والموت . انما سنرخل الى وطن اخر . وكى ترى تكون مدة مكثك هذه الدنيا . يا اسفاه على م لا تروى هنا الال في ما سوف نفعله هالك

فلكي نفهم هذا المضمون حق نفهم ونصيح به فطين . احسن ان ورد مثلاً اخر اورده القديس يوحنا الدمشقي قال كانت مدينة عظيمة جداً ذات شعب لا يحصى عدده . وكان من عادة هذا الشعب الا يقيموا عليهم ملكاً الا رجلاً غريباً لا يعرف تلك المملكة ولا كيفية تدبيرها . وكاوا في السنة الاولى من ملكه يتركونه يدبر الامور كما اراد ويصنع كل

ما شاء . ثم يسما يكون مغبوطاً تشكك ضامناً انه يملك حياته كلها . و اذا الشعب
 يحتاجه بعته و يزعمون عنه المكسوة الموكنة و يطوفون به في شوارع
 المدينة عرباناً مهناً . و احيراً يرخلونه متعباً الى جريده مديدة مقتره حيث
 صغار يصاب ، القهر و لهفه حتى لا يتيسر له ان يجد ما يأكله و لا ما
 يلبسه . وهكذا كانت تحجب امامه تحول سعادته الى ثناء و غناء الى فقر
 و تبدل برحه بالحرب و ولائعه بالجوع و برؤس ملوكي بالأمري . فانتق مرة
 لهم مكوا عليهم رحلاً ادا صيانة و قصه و حيرة . فلما وقف من احد ابوزراء
 على عادة هذا الشعب العديم الشباب والمرح القلب . احد مبتكر في
 امره و يتبصر بتدبير شانه فلم يذ قلبه عجباً بعمره العرش الملوكي الذي
 جلس عليه . بل اهتم مفرغاً جهده في تدبير الامور بوجه بعضي به الى
 نوال قصده . حتى اذا حط من الملك كالمولود الدن تقدموه و نقي الى
 الخزانة المذكورة لا يموت فيها جوعاً . فلما استقر له الملك على الشعب
 و قصص على رمام السلطنة ارسل سراً الى تلك الجزيرة جميع خزائن تلك
 امدينة . فلما مضت اسنة اتاه الشعب بفته و اتاروا هيجاً عظيماً و انزلوه
 من الكرسي الملوكي و عشوا به متعباً الى تلك الجزيرة كما فعلوا بمن سلفه
 من الملوك . اما هذا الملك الحكيم فقد سار الى هناك سروراً و احتياج
 اد كان قد سبق فارسل الى هذه الجزيرة كنوزاً و افره . وفيها عاش عيش
 رعبرة و راحة لا كاولئك الملوك الذين اهلكهم الجوع . و هلك ما تحدث
 هها في هذا العالم . و ها هوذا ما يجب ان يفعله كل ذي فطنة و حكمة .

لار في لمدية المتقدم ذكرها شاره في هذا العالم الجاهل الباطل السريع
 التعبير والتقلب . الذي اد طس احد نفسه انه جالس فيه على سدة الملك
 جاوساً ثانياً مكيناً . بهجم عليه بعتة ويعريه بالكلية من رسه الى قدميه
 ويدسه هكذا عرنا في حفرة المر . وذلك في وقت لا يحته ويوم يكون
 مهمكاً اكثر اهما في الدات والتنعيم . ثمما بالحيرات الزائلة ككاهها
 حيرات . اهنة دائمة متغاصياً عن الابدية البادة البعدة من فكره بعدا
 شاسعاً جداً . حيث يجد نفسه عرنا مجرداً من كل خير . مهلاً من
 الجميع . عائشاً عيش القوط في ارض الظلمة وطلال الموت . والحكيم
 اذا من تأمل سائر دلي ان مخرج من هذا الماء عرنا في ما سوف يعلم
 به بعد زمن يسير . وعند نفسه للانتقال الى العالم الاخر . وحافظ على
 زمال هذه الحياة وراعه يحمده في الابدية . ورتب حياته وزينه
 بالافعال الصالحة المقدسة افعال التوبة والصدقة والمحبة . وقيل كنوز
 الى اللذة التي يحب عليه ان يسكنها الى الابد . وقد قال القديس
 عريفور يوس عن قائل الابدية . انه قد عتره نجات الحيرة الحيدة
 حيث ادخل العروس الالهى عروسه ورتب فيها المحبة . لانه كما قال
 القديس المتقدم ذكره . كل من تأمل جيداً الابدية يسوغ له ان يقول
 عن نفسه انه رتب في داته المحبة . فيجب داته قليلاً ويحب الله فوق
 كل شيء . . ولا يحب شيئاً اخر الا حبا به تعالى . ولا يستعمل ما كان
 اكثر ضرورة نظراً الى الحياة الزمنية الابدية متجهة الى الابدية

الفصل الخامس

في ماهة الابدية على حسب ما قال فيا تديس غريغوريوس انزييري

ديسيس ديسيوس الارمني

فلتبدئ اذاً بشرح امر لا يمكن شرحه وتفسيره . والمستهمين على
نوع ما وشئ من حص البحث عما يوق طور كل ادراك مخلوق . حتى
اذا وقف المؤمنون على حقيقة الابدية . بل اذا اصحى جهلهم لها اقل
يُصدون عن ارتكاب اسكر ولا يهلون عملاً من اعمال الفصيلة .
قد ذكر عن اعريديا الرومانيه والده نبرون الملك ايسالما اصلمت على
تبذير اسماء الذي كان يبذر الاموال وينفق النفقة والذهب على وجه
الاسراف كلها بمنزلة الثراب رام ان توده عن تقريله هده . ولا
اتفق ان الملك ايسب امر يوهان يعلو رجل ثمانمائة الف قرش .
وعلمت بذلك اخذت المبيع المذكور وبسطته قطعاً متفرقة على مائدة
وارت ايساحلة اكي يبصريه مقدار العلية المتوزة الحدة . لعله يرتد
بذلك عن حمله مصطلحاً . هذا الخلل هو عين جهل بني آدم ولا
دواء لهم الا ان نصع بازاء اعينهم ما يبدرونه باطلاً ويحسرونه عبثاً لاجل
شهوة تحلف ما امر به التاموس الالهي . ويذهلون عما لا نهاية له بنية
لما لا يدوم سوى ديفة واحدة من الزمن . عليهم اذا ان يتواي امر
لانهاية له يستمر دائماً هو الابدية . الا انه من يكشف لنا غوامض
الابدية او من يشرح لنا كتبها الحقي وهي كغيرها غير محدود لا يمكن

الوصول الى قعره . او كبحه فائمه الاعماق بعور فيها كل فوه العقل
 لبشري . ان الابدية هي زمن وجودي كائن دائماً ليس له ماضٍ ولا
 مستقبل وليس فيها توالي . وهي دائرة متصلة مركزها في كل جزء من
 اجزائها . وهي سنة مستطيلة جداً دائرة الابتداء عديمة الانتهاء . واقول
 على وجه الاطلاق ان الابدية امر لا يتيسر لنا ان ندركه ويجب علينا
 ان ندرسه ونشمله دائماً . فلنوردن الان ما قاله فيهِ . الاباء القديسون .
 فانقديس غريغوريوس النزيغزي عوصاً عن ان يعرف الابدية يحكاماً
 قائلاً ما هي . ا . اورد تعريفها سلباً مضمعاً عما ليست اياه . قال ان
 الابدية ليست زمناً ولا جزءاً من . لان الزمن وانجازه شيء عابر . اما
 الابدية فلا تعبر وان تعبر . لان جميع العدادات التي تلم بانفس لا تنام
 حداثها بعد الوف وروبوات من السين بل تبقى كما كانت على حدسوى
 فكان الايام تشدها . وكذلك النعيم الذي تمتع به النفس في الملكوت
 السماوي لا تخلق جدته ولا يزل منه شيء . ولئن كان الزمن من شأنه ان
 يرسخ ملكة ويربل أخرى ويذل صعاب امور ويصعب أخرى ويرد
 بالعادة سهلاً ما كان يبين عسراً وطوراً لا يتيسر واثرة للعسر . فالابدية
 تسمر دائماً على حال صحتها وكما لها لا يزل منها شيء . ولا يعتربها نقص
 اصلاً . لكنها تلبث كلها على هيئة متمرة وحالة واحدة ضرورها لا يتخلطه
 ضحرة . وعذاها ليس له علاج . وعليه قال القديس ديونيسيوس الاروباجي
 ان الابدية شيء لا يتغير ولا يحول ولا يتوره فساد . ولهذا قال الحكميم

إذا سقطت الشجرة يميناً أو شمالاً حيثما نستطع تثبت . فإن سقطت كهود
وقوداً في عمق اللجة فتمتدق دائماً كما أنك تقرر على الدوام ساقطاً
وليس من يقيمت أو ينحيك . وما دام الله الهما تقرر هناك ساقطاً لا يمكنك
أن تنقلب من جهة إلى أخرى

فالإبسية غير قابلة التغير لأنها لا تخضع الانتقال من حال إلى حال
وهي غير قابلة الموت لكونها غير قابلة الانتهاء . وهي غير قابلة الفساد
لأنها لا تخضع نقصاً . إن بلايا هذه الحياة وصيقاتها وإن كانت شديدة
قاسية فليها لا تخلو من أن تحمى بالتغير أو تنتهي بالموت أو تنقضي
بالفساد . وفي ذلك تعزية وسلاوى . وليس من ذلك شيء في العذابات
الابدية فلا تخضع بالتغير ولا تداوى بالانتهاء ولا تعالج بالنقص . فإن
كان المن الاسرائيلي الذي كل أكثر من جميع الاطعمة لذة واجزل نفعاً
قد كره الاسرائيليون أكله لمجرد مداومة استعماله . فما عدا يصكرون من
اشد العذابات التي لا تحول عن حالتها . فالحق إذا حصلت على غاية
اشتدادها تقرر وتنقص شيئاً فشيئاً . أما العذابات الابدية فستبقى
من هذا القانون العام . فعذابات قايين التي تنيف مذبذبها على حمسة
الاف سنة . هي الار كما كانت في الابتداء وستكون بعد خمسة الاف
سنة أخرى كما هي الآن . ودوام الالها وثباتها على حال واحدة يظاهران
دوام مجد الله وثباته الغير المتغير . فتحيا اذ الاشقياء ولكن لكي يعاقبوا .
ويموتون وذلك لئلا يتمتعوا فلا يفوزون براحة هذه الحياة ولا بانتهاء

الموت . وتأمل الآن بعكس الأمر ما أسعد حظ من يموت حياً لله .
 لأن مجده سيكون غير قابل الزوال وتغير . فلا يغشاه خوف من أن
 ينقص مجده أو يزغ عنه كلبه . ويوم نعبه يكون يوماً آناً ثابتاً وسروره
 يبقى حديداً إلى الأبد الأبد . وسعاده العبدس ميخائيل رئيس الملائكة التي
 ابتدأت منذ ستة آلاف سنة هي الآن كما كانت قدماً وستكون لديه
 حديدة بعد ستة آلاف سنة كما هي الآن

الفصل السادس

في ماهية لادية على ري بوليسوس لبيوس

الشمسي ونيوتوس

قال بوليسوس شمسي أن الابدية هي تلك حياة غير متناهية
 تماماً كلياً تاماً . وهذا التعريف ولو أنه بالوجه الأول ولاخص يلاحظ
 ابدية الله . لأنه قد يمكن أن يطبق على ابدية الخلاق الناطقة المتمتعة
 بها . لأنها تمثل حيرات فائقة في حياة غير متناهية امتلاكاً كاملاً تاماً .
 وبالصواب ندعو ابديتهم امتلاكاً من حيث أنه ما من ملك اسم وفضل
 كمالاً من القوز بالسلطان المطلق على ذلك الشيء مع امتلاكه . فانه
 من أودع شيئاً على سبيل الرهن او العارية فقد يتتبع به . إلا أنه ليس له
 ما لصاحب ذلك الشيء من السلطان عليه . وعنى قولوا امتلاك مطلق .
 انها امتلاك جميع الخيرات مما خفوا من هوات احدها . وان امتلاك هذه
 الخيرات لا يستضي تلك شيء منها بعد الآخرة اذ يتيسر امتلاك كلها معاً .

ولا يجري الأمر في حياتنا هذه على هذا المثال الخزيل الاعتبار . لأنه
ولئن تمكن أحد من امتلاك جميع الخيرات . فيستحيل عليه ان يتمتع بها كلها
معاً . لكنه اذا تمتع متلذذاً بخير واحد . لمه أن يتوقع خيراً آخر اذا رام
التمتع به . فملك اليوعايل احد القياصرة الدين - معاً في طلب اللذات
الارضية باشد اجتهاد . كان يبذل جهده وجده في ان يتمتع بكل
الخيرات والذات معاً . ومع ذلك فكان على الكثير وبالكد الكافي يستطيع
ان يتمتع زمن واحد بثلاث لذات او أربع معاً . لأنه اذا كان يتمتع بـلذة
الاكل والشرب لم يكن بوسعه ان يتمتع بتلاهي الرقص او الصيد او
اللذات اللحية . ولذلك اذا كان يتمس لذة وحب عليه ان يترك الاخرى .
فصلاً عن انه لم يقدر ان يحصل على جميع اللذات اذا كان يحرم لذات
خصوصية كان يتمتع بها اكثر الناس بل كان لا يمكنه ان يستمتع معاً وفي
زمن واحد بالخيرات التي كان هو نفسه يمتلكها . اما الصديق في الملك
السمائي فلا يحصل على خير بعد خيره . لأنه يمتلك جميع الخيرات ويتلذذ
بها كلها معاً . ثم ان امتلاك الصديق السعادة الابدية هو كامل ايضاً من
جهة اخرى . وذلك لأنه من المتع ان يكدره في امتلاكها احد . لا
يعارق الخصومة ولا بسبيل الاختلاس ولا بوع آخر . ولهذا قال
بلوتينوس ان الابدية حياة كاملة تفرق الازمنة وبلذات كلها
وتستوعبها معاً . اما حياة السمع فتكون في الماكوت كاملة لسماع الترانيم
الموسيقية . وحياة الشم فتكون كاملة باستنشاق الروائح الدكية .

وحياة النظر فتكون كاملة بمشاهدة اجمل ما يكون في الاشياء المخلوقة .
وحياة الفهم فتكون كاملة بمعرفة الخالق . وحياة الارادة فتكون كاملة
بمحبته اياه تعالى وتمتعها به وتلذذها بحضرة جلّت عزته . واما الحياة الزمنية
فلا يمكنها ان تحصل على هذا الملذ من الاستلذاذ . لان حركة حاسة
واحدة تصد حاسة اخرى عن حركتها . وتلذذ الجسد يحول دون تمتع
الروح ببلذته . واما في السعادة الابدية فتكون الحياة كلية تامة . والامتلاك
كليا والاستلذاذ كذلك . فلا نقص في القوى ولا عجز في النفس ولا
قصر في الزمان يمنع الصديقين عن التمتع الكلي والتلذذ التام بكل قواهم
معاً

اما حال الخطاة الاشقياء فعلى خلاف ما ذكر . لانه يشاهد في شقاوتهم
الابدي من الشر عين ما يتقلب فيه الارار في سعادتهم الابدية من الخير .
قال اولئك ينس الحظ حظهم انهم يلقون دحوراً حسداً ونفساً في
المذابات لا كأنهم في شيء . احببي عنهم او مستعار . بل كأنهم في شيء .
ممتلك امتلاكاً ولا يمكنهم ان ينزلوا عن هذا الملك او يحولوه الى آخر .
وليسوا بمتلكين الشر والمذاب الاندي على هذا النحو فقط . بل ان هذا
الشر والمذاب هو نفسه يستحوذ عليهم ويمتلكهم امتلاكاً لان حواسهم
واعضاءهم وكل اوصال اجسادهم وكل قوى انفسهم الروحية تستحوذ
عليها المرارة والالم والشقاء والرجز واللعة . فليس شعاً وبلاءً الاحل هناك .
فالذوق ثم يبل بالمرارة . وشهوة الاكل تغي بالجوع . واللسان يؤلمه

العطاش . والظرب يشاء الخوف . والسمع تمر به الرعدة . ولشم تدبه
 التانة . ولقلب يغمه الضيق . والمخيلة يحامرها الارتياح . والاحشاء
 تنظي على هيب نار محرقة . وعلى الاجمال نقول ان كل جزء لا يخلو من
 وجع والم . وكل هذه العذابات كلها طوفاً عرمرم تهطل على الخطاة
 دواماً . فان كانت نقطة من الماء الساقطة على صخرة مدة تبقى فيه اثرًا
 ظاهرًا . وان كان طوفاً اربعين يوماً كفى لاداء الارض واهلاك كل
 حي . فماذا ترى اذا انزل عدل الله على اهلك ماراً وكبريتاً لا اربعين يوماً
 فقط بل ما دام الله الماء . وهذه الخال الشمية تصكور على اهلك جميع
 الشرور معاً وفي زمن واحد . وكثرة العذابات هذه لا تثلم حدة الحس
 ولا يقص الاتناه اليه . بل لا يزال اهلك مستيقظاً منتهاً
 لـكن العذابات . شاعر آسها جميعها كأنه في عذاب واحد . قالنار مثلاً
 لا تحرق الطعام ولقلب والحشى فقط . بل اسها تحرق النفس عيها ايضاً
 حرقاً موندلاً لـ امتلاك النفس هذا الشقاء يكون كلياً كاملاً . فكلياً
 لاسها تكاد جميع العذابات . وكاملاً تاماً لاسها تكادها بكل حواسها
 وقواها القابلة التالم

الفصل السابع

في يرد مائة الامة على حسب تعليم
 القديس يزدوس

ان القديس يزدوس في عطته الاولى لعد جميع القديسين اوضح

ماهية الابدية على نوع آخر. قال ان الابدية تسوعب كل الازمنة ماضية وحاضرة ومستقبلية. فلا تكفي بالايام والنين والدهور. لكنهما تستغرق كل الازمنة الممكنة. بل هي اهل لان تسوعب اكثر من ذلك. هذا والابدية تشتمل كل زمان. ولهذا قد دعاها احد السعطين زماناً ابدياً. وقال فيها احد رهباننا وهو ليوردوس لاسيوس فيها لطويلة وقصيرة معاً. قصيرة تتناول من الزمن في دقيقة واحدة كل ما يمكن ان تشتمل في زمن غير ماض. فكما ان الزمن دقيقة عارة سريعة الزوال اذ ليس غير الدقيقة الحاضرة العارة. كذلك الابدية ليست شيئاً آخر سوى دقيقة واحدة تستمر ثابتة. فجميع الازمنة بالنظر اليها تمر وتغور واحداً بعد واحد. اما الابدية فتسمى حاضرة لكل زمان بغير تغير. فالزمن وكل شيء رمزي يشبه سراً تجري مياهه بعزم شديد. فمقابله امواجه بسرعة عطيفة لا تنفك متحركة متغيرة. اما الابدية فهي كحجر صلب او كارض تجري من فوقها المياه وهي لا تزال ثابتة غير متحركة بينما المياه تجري فوقها ويتقف بعضها بعضاً وتتورى عن النظر وتضلل شيئاً فشيئاً. وتشبه ايضاً نقطة وسط دائرة. يلاحظ منها الى حيز سوى كل الدائرة وكل جزء من اجزاها. كذلك الابدية فليها مدة تعادل ازمناً غير متناهية. وتوارى كل دقيقة منها على حداثها وكل الازمنة المستقلة التي سوف تكون. وتشتملها حاضرة معاً على نوع عجيب

ومن ذلك نلج امر يليق بالاعتبار. وهو ان الخير الممزوجة به الابدية

يزداد بها ثمًا ويكتسب قدرًا عظيمًا وذلك على نوعين . كذا الشئ الملائم
ابدية العقاب يصير بها في نهاية من الشر والبؤس . وذلك على نوعين
أيضاً وأولاً . كلاً من الخير والشر ليس لدوامه حداً أو نهاية . لأن عطية
الشيء تزداد بقدر ازدياد دوامه . ومن ثم فالشيء الذي يدوم الى زمن
غير متناه يكون كثر اعتباراً . وهكذا الشر الغير المنتهى في دوامه .
وانه مهما كان خفيفاً في ذاته فيفوق كل شر متناهي في دوامه وان
كان عظيمًا في ذاته . فلو خير مثلاً احد من ان يكون في وسط قوم نادر
مكتسب وسلي بكل الامراض المعروفة من الاطباء . ويكاد جميع واقاسه
الشهداء من العذبات ويحتمل ذلك مائة الف روبة من السنين غير انه
بعد انقضاء الزمن المذكور تنتهي اوجاعه وعذبه . وان يحتمل ألم
الصداع فقط ولكن الى الابد خلواً من رحاء التمهاته . فلقد كان يجب
عليه ان يختار جميع العذبات المتقدم ذكرها ولا يؤثر هذا العذاب الاخير .
لانه وان كانت تلك اعظم شدة فإن هذا يفوقها دواماً وبهاءً

فليات الان مضموا الاشياء الزمنية ومعتبروها . ويحسوني عما اورده
مثبتاً بأدلة الصواب قاهول . لو امكن الامر ان تقاس عذابات جهنم
بقادحة بشر ان تكون زمناً . لقد كان يجب ان يختارها ولازتهي
بالم ادي وان كان خفيفاً . فلم اذا لا تحتمل بصبر ضيقة ما حفيفة
امدة وجيزة كمدة هذه الحياة احترازاً من ان تصاب العذابات
الجهنمية الى الابد . كيف لا ارتاع لعذاب حتمي مؤبد ونحاف من ألم

زمني . لم لا عا دس افعال التوبة . لم لا نحتمل شدتنا بصبر . لم لا نقبل
 برضى اعظم الاوجاع في هذه الحياة خيفة من احتمال الم واحد ابدي
 وهذا ما يمكن ان نقوله في الحيرات ايضا . فلو كان في اختيارك ان تتمتع
 بكل كنوز الارض وجميع لذات الحواس مدة ربوات من السنين ثم تنتهي
 وتنتهي حياتك الزمنية . فقد كان ينبغي ان يؤثر عليها لذة واحدة ابدية .
 فكيف اذا تبذل جميع اللذات العطية الممدة لك في السماء تتمتع بها
 الى الابد بلذة عارة ارضيه . انه لقد كان يحس ان يبدل جميع الحيرات
 الزمنية لفرح بها خيرا واحدا ابديا . فبذا لا يرجع كل الحيرات الابدية
 بعدنا حينئذ عن خير ما رمي . ولكي نورد هذه الحقيقة ايرادا موثرا فاعلا
 بقدر الامكان نقول انه يفرض المحال لو كان كون الله زمنيا فقط لقد
 كان يمكن ان يفصل عليه كون آخر ابدي . ومع هذا كله فيرضى المحمل
 ويقنع بكنهه الارضي الذي يسلبه منه الموت عدا او تحتفظه اليوم
 للصوص . ولا يبالي بالفوز تلك الكنوز السماوية الابدية . ولعمري انه
 لو بعدنا الله في الحياة الاخرى بلذة حس واحد من حواسنا تكون ابدية
 لوجب علينا للفوز بها ان نترك جميع لذات هذه الحياة . فما اعظم تعاقم
 حمل الشر وعبائهم . ها هوذا الله بعدنا بلذات غير متعددة وغير
 متناهية . ولا نرغب من اجلها في ان نيا بن لذة واحدة من اللذات
 الارضية

ثم ان الابدية لها خاصة اخرى وهي انها لا تحتوي على الزمان

المستقبل فقط . بل على الزمان الماضي أيضاً وان كل قد عبر . ولهذا
يسر القديسون الذين هم الآن في السماء لا بالحد المتمتعين به الآن
ولا بالذي سيمتتون به بعد فقط . بل يفرحون أيضاً بالجد الذي فاروا به
الى الآن . ولا يراون يهنئون انفسهم بقضائهم وافعالهم الصالحة .
وباشتيحة ان سعادتهم تشمل على كل الازمنة وعلى جميع الخيرات .
ماضية وحاضرة ومستقبله . فما بعد الفرق بين هذه الخيرات الابدية
والخيرات الزمنية . لان الخيرات الزمنية من شأنها ان لا تسع الانسان
ان يتلذذ بها . لانه ما من خير او سرور زمني الا افسده نقص او خالطه
سبحس او خطر . ثم لا يقدر الانسان ان يصيب لذة من الخير الزمني
المستقبل . لان ادراكه والقور به امر يحوم حوله ريب وشك . فضلاً عن
انه لا يتلذذ بالخير المستقبل . فخوفه من الا يدركه بمكر صفاء ملته
بالخير الحاضر . ويمنع القوة الذاكرة عن التفرغ بذكر الخير الماضي
بل ان الخوف من فقد الخير الحاضر من شأنه ان يصدر امّا في النفس
يعدل في شدته فرط لذته

واقول بالاجمال انه كيفما اعتبرنا الخيرات الابدية رايها الخيرات
العظمى فيجب من ثم ان ترتاح اليها . ونفرغ جهدنا كله في اكتسابها
ولو بذلنا نلظفر به كل خير زمني . والوسيلة الحريّة لتع لمبلغ هذا
الغرض هي ان نتأمل في الابدية في هذه الحياة تأملاً مواتراً ما استطعنا .
وذلك بممارسة الفضائل الثلاث المعينة من القديس برردوس في عطته

الاولى في عيد جميع القديسين حيث يقول انه بالفقر والحلم والبكاء
تتجدد في النفس على نوع ما صورة الابدية شاملة كل الازمنة. لان
النفس تتاهل بالفقر للتقبلات. وترشح بالحلم الحاضرات. وبالبكاء
تحصل ثابة على الماضيات اه. وحقاً ان من يعتبر الابدية ويستعظمها يجب
عليه ان يبذل جهده الحميد في ممارسة هذه النصالل لثلاث. وذلك
اولاً بتجوده من كل خير زمني بواسطة الفقر الروحي وببدله لزمني
لربح الابدى. ثانياً بالحلم والصبر مواصباً على فعل الخير وعلى الظفر
بمجموعة الفصيلة. متأملاً عظمة الاجر المعد لتعب سيرة. لانه من ذا
الذي يرى السماء وحهم مفتوحتين. ويتأمل اديه وجوده المستقبل في
احدهما. ولا يقوى قلبه متشجعاً ويحذر ان يحترق بالنار ولما حثاً تخاضه.
قد خبرنا المعلم روفينوس ان احد الرهبان اتى ربه ليكشفه بحال نفسه
فقال ان دوام السكنى في محبته يسب له ضحراً وحزناً عظيمين فاحابه
الرئيس الحكيم قائلاً سلام بابي ان سبب صحرارك هو انك لا تتأمل
اعدائات الابدية لتي تهددك. ولا الافراح الداعية التي ينتش بها
قلبك. ولو كنت تردد في دهش هذه الامور لكنت تات في صحرارك
بغير حرب وضجر وان استأصكك الدود وعانت كتشه هملك. اما
الفضيلة الثالثة التي يلزم ان تارسها وهي التوحد الناشى عن العادة.
وه تحتهد العس في ان تكفر عن خطاياها سالفة باستحقاق القلب والدموع
السخينة والاسف. لانب باسوة ربح ابدية الخير التي حصرهاها

بالخطيئة . فلا ما بين اذ ابليس المدرج القابل ان ما صار لادواء له ولا رجوع ناضبي فان قوة هذه الفضيلة عني بها فصيلة التوبة عظيمة جداً . حتى ان قوتها وعاليتها تنفذ الى الماضي . فتحو الخطا ، المصيبة وتزيلها كأنها لم تكن

الفصل الثامن

في ان الابدية عية النهاية

ان كل ما تقدم من ايصاح حقيقة الابدية ومعارفها لا يكفي المتأمل مودة لان بينهم سمو عظمها وهما جيداً . ومن ثم يسوع بنا ان نقول عنها ما قاله سيمونيدس الفيلسوف لما سألته جيلون ملك سيبيليا عن هذا الامر فطلب اليه ان يمله يوماً يأمل فيه في ما يحبه به عن هذا المشكل ولا تقصى اجل ذلك ليوم قال انه يحتاج الى اوفر مهلة فأمله يومين آخرين . ثم مضت المدة المؤجلة فطلب ايضاً اربعة ايام . واذا تقضت هذه ايضاً اجاب انه كنا نبحر في هذا الامر انسمت مادة التأمل فيه والتبست عليه صورة ايصاح المشكل . فهذا نفسه يمكننا ان نقوله عن الابدية التي انما هي حلة عميقة ينور في ثيارها عقل من عاص فيها بالتأمل ويأخذ منه الانذهال والتعير . وكما ان القديس دونيسيوس يقول في شان الله انه لا يعبر عنه بكلام البشري واقع جواباً قولك ما هو . وانما بكلام سلمي واقع جواباً قولك ما ليس هو وما يسمو عليه شأنه عز وجل . كذلك الابدية ما ان نصدها في تعريفها بما لم تكنه وما تفوقه فواقعاً فالابدية

إذا كنت رماً ولا مدة ولا حياً ولا ربوت من الأحيال . بل هي فوق
 ربوت الأحيال وكل زمن وكل مدة . فحياتك إذا هذه التي تنعم بها
 والتي سوف تنقصي بعد هبة ليست بآبدية . وقوتك هذه التي تنبأهي
 بها ليست بآبدية . كذلك أملاكك وكورك التي تفخر بها واعزاء العالم
 افتقدون الدين تعتمد عليهم فليسوا بآبديين ولا هذه الخيرات التي
 تسر الآن بها . لا الأبدية شيء . اعظم من كل ذلك . والأشياء الأبدية
 تتعالى عن هذه كلها فإياها تسبح على أملاكك وعلى كل سعادته عايلة . ولذلك
 قال لاكتسيوس وغيره من المؤمنين في تعريفهم إياها تعريهاً أنكارياً .
 أن ما ليس له انتهاء هو أبدي . وأن الأبدية هي شيء غير خاصص
 للتغير . أو هي شيء لا شبه له . أي أنها شيء غير محدود وغير قابل التعبير
 وفوق كل تشبيه

فقطراً إلى تعريفها الأول أي نظراً إلى كونها عديمة النهاية . ول
 الأنبا كيسياريوس أن الأبدية هي سعادته لا مساء له . كوك القديسين
 لا يغيب أبداً . ونجم غبطتهم لا يميل إلى الغروب . أما أبدية الخطاة
 وهي ظلام . موت لا يقضى . فيه نور الشمس أبداً . وفق عذابهم لا يدم فيه
 ريق أمداً ولا ييسم لهم فيه نغرا الرجاء . لأنهم يقيمون إلى الأبد في
 ظلام مقتم . مدتهم حيث تحترق أجسادهم وتتكلم أنفسهم على
 الدوام . فإن كان المملو بالحمى اتفقد لذة الوس . يحترق كل ساعة
 من ليله عاماً بل أكثر . وإن كان على فراش ممدود ناعم . قد تكون حال

اولئك الذين يطرحون على فرش من هيب في ليلة اربعة لا يرجون لها
صباحاً اولئك كانوا في هذه الحياة يوماً حين كل يحب عليهم ان يكونوا
مستيقظين. وقد شبه الاقدمون عدم نهى الابدية بحلقة الخاتم. وعليه
حاد امر من بتشبيه الابدية بالكيل. لان الاكيل يستدير كدائرة
الخاتم لاحده ولا نهاية كما لحلقة ذلك الانبا ديودسوس السكادوسي.
وهذا دليل على ان زمانا لصالحة وانما لنا الرديئة تجري ابدية لانها
لها. وامري انه لك لو احب ان ترتفع فراعده فرائد او سماعا كلمه
لانها له مسمونه للحرآ. بعد الافعال اشريه. وان يتبع مهملين اذا
فرانا او سمعنا ان ما لانها له معد الافعال الصالحة. وفي بيان هذا قد
ترب المديس بوناوتوا امثالا قال. لو ان احد اله لكين يقطر من
عينيه كل سنة دمعة واحدة وتحفظ دموعه صكها الى ان يتكون
منها بحر يحج سد الوف الوف وريوات ريوات من المنين. فترى
كم سين ودهور تقضي ولا يتكون من دموعه بحر عظيم بل سيل واحد
لا غير. وبو فرضا ان تكون بحر كبد من دموعه بمرور دهور لا يحصى
عددها. بل تكون الابدية حينئذ باغة نهايتها. كلا. بل حينئذ بتبدى.
وان استهلكت مرة اخرى على النوع المذكور من عيني انما لك دموع تقطر
منها بحر آخر في مدة توازي مدة تلك الدهور. فلا تكون الابدية حينئذ
بلغت نهايتها. بل انما تكون في ابتدائها لا غير. ولو كرر ذلك عشر مرات
او عشرين مرة او مائة الف مرة اخرى. فقطر من الدموع تلك مائة

الف بحر آخر . لما بلغنا بعد الى عمق الابدية . بل فما يكون على شطها
 لا غير . فقتصر علم اربعة عن حصاصي لابدية ولا يتقوى الحساب
 على عددها . حتى لو افترضنا ان سماوات كلها استجاب الى ورق ورق .
 ومائت كتابا الى طراف من اعداد لرقم . لم تكن تحوى من الابدية
 الا جزءا ما صغيرا . فقد زعم قوم من لعلامة على عهد اركيئدس ان
 رمل النصار غير متناه . وقال آخرون انه متناه الا انه غير محصى . فاخت
 اركيئدس يورد غرض الترتيب . فالف كتابا قدمه طيلون ملك
 سيسليا مرهنا فيه . به لو كان العالم كله مملوا من الرمل لكان عدد
 حباته متناهيا محدودا ممكنا احصاؤه . ثم قام بعده الفيلسوف الانبا
 كلايوس اليوناني . فأورد برهانا رقيقا موثقاه كم حبة رمل تلي
 كل الفضاء الذي بين الارض والسما . وقد افترض حبة الرمل صغيرة
 بنوع ان كل عشرة الاف حبة منها توزي حبة خشخاش او خردل كبيرا .
 ومع فرط هذه المبالغه فقد احصى المعلم المذكور عددها . وحصرها
 جميعها في عدد الواحد تاليا خمسين سفرا . فل كان اد خط صغير
 يشتمل ربوات من الحبوب الرملية . فمادا يكون مقدار الستين الفير
 المتناهية التي تشتمل عليها الابدية . فحقا انه لو كانت السما كلها صحيفة
 واحدة . وامتلاء امام كل السما من صحف مملوءة من الحروف الرقمية
 على النحو المتقدم ذكره . فهذا جميعه لم يكن تضمن سوى جزء صغير من
 الابدية . ولذلك قد اجاد لاكتانسوس بقوله ترى كم سعة يلزم لكي

تتم الابدية التي لا نهاية لها. فاضرح من الابدية سنين تقدر عدد نقط
ماء البحر وعبار الهواء واوراق الاشجار ورمل الارض ونجوم السماء. فترى
الابدية بعد ذلك على حال حكمها الاول. ثم زد على الابدية لمقدار
المذكور من السن فلا يحتمل زيادة السن ولا تنكسر لذلك متعده من
نهايتها اكثر بعداً. وذلك لانها عديمة النهاية والبدانة. وهكذا تصور حبلاً
رماً اصله على الارض وفتنه تنبع عار السماء. ياتيه كل الف سنة ملك
ياخذ منه حبة واحدة. فالى كم من السن يحتاج هذا الحبل الى ان يعود
ارصاً ممهدة. ومع هذا فقد كان يقبل الوقت الذي فيه تنقل الحبة
الاخيرة. والابدية يستحيل ان تحصل في نهايتها وحرها. فيزول هذا
الحبل ولا يزول شيء من الابدية. وقد يتبين ان حقوق النبي اشار الى ذلك
بقوله: تطأصأت آكام الدهر وتلاشت من قبل طرق ابدية. لانه
يمكن ان كل حبال لبنان تتطأصأ وتمود ارساً مهلة مراراً لا يحصى عددها
في طول الزمان دون ان ينقص شيء من ابدية الخفاة. وهكذا يقيم اولئك
الاشقياء في وسط هذه النار الآكلة والعذابات المؤبدة الوقافي
الوف وروبوت في ربوت من السن خالدين فيها بعيدين عن نهايتها
بعد يومهم الاول

فمن تراه يطيق ان يشوى جانبه مدة سنة واحدة. بل من يقدر ان
يلبث سنة واحدة مصطبجاً على جانبه لا يتحول من جهة الى اخرى.
هايت بني البشر ملون ذلك كل يوم ولونصف ساعة. فاسهم لو فعلوا

ذلك لغير واسيرتهم واصححوها لأحالة . وقد عرفنا من الاخبار ان هذا
 التامل جليل تأثير وتعلية . حدد ذكر برودوس رنوس عن رجل عالمي
 قد كان على جانب من التعاضى عما يخص بخلاص نفسه مستغرقاً في
 الرذائل مهمكاً في طلاب كل نوع من الدات . مترهباً بلاءة الوس .
 فاتفق مرة أنه اد اصطحع مرتاحاً الى الرقاد اذا هو استمر ليله ككه
 متقلباً من جهة الى اخرى . حتى صارت لديه كل دقيقة من الزمن عبثة
 عام . واد هو على هذه الحال مستدلاً على فراشه . خطر له ببال فكر خاض
 في تأمله فقال في نفسه . ترى ما الذي كنت تفعله وتحملة يا هذا حتراراً
 من ان تكون مضطجماً سنين او ثلاث سنين في طلام مقتم . فاقداً للذي
 مسامرات اصحابك والتمتع بتزهاتك ولو كان ذلك على فراش ناعم .
 ولا جرم انك كنت ترى هذا عقاباً غير محتمل . فادكر اذا واعتقد انه لا
 مناص لك من هذا العذاب القيد . فاحسن الان افكارك . واعلم
 انك ستضجع على فراش وجعلك الاخير تستر طريحاً عليه مصباً بتألم . ياغ
 ليالي كثيرة . الا ان ينزل بك الموت فجأة فتكون حينئذ اشق حظاً . ثم
 بعد رقادك على الفراش امدكور حيث ينتظرك الموت . سيكون فراشك
 الاخير المحفوظ لك الا الارض حيث يستأكل جسدك الدود
 وترعاه الحشرات . اما نفسك هل تعلم منحقاً ماذا تصير اليه . لعمرى
 انك اذا ما نظرت الى سيرتك هذه الحاضرة ولا تجد امامك طريقاً
 الا التي تؤديك الى جهنم . فبالذالك الفراش الناري الذي تجده هناك

ما اروهه . هناك وعلى ذلك الفراش يجب ان تنكث رافداً لاستنسين
 فقط بل دواماً مدى الابدية يضطرك الامر الى السكنى في ظلمة مدلهمة
 وعذابات مؤبدة . ولا تستطيع بعد الوفا وروباب من السين ان تكفر
 عن احدى لذاتك القبيحة السيئة . هناك لا تبصر شمساً ولا سماء ولا
 وجه الله . فيا لسوء حظي وولها اشتاوتي واهماً لاني ان كنت لا استطيع
 ان احتمل هذا القلق اليسير على فراش ناعم . فكيف يمكنني ان احتمل
 عذابات مؤبدة . فالذي يجب اذا عني ان افعله انما ان اعدل عن طريقي
 لان هذه الطريق التي اسلك فيها ترمي بي في الهلاك لا محالة . هذا فأتري
 فيه فكر الابدية تأثيراً عظيماً حتى لم يعد له سبيل لطرده من عقله . فذلك
 عزم اخيراً على السلوك في طريق الرهبانية . وكان يكرر في نفسه مراراً
 هذا القول . ماذا افعل الا في العالم الشقي . اني تنعم واتدد . الا
 ان تنعمي هذا سيفضي بي الى الهلاك . لاني اكره على احتمال اشياء
 كثيرة قهراً وحبراً . واشياء اخر غيرها التمسها ولا احصل عليها . وقد
 تتعبني خيرات هذه الحياة جداً . وماذا يكون ثواب اهتمامي هذا الباطل .
 انني لست اصاب فرحاً تاماً . وان اصبت فكم يدوم . ها آنذا كل يوم
 اشاهد الناس يموتون ويحون باب الابدية . ايها الابدية انك ان كنت
 في مكان اخر غير السماء فاينما كنت فانت مرة مؤلمة ولو كنت على
 فراش ناعم . فلتقن بالسماء ولتأمن سعادتنا فيها . ولا تشتت القليل
 بالكثير . قال هذا ودخل الرهبانية

زعمري انه كان من الواجب نحتر بآلنا هذا الذكر في كل اعمالنا
 وبقول كل منافي نفسه . للتواب المد لافعال الصالحة ابدى . كذلك
 العقاب المد لافعال الشريرة ابدى ايضا . لانه بهد الفكر يتقوى المؤمن
 على فعل الخير واحسان العمل . خيرا ايرنوس المورخ الوثني عن يسمينيا
 قاصد مدينة تيبس . انه لما قدم الى ملك اعجم يكشف له عما يقصده
 اهل مدينته . وعرف من قل انه يلتزم بان يسجد له . رأى ان كراما
 مثل هذا الملك بربري مما يتحور الحد . فذلك حال الحيلة الآتي ذكرها .
 وهي انه روع من اصبغ حاتته . وكان عليه مثال رسوله وكانت عادة قديما
 ان يكون الخاتم دليلا على جلال سلس صاحب وجزيل اعتباره وبقائه
 بلياقة عند رجلي الملك وسجد قائلا في نفسه اني ساجد لاهذا الملك
 بل لرب هذا الخاتم . فكذا نحن لو كافي كل اعمالنا نوجه فكرنا ونيتنا
 الى الابدية . لم نكن نمجد صعوبة في اعمالنا الصالحة ابته بل لكنا مهتف
 قائلين تبارك الله الذي يجزي باجر ابدى عن تعب خفيف وعمل
 طفيف

قد ذكر عن اوربيدوس الشاعر الجليل الاعتبار عند اليونان
 انه اشكى يوما من عقم قريحته اذ لم يقدر في مدة ثلاثة ايام ان ينظم
 غير ثلاثة ايات . فسمع به شاعر اخر يقال له السيستيدس فقال اما انا
 فاني انظم بسهولة مائة بيت في يوم واحد . فاحابه اوربيدوس ليس
 بهذا عجب . لان اشعارك لاتدوم اكثر من ثلاثة ايام ثم تصحى نسيا منسيا .

اما اشعاري فسها تبقى الى الابد . ومثل ذلك قال زوكيس المعلم اليوناني
 الماهر في صناعة التصوير . ادستل عن طول مكته في اتقاه ما يصوره
 قال : اني اريد في صناعتي ان اصور ما لا يزال باقيا الى الابد . فاق
 ضل زوكيس المصور بقوله هذا . اذ لم يبق شي مما صورهُ وقد قد
 شي . كثير من اشعار اوريبيدس . اما الصديق فلا يضع فعل من جميع
 افعاله الصالحة ابدًا . ولمعري ان اكتساب الاندية لا يقتضي مأتب
 يوم واحد . لانه عن فعل واحد من افعال الندامة الكاملة يُحزى ثوانا لا
 نهاية له . فلنستفيد اذًا مما قال اوريبيدس وزوكيس . ولا نكف
 بممارسة الاعمال الصالحة فقط بل فنحس ممارستها ايضا . ولتقضي بانقدس
 ارسانوس . الذي بعد ان امضى في طريق اقداسة سنين كثيرة .
 كان ينزل نفسه منزلة المبتدى . ويكرر كثيرا قول المرتل انا فاق
 والاب ابتداء . فنحدر اذًا من الانحط ونأمل . احتسامن الاتاب .
 لكن فلنوجه عزمنا الى اتعاب اعظم من الاولى كراما لله . حسبا كان
 يفعل الرسول الذي قال عن نفسه انه كان ينسى ما وراءهُ ويتبع في فعل
 الخير فيما قدمه . وقد قل هذا القول بعد ان كان تسامى في القداسة
 جدًا . وخدم الله فائدة للنفوس خدما سامية حتى انه فاق في ذلك باقي
 الرسل . قال هذا بعد ان كان دخل مجامع دمشق الشام وشر بالسيد
 المسيح ورمى بنفسه في خطر ان يقطع اربابا بالولم ينحدر من اسوار
 المدينة هاربًا . وبعد ان كان انار شعوبا كثيرة في بلاد اربابا بورد

الانجيل المقدس، واجتذب الى ايماننا لا يحصى عددهم في ترسوس
 وانطاكية وطاف مراتٍ كثيرة مملكة اسيا المعروفة بالصغرى والجزء
 الاعظم من بلاد اوربا وكابد اضطهادات شاقة ورحم مراراً، وكاد
 مرة ان يموت من الرجم وجلد وسجن مراتٍ عديدة، وبعد ان خُطف
 الى السماء الثالثة واجترح معجزات كثيرة، هذا وكان يعد نفسه انه لم
 يتعب بعد ولم يصنع شيئاً من اجل سيدنا يسوع المسيح، وكان كأنه بعد
 في اول يوم من هدايته وتوبته، فكان يعقد عزمة ويوطده على الشغل
 والعمل والتعب ومكابدة ما لم يكابد مثله في ما مضى محتسباً ذاته بعد
 هذه الخدم جميعها عبداً بطلاً لا تنفع له حسب مشورة السيد المسيح
 لتلاميذه اذ قال قولوا اما عبيد بطلون، لاما انما فعلنا ما كنا ملتزمين
 بفعله، فان كان الرسول بعد فوره بهذه الاستحقاقات السامية نسي
 ذلك وابتدأ ابتداءً جديداً، فلما دأب نحن الذين ما ابتدأنا بعد نظر من
 انفسنا وهنأ وانحطاط قوى قيل ان نتدنى، فلبتدنى اذا دائماً ابتداءً
 جديداً لان الايدية العيدة التي ننظرنا سوف تكون جديدة دائماً وعلى
 حال البدائية، قال الانبا ديميتريوس الكارثوسي في تفسير المزمور
 السادس والسبعين، لا نتفخرون في استحقاق حياتنا الماضية ولا نحسب
 انفسنا شيئاً، لكن لنمارسنا دائماً كل يوم بنشاط جديد كأننا في ذلك
 اليوم ابتدأنا وفيه نغف عنه

الفصل التاسع

في الابدية عديمة التغير

اعلم ان خاصة الابدية الشابة هي انها عديمة التغير في دواها. وقد اشر الى ذلك الاولون بامثال سرية. ففهم من كان يصورها بصورة كرسي. وهكذا رأى اشعيا النبي الرب جالساً على كرسي عال رمزاً الى عظمة ابديته. والقديس يوحنا في جليانه يذكر مرات كثيرة كرسي الله. مشيراً ايضاً بذلك الى دواها تعالى الابدية. امّا دانيال النبي فقد اوضح ذلك جلياً حينما تحلى الله له ودعا دانيال الله ربه قديم الالام وراه جالساً على كرسي وشعره ابيض كالثلج. وقد ذكر عن شعب من بلاد افرقية. انه اذا كان يشرف احدهم على الموت كانوا يجلسونه على كرسي مشيرين بصورة الحسد الجالس الى حال النفس المستقبلية وهي حال الابدية. ومن اجل هذا السبب عينه كانوا يحطون الميت في القبر حالاً. غير انهم بهذا كانوا يشيرون الى شيء اخر ايضاً. وهو انه لا يحب ان نفث في هذه الحياة عن الراحة بل ان نطلبها بعد الموت فقط حينما ندخل ابواب الابدية. وحقاً ان الله لم يجعل هذه الحياة للتمتع بالراحة. وادامعنا الظرف في شقاها عرفنا بالكفاية ان الله لم يجعلها لتعلق بها قلوبنا. بل لان تكون لنا عتبة شيء. مستعار او عارية ترد. ومن ثم لا يليق ما ان نلتصق بها. بل الخلق يا ان نحدد جدنا ونسعى سنأندرك حبل الابدية. وقد تعلمنا حياتنا هذه الشقية بلان حالها انه قد وجد حياة اخرى

نجد فيها الراحة التي نتوغل في طلابها ها هنا . لأنه إنما في السماء فقط
تنتهي اتعابنا وفيها نكف عن دموع تريقها مدراراً في وادي شقاتها هدام
فيها نجد علاجاً وتعزية لهمومنا . وفيها نبلغ مقراً تقر فيه عيننا ويهدأ فيه
سبحس قلبنا

وكان من تقدم ذكرهم لشخصور الابدية بصورة حية . مشيرين
بذلك الى خاصة الابدية المذكورة اي عدم تميرها . أولاً لأنه كما ان
الحية ليس لها حديدن ورجلين كذلك الابدية ليس لها حد الهاية . ثانياً كما
ان الحية وان كانت عديمة الايدي والارجل والاصححة تققر وثبة بخبرة
عظيمة وتسق بعدوها وسرعة جريها ببقية الحيوانات دوات الايدي
والارجل وقد مات ذلك كله بمحنة ما فطرت عليه من الهمة والحمة .
هكذا الابدية وان سكات بل توالي الايام والليالي التي هي بمنزلة
ارجل يحجري بها الزمان تسبق مجريها كل زمن . ثالثاً ان الحية ذات
حياة مديدة كما قال فيلون الفيلسوف حتى سكاتها لا موت
طبيعي لها . ولذلك ليس في الحية ما في باقي الحيوانات من الغير
كما نحول من الحداثة الى الشيخوخة ومن الصحة الى المرض . لانها تحفظ
دائماً في حداثتها . ومرات كثيرة تحدد شيوعتها بتجردها من فلوستها اي
قشرها ذلك خلا انها ليس لها طول محدود كما لبقية الحيوانات بل
تنش وتطول دائماً شيئاً فشيئاً . هكذا الابدية لا حد لها في طولها ولا
تمير ولا تحول وامري ان هذا الامر ليوحس حيفة ورعباً عظيماً في

قلوب الخطاة الماسكين . اعني الاستمرار في العذابات خلواً من علاج
وتبديل عذاب بعذاب آخر . قال اتمديس بولينوس عن القديس
مريتنوس . ان راحته كانت انتقلاً من تعب الى تعب آخر . فالذي لا يزال
تعباً يصيب راحة اذا تبدل تعب بتعب آخر . ولعمري انه لا امر يهرب
من يسأله . ان قايين اول من هلكوا وسقطوا في جهنم له الا ان في
العذاب ما ينف على خمسة الاف سنة ولم يخف عذابه اصلاً ولم يشمر
بعلاج ولا تغير البتة . مع ان لعالم لم ير مثله بالتغير في كل آن . واولاً قد
طبق الطوفان وجه الارض كلها وباد الشر حتى لم يبق منهم الا ثمانية
انذار . ثم بعد ذلك حدثت تغيرت اخر مستغربة ولما كان الناس يمشون
بحرية قهرهم الاثوريون وتسلطوا عليهم عنوة . ثم تنقل منهم الملك الى
آخرين ولم يخلص عليهم اكثر من الف ومائتين واربعين سنة حتى ملك
عليهم ستة واثلاثون ملكاً . واستقر الملك في ايدي الماديين على اضطراب
اسياً ككها . وبعد ذلك ثلثمائة سنة انتقل الملك الى الفرس ثم الى
اليونانيين ومنهم الى الرومانيين . وعلى هذه التغيرات جميعها لم يضر
تغير ما في حال قايين اول الماسكين . هذا خلا ما عرض في مدة الزمن
المذكور من التحولات والتغيرات الكثيرة في العالم . فكم من جزيرة قد
اعرقها البحر وقد قال افلاطون ان واحدة منهن كانت اعظم من بلاد
افريقية واوروبا . والبحر اخرج من عمقه جزائر جديدة . وكم من عمارة
مشيدة زعزعتها الزلازل وهدمتها . بل كم من حبال تطايط وتغيرت .

وكم مدن هبطت في عمق الارض وتقوضت . وكم انهر غارت وجفت .
 او اختلف جري مياهها وتحول . وكم تغيرات عرضت في بقية الاشياء .
 كم مرة تغيرت السنة وطقوسها . كم كرت الايام والليالي اما قايين الشقي
 اول المالكين فانه ما كثر الال في ليلته المظلمة كما كان فيها اول
 يوم سقوطه . وفيما هو متعذب هناك قد دارت اشمس في قطبها حول
 العالم العنصري مقدار عشر كرات وستمانه الف مرة ونيف . اما قايين
 الشقي فلم يعط ان يمشي خطوة واحدة من يوم سقط في دركات النار
 المحنني . تأمل ما اكثر الالام التي احتمتها الناس في العالم وقد
 عبرت . وما اكثر الامراض التي ادركتهم . والعذابات التي كُتبت
 لهم . والالواع التي اصابتهم . فهذا كله قد عبر ورأى . اما اوجاع قايين
 الشقي وعذاباته فلم ترأى ولم تنقص بعد خمسة الاف سنة واكثر .
 فقد كان تولوماوس يتكلم من ألم الرنطارية . واريستر كوس من
 الاستسقاء . وكبيديس من وجع الصرع . وطوبيا البار من العماء .
 وايوب الصديق من البرص الا ان هذه الالواع جميعها انتهت ومادت .
 اما اوجاع قايين فلم تنته بعد ولن تنتهي فيما بعده . سكان دانا من
 نُشر من وسطه ومهم من احترق حياً في اتون ملتهب ومهم من قطع
 ارباً ارباً وقد شوي ربللس في خوف ثور من نحاس محمى . الا ان هذه
 العذابات جميعها قد انقضت وزالت . اما عذابات قايين الشقي فلم تنته
 ولن توشك ان تعبر وتنتهي . لانها بعد مائة الف سنة ستكون ايضاً

كما كانت في ابتدائها لا أكثر ولا أقل . فإذا يكون رجز يأسه عدد
نظيره ان جميع هذه التغيرات قد حدثت في كل شيء . وعذاباته لم يصحها
تغير البتة . ولمعري ان ملذات هذه الحياة لو لم تكن عرضة للتغير
لكانت عذابات مرة . فما ظنك في احتمال الهالكين عذابات عديمة
التغير . فاي غضب اذا استحوذ على قاب الشقي اذا يرى ان نيران القديس
لوريسوس قد صفت . وضرب القديس اكليميوس الانسكري
بالسياط قد كف عنه . وصاب القديس اندراوس في . واصوام
القديس ايلاريوس انتهت . وسمح القديس سمعان العمودي عليم .
والا تفتشفت القديس دومينيكوس تلاشت . وجميع عذابات الشهداء
وتفتشفت المعترفين قد زالت واستحالت الى لذات ابدية . اما عذاباته
فلم تمر ولم تتغير ولا يسم له ثغر الرجاء في انها تنتهي او تتحول . فحقاً
ان هذا من شأنه ان يوعر قلبه لما وفتت كبده حرماً ولا سيما اذا يرى
انه عاد من المتع ان يجد علاجاً ودواء قد كان في وقته متيسراً سهلاً .
ودالك كالنبي الشرير الذي كل يقدر ان يشتري الاطراح الدائمة
بالقنات الساقط من مائدته . والان يرى ابراهيم الخوادم يخلص عليه
بقطرة ماء

فليشبه اذا المسيحي من رفاقه . وليفتحن عينيه . وليهتم في ما هو
قادر عليه الان . اي في مداواة ما لا يقدر على مداواته فيما بعد . وعدونه الزمن
الحاصر فانه مقول ومناسب . الان وقت الخلاص والفرار . الان في

دقيقة واحدة يمكن ان نكتب ما لا يمكن ان نكتبه فيما بعد في مدة
الابدية كلها . وهذا الصُّ قام دليلاً عليه لهيب اقون بابل الذي ارتفع
تسعاً واربعين ذراعاً حسبما يذكر عنه الكتاب المقدس ولم ينع الى
الخمسين . والرافيه ان عدد الخمسين كان رمزاً الى الفجر
الاسرائيلي العام . وهكذا لهيب جهنم المرموز اليه بالهيب البابلي . فانه
وان كان فوق كل عذابات هذه الحياة . فلا ياول ابداً الى ريح الفجر
والقرار من العذاب ولو استمر دهورات من السنين . ترى كم كان يعطى المالك
لكي يستطيع ان يمارس التوبة مقدار ربع ساعة من الايام والاشهر
والسنين التي يصر فيها الاله بنو البشر باطلاً عبثاً . فلا نبذرون هذا الشيء
الحزيل الثمر . ولا نضيع الزمان والشهد الابدي معاً . ولا نلق بانفسنا
في خطر السقوط في جهنم . ان زمن هذه الحياة قليل بهذا المقدار حتى
ان القديس برناردوس قال عنه مباهة ان ثلثه يوارى ثلث الله عيه .
وذلك لاننا به نكتب الله نفسه . فلا نبذل هذا الشيء الحزيل ثلثه .
بل نلحزم نحن به الابدية واله الابدية ايضاً . فالحملة العالميون يقولون
لنتنعم الان . اما الحكماء الذين حنكهم الايام فيقولون ان الاحذر بنا
ان نتخلّى عن التنعم الزائل ليربح التنعم الابدي . العالميون يقولون لنمكّن
الان عذابات الحياة الحاضرة . اما عبيد السيد المسيح فيقولون لنبعث الان
اجسادنا لكي نحجي الى الابد . الخطاة يقولون لنتنعم الان بتزهات العالم .
اما اتقياء الله فيقولون نهجر هذا العالم الضمير ونسبحوا ربنا لنكون مع

القدسين في السماء الى اند المدهور

الفصل العاشر

في ان لاسة لامثين هـ ولا شيء

كما انه لاماسبة ولا مشابه بين اساهي والغير المناهي كذلك لا
مماثلة بين الزمني ولاندي . ومن ثم كما ان حبة الرمل والجل العظيم
يستويان بالبعد عن نزة الله . هكذا الحصة عين ومدة الف سنة بعدان
عن الابدية على حدة سوى . وهذا قال يوسوس ان اساسبة ما بين
دقيقة واحدة من الزمن وبين الف سنة هي اعظم من المسبة التي
بين الف سنة والابدية . وعليه ان المترل لما شرع يتأمل في الزمن الماضي
مذ ابتداء العالم الى عصره . نقب الاحيال السالقه بالايام بقوله تفكرت
بالايام القديمة . وليس يحجب انه دعاها هكذا حيث انه في مكان آخر
قال ان الف سنة في عيني الرب كيوم امس الذي عبر . وقد احسن
القديس يوحنا الانجيلي اذ دعا جمع السين التي تدوم من عصره الى
انقضاء العالم ساعة واحدة . اما دنيال النبي فادتكلم عن مجد الرسل
القديسين قال انهم يرضون كالكوكب الساطعة الى الابدات الدائمة .
هكذا بقية الانبياء يدعون الابدية ابدية دائمة وسنين ابدية ودهور
الداهرين . وهذه كلها كلاشي في ايضاح دوام الابدية الابدية . فلون
قاي عاش الى يومنا هذا متبعا بكل سعادة هد العالم . ثم مات في هذا
اليوم . ما كان له من جميع هذه الايام شي اكثر مما لاديه هاييل الذي

قتله منذ خمسة الاف سنة ونيف. ولم يكن حتى له من كل لذاته سوى فكر
 رومها سينها هي زهقت وضاعت كقطعة في بحر الرمن وايام الابدية التي لا
 تحصى. لانه كان شر عذاب ساعة واحدة ينسيها تنعمًا عظيمًا كما قال ابن
 سيراح. وان كان عذاب ساعة واحدة يحو ذكر لذات سنين كثيرة. فكيف
 لا يحو عقاب ابي ذكر لذه لم تستر الادقيقة واحدة والتي فاعلمها في جهنم.
 وان كانت دقيقة موت الجسد تعدم الانسان كل لذة. فما الذي تنعمه ابدية
 موت النفس. فما الذي بقي للملك اليونانوس في ساعة موته من جميع
 ملذاته. لاشي. البتة ومنذ دفن في ابدية اللجة لم يبق له سوى عذاب فوق
 عذاب ووجع فوق وجع وشقاء على شقاء. وويل ابي بل يراده ايضا. ان
 الناس جميعهم في ساعة الموت متساوون بالنظر الى هذه الحية. لان الذي
 عاش كثيرا وتنعم تنعمًا وافرًا والذي عاش قليلا وتنعم قليلا او تعب كثيرا
 يكونان مستويين في ساعة الموت. لا يشعر ذاك بعد بالتنعم ولا هذا
 بالتعب. فالقديس روموالدوس الذي اصرف مائة سنة عاشًا عيشة
 قسفة جدًا لم يعد يحس بعد وفاته بشي من جميع تقشفاته. وهكذا القديس
 المعظم سمعان العمودي لم يشعر بعد وفاته بشي من جميع تلك التقشفات
 الغريبة التي مارسها مدة ثمانين سنة فسمحه ذلك الحشن الذي لبسه في
 هذه المدة المستطيلة ولم ينزع عنه ليلًا ولا نهارًا. لم يعد الا يورثه الما
 ما اصلا. واصوامه تلك المتصلة وصلواته المتتبعه لم تعد تضائقه الا بته.
 لقد انقصت هذه ورالت ولم يبق منها اثر. لقد زالت جميع تلك العذابات

القاذحة التي عذب بها الملوك واقتضاه المقصود ان كل مضموس الانكري
مدة ثمان وعشرين سنة . والان لم يعد يشعر بها بل اصلاً . لكنه من
اجل اتعابه هذه يفوز الان بجود اتحاد الايدي

فليتأمل الان المسيحي ما يجب عليه ان يختاره . وليذكر ان الذات
التي يخطئها الانسان والاعتاب التي يكفر بها عن خطايا ستتهي على
حذر سوى . واما العذاب المسبب عن الخطيئة واثواب الشهيء عن
الاعمال لصالحه فلا يتهاون ابداً . وحينئذ هو بالخيار مما شاء . وليعلم انه
خير له ان يرمح مجدداً ابدياً بتمتع حفيف وحيز اعني به تمع التوبة .
لان التوبة وان دامت مائة سنة . فهي بالنسبة الى الابدية بمثابة دقيقة
واحدة من الزمان فلا يشكون من يمارس افعال التوبة من طول الحياة
التي ليست بطويلة باراء الابدية . وقد قال القديس اغسطينوس قولاً
حسناً ان كل ماله نهاية فهو قصير . والحال ان الف سنة وربوات
سنين لها نهاية . وهي ادا قصيرة . وهكذا كل زمن وان كان طويلاً
جداً فهو قصير وعمرته دقيقة واحدة بالنسبة الى الابدية . فان كانت
الارض كلها بالنسبة الى السماء ليست الا بمنزلة نقطة واحدة مع ان
السماء محدودة . وهل من عجب ان لا يكون الزمن كله سوى دقيقة واحدة
بالنسبة الى الابدية التي لا محدودة . فبالنسبة لجهل بني البشر الذين
يستعظمون الزمان . ويذلولون المجهود في تحصيل الذات الرمنية والحياه
العالمية في هذه الحياة القصيرة . اخبرني يا صاح لو منحت الله نصف

دع ساعة فقط من الحياة . والى لك انه بعد موتك ينهي العالم كله
ويتلاشى . وهل كنت تصرف ذلك الرمن في طلب الملذات والكرامات
الارضيه . قال القديس يوحنا البشير ان العالم في عصره كان قد بلغ
ساعة انتهائه . مع ان السنين التي حكت من عصره الى انتهاء العالم
كثيرة جداً . فذلك لان هذه السنين جميعها بالنسبة الى الابدية لم تكن
غير ساعة واحدة . فكما انك لم تكن تفكر في ان تبني لك دكر بعد موتك
لو كنت تعلم ان العالم ينتهي بعد ذلك ساعة واحدة . فكذلك لا تفكر
الآن في ذلك ولو بقي من الرمن اجيال كثيرة

قل لي يا هذا لو عشت بقية ملك تعيش مائة سنة واثم لا تستطيع
ان تصيب شيئاً من المأككل الضروري لمعيشتك فيها الا في ساعه
واحدة لا غير . وقد ادرك ملك جواد ان تحرج فيها من كنوزه ما نشأه
لثقتات به فهل كنت تصرف تلك الساعه في الباصل . كلا . بل كنت
تبادر مسرعاً وتأخذ من تلك الكنوز ما تستطيع . فلم تتوفى وتغافل وانت
تعلم انه لا يكون لنفسك في الابدية غير الذي ربحه الآن وتستحقه في
ساعه هذه الحياة الحاضرة . فاعتبر الآن ما اقصر الزمن المعطى لك لتمد فيه
راداً كافياً لابدية حيتك المستقبلية فكيف لا يهلك ذلك . لم تلهو بغيرهات
هذا العالم منهمكاً باضغوتك والهز . والتنعيم . لم لاتبهم بعكس ذلك في
اقامة مأتم الدب والدمامة . ولا تغرق جسدك بصرامة تصطب التوبة .
والحال انه صكما قال حنا القديس اغسطينوس في تفسيره الزمور

الادس والثلاثين . قد كان يجب ان ترتضي باحسان عب ابدى رغبة
 في اكتاب راحة ابدية . وان تُعزّز وحنّ ابدياً طمعا في سعادته ابدية .
 قال الحكميم في سمر الامثال في عينه طول الايام وفي شمسه المجد
 ولقى . وهذا اشار الى انه يجب عليك ان تفرغ كل جهدك في
 كتساب الابدى وتؤثر القصيدة على كل شيء رمي . لانه كان
 ايدى الخنى ذات قوة وليسرى صعيده . شكك يزمنا ان نبدل كل قوتنا
 في حفظ الابدية لاني حفظ الاشياء الرمية . لان اعظم خيرات هذا
 العلم واسمى المجادة ان لم تكن ابدية فلا تفيد شيئاً لبنة

الفصل الحادي عشر

في ماهية الزمن على رى اريستوتليس وعنه من الفلاسفة
 وفي سرته تغير هذه حياة وروها

انه من كان مما تقدم ايراده قد اتضح لنا ماهية الزمن والحياة
 الرمية وما يعبر ويدول مع الزمن . فينفي الان بعد ايضاح الابدية المتقدم
 ان نتأمل ذلك بوجه الخصوص والتفصيل لكي نهم حساً خسارة
 الاشياء الرمية وعظمة الاشياء الابدية . فتعريف الزمن على رأي
 اريستوتليس هو هذا معيار الحركة وفيه سها . بحيث لا حركة لا
 زمن اصلاً . وقد اوضح ذلك ايسابوسيدوس الفيلسوف بقوله . ان
 الزمن هو قياس سير الشمس . وقال بروكلوس انه هو عدد دوران الاجرام
 السماوية ورعم الفلاسفة الفيناعوريون ان الزمن هو اكرة الاخيرة التي

يحرك الكرات الاخريات . اي هو السماء الاحيرة التي تفوق سرعة
 حركتها طول القول . وعلى حسب هذا الرأي قال القوس الكبير . ان
 الرمن هو قيس حركه المحرك الاول . فالرمن دأ هو شي عديم الثوت
 كالحركة . وهذا قال ابن سينا ان الرمن هو شي دون الحركة ايضاً .
 هل يمكن ان نعتد على الحاة لشربة اتي هي عديمة لثوت وجريلة الضعف
 وسريعة في سيرها كاشمس ونحوه . سماء اي تفوق في سيرها سرعة سير
 بطيور وهبوب الرياح كلها . ونباشق جريل السرعة في بقضاضه على
 امصتوره . واسرع منه السهم ارمي من كبد القوس . ووسع من هده هي
 اصاعقة امتهضه المنحدرة من عمال السماء . الا ان هذه جميعها لا تيسر سرعة
 عدو الموت وعبور الرمن الذي يطير كنجوم السماء على حذر سوى .
 والحال ان النجوم على حسب التحديد مرسوم من المعلم ككلاويوس
 اليسوعي تقطع سيرها في مدة ساعة واحدة اربعه وعشرين كرة ميل .
 فبيده السرعة يسير الموت في طلبك . فكيف لا تخرج ولا ترتعد .
 فاقوس مونة مشرعة اليك . وقد صار السهم مها وقرب منك فكيف
 لا تطأطي رأسك قتما يكون . وكيف لا تتضع نادماً . انك ان عرفت بان
 واحداً وضع ناراً على مدفع لبطقة عليك . اما ككلاويوس يأخذك الخوف
 والرجمة والرعب . وان قيل لك ان السهم الميت قد رشق وطار اليك
 اما كنت تموت من شدة الخوف ولرسة والحال انه من المحقق ان
 الموت الاقي اليك يسري طلبك باعظم من سرعة السهم . وانه في

كل دمع ساعة يقطع عشر كرات من المراحل يصل اليك ولست
تدري متى رشق . ومن ثم عليك ان تتوقع حدوثه في كل دقيقة
واعتبر فوق ما اعتبرت في سرعة الزمن صفة أخرى له وهي التي عيها
اريسطو ناليس بقوله . الزمن قياس لحركة . وبالتالي انه شيء مركب من
اجزاء . سبالة ماسرة يقع بعضها بعضاً وهذه الصفة على ما لاحظته الامام
ابن رشد الاندلسي . هي من متعلقات الزمن ضرورة وجوهراً فيستحيل ان
يأتي الزمن بشيء منخدة متغير بعضها ببعض . بل انما يأتي شيء بعد
آخر . فلا يمكن ان يكون الشيء الثاني في حيز الوجود الا بعد زوال
الشيء الاول . فالخيرات التي يمكن الانسار ان تتعشها وهو حصل
تبدلها اذا شب وتغيرها حيرات الشبوبة . وكذلك هذه نمادها اذا
شاخ ووحطه لثيب . فامعن الان لنظري ما عر من حيانتك وتامل
يس الان طفوليتك وصبائك وشيبيتك . فتجد فيك ميّات مختلفة .
فاتحخص هكذا عن الرحاية والشيخوخة فتجد انك قد متّ مرات كثيرة
وقد اصاب الياسوف بقوله انه ما من دقيقة واحدة من الزمن الا قسمها
الموت بينه وبينه فأخذ منها نصيبه . وادام احسن النظر وأطلنا الفكرة ترى
اننا لانعيش اكثر من دقيقة واحدة من الزمن . لانه ليس لنا من الحياة
الا الدقيقة الحاضرة لان السنين العابرة قد ذهبت سلقاً وليس لنا الان
مها شيء البتة . فكاننا قد متنا نظراً ايها اما استنور المستقبل فلم ندخلها
بعد ولم نصب منها شيئاً . فكاننا لم نولد بعد . فهناك امس قد مضى .

ونهار غير لانعم هل نحظى به ام لا. وقد عبرت ساعات كثيرة من اليوم
الحاضر ورايت متناً. والساعات البقية استقبلة لانعم هل نبلغ اليها.
وعليه فلنتمتع بالحياة لافي هذه الدقيقة لي نحن فيها وفيها نفسها نحن
ايضاً ماتون. وبالنتيجة لا يسوع اساس نعتبر عن هذه حياتنا الانصف
دقيقة وشيء غير قابل التحيز بل يدعنا الموت هذه الدقيقة غير
التحيز ايضاً وبكل صدق وصوب يمكننا نسمي هذه الحياة مع
ركبنا لبي طل الموت. لان الموت ياتنا نحن صها. فكما ان كل خطوة
يمشيها الانسان اليه فيها حياة. هكذا كل خطوة من حياتنا هذه بتعبها
خطوة موت. والحياة ذات عكس الابدية. لان الابدية بتبدي دائماً
وايست الابداء دائماً. اما حياتنا الرمية فتنتهي في كل دقيقة.
ويمكن ان ندعوها انتهاء او موتاً متصلاً. ولهذا لا يمكن التمتع بحياة
حياة مثل هذه الحياة. لانه لا يذو يمكن ان يحصل عليها من بطر
جوداً قوياً مسوفاً مزياً بسرجه ان كان لا يزال حارياً راءاً بكل غرمة.
فهكذا الاشياء الرمية تحري مسرعة في ميدان هذه الحياة. ولذلك لا
يمكن التمتع بها

الفصل الثاني عشر

في ان قصر هذه حياة يصير كل شيء رومي
اعلاً بالاحتقار

حقاً ان الحياة الزمنية هي سرع رولاً من جميع الاشياء، التي تتمتع

بها الأنسان. لأن الأرزاق والموارث والثروة وما يصاحبها تبقى موجودة
 بعد موت الأنسان. أما الحياة ولا. لأنها تمرط صفتها وضعفها تقول
 وتبديد بقيل من البرد أو الحر أو من قبل رائحة يسيرة أو نفس شخص
 مريض أو مقدار ذرة سماء. فمثل هذه الأشياء اليديرة تكفي لهدمها
 وإزالتها. ومن يتأملها جيداً يجد أنها أسرع عطباً من الزجاج. لأن الزجاج
 يستقيم إذا لم ينسأ أحد. وأما حياتنا فإنها تبديد وتغنى ولو لم ينسأ أحد.
 والزجاج إذا حفظ باحتراس يدوم دهوراً كثيرة. أما حياتنا فلا يمكن أن
 نحفظها وإن أبدلنا البغ الاحتراس. وهذا قد فهمه جيداً سعد ملوك
 إسرائيل وقصصهم اقتدار أعبي داود الملك العظيم. الذي ضم إلى ملكه
 مملكتي يهودا وإسرائيل. ومدد طائفاً إلى إقليم آخر. وملا خزائنه من
 الفضة والذهب فهذا الملك العظيمة سلطوته والحرية سعادته. لما رأى أن
 عزته هذه العظيمة بما يوم تنتهي فيه. دعا ملكه وكوره حتى حياته
 باطلاً. ولهذا قال هوذا حملت إيمي محدودة وقومي كلاشي. أمامك
 امر ٣٨ ٦ فكانه يقول إن كل الذي امتلكته من الفنى والسلطة فهو باطل.
 وحياتي نفسها هي باطلة بل أكثر طائفاً من بقية الأشياء. وهذه حال
 الأشياء الزمنية وإن ارمعنا لنتمتع بها ألف سنة. فما الذي يجب علينا
 فعله إذا زعمت أن تنتهي سريعاً وقبل الوقت الذي نخلقه. وبإيتنا نفهم
 جيداً قصر هذه الحياة. لقد كما نرد في ملتها الباطلة ونخترق تعمها
 الزائل. أن هذا الأمر ضروري وجريل لأهمية. حتى أن الله تعالى أمر

أحد أنبياءه أن يخرج إلى لافقة والشوارع . ويطوف المدينة صارخاً
 كيقوق حياً . قائلاً ما أقصر حياتنا وسرع زوالنا . وإذا كان إشعيا العظيم
 منذراً بروح النبوة بأعظم الأسرار وانغمضها عني به سر تجسد الكلمة
 الأزلي . سمع بنة صوت الرب قائلاً له اصرخ اصرخ . فاحاب الي
 قائلاً ما الذي تريد يا رب ان انادي به صارخاً . فاجابه الرب قل هو
 كل ذي لحم حشيش اش ٤٠ ١٦ . لانه كما ان الحشيش الذي اخذ
 صباحاً يحف مساءً ويمتني . والزهري يذبل بدقيقة واحدة من الزمن .
 هكذا حياة كل ذي لحم تفتي سريعاً . ويتضرع وجه جملها ويضمحل
 بهاؤها في يوم واحد

وقد اراد الله بانبيي ان ينادي منذراً بقصر حياتنا حينما كان منذر
 بالسرا المحبوب عن افهام البشر وهو سر اتجسد الالهى . وذلك لان
 ضرورة معرفة هذه الحقيقة اعني قصر حياة الانسان وصعوبة فهمها
 هي عملة سر حفي . لانه وان كانت الامثال والتفويذات اليومية تعلمنا
 هذه الحقيقة . فمع ذلك يظن الاكثرون ان انتهاء حياتهم لم يزل بعيداً
 فلنستوعب اذا هذه الحقيقة . واثبتن ان كل ذي لحم حشيش . وكل عمر
 قصير . وكل زمن وجيز . وكل حياة مضحكة . وانه مجموع السين وان
 عظم في عدده عدم

ولتعتبر ايضاً هذه الحقيقة من كل خير اتمعرفة هذه الحياة وان
 خالج قلبك بك تعيش مائة عام . وحال لك انها حياة مديدة . فأصغر

ما قاله أيوب البار الذي عاش مائتين وثمانين سنة. ومن ثم ممكنه
 ان يعرف حتما ماهية حياتنا ويقف على ما فيها من سعادة ومثاق. قال:
 ان ستي ليست شيئا. فعنده اذ ان الحياة التي تدوم ثلاثة اجيال ليست
 بشيء. وقد تكلم مرات كثيرة في هذا الشأن عن قصر الحياة. وفي
 ايراده ذلك اقام تشبيه واستعارات مختلفة. فمرة تسمعه يقول ان ايامه
 اسرع من ساعه لبريد. وطورا يخبر انها مرت اسرع من مرور سفينة في
 بحر تكاددها ريح شديدة او اسرع من نسر متقص على طائر. وحيث ان
 ايامه انقضت ما يحل من ثوب قصه حانث. ومرة ان حياة الانسان
 كزهريداس حينما يزهرواها تضحل كطل لاثات له. ولعمري فلا
 حرم ان ذهب مذهب لا للذين عاشوا ثمة اجيال فقط بل للذين عاشوا
 اكثر من ذلك كالذين كانوا قبل الطوفان اكثرهم الان في جهنم.
 اسمع ما يقوله هؤلاء الان ماذا نعمتنا الكبرياء ولم ينعن ساقيا من
 عذاب الفنى والافتقار. فقد عبرت هذه كلها وجارت كالظل. فان كان
 الهانكون هكذا يقولون ويحككون على عمر ثمانئة سنة انه ظل ولهم
 كالدين توقعوا بعد ولادتهم بدقيقة واحدة. فكيف يُحِيل لك انك تعيش
 عيشة مستطيلة وفي عصرنا البلوغ الى عمر ستين سنة شيء عظيم. ولذلك
 شبه اوميرس الشاعر اليوناني حياة الانسان بورق شجر الذي لا يدوم
 اكثر من فصل سنوي. وكان الفلاسفة والتدسوس لم يجدوا عبارة
 يستوفى بها قصر هذه الحياة. ولا عثروا على تشبيه واقى باصاح هذه

الحقيقة. وقالوا له لا عدو لبريد ولا سرقة جري السيف في البحر ولا طيران
ببشق ولا مروق السهم في الجو. يعبر لنا اتم تعبير عن قصر هذه
الحياة وسرعة رواها. ولهذا قال فيلامبوس ان حياة الانسان ليست
الا ولادة وموتاً. وساعد ولادتنا نخرج من قبر مظلم وعند موتنا نخرج
قبراً ظلم وافزع. ثم اذا سقطت من مدة هذه الحياة القصيرة ما يمضي
باليوم فكيف قد استغلت ثلثها. وان وجب ان لا يحسب زمن الطفولة
او غيره مما يمنعنا عن معرفة ثمره الحية وانتمع بها. ولا يبقى لنا منها سوى
اصفها. وهذا نصف الذي تركته في حسابك منزلة محقق كيد. اخذه
انا غير محقق ولا صحيحاً. وانك لتصل في حسابك هذا لان الحكميم يقول
ان الانسان لا يعرف يوم انتهائه. ولذلك كما ان السمك والطائر حينما
يطلب اهما بعيدان عن الشراك يفعل فيه سرعة. هكذا لموت يعيشي
وراء الناس ويقتصرهم حينما يكونون متغافلين متعاضين عنه. فتأمل اذا
ما احب الاشياء الرمية وما اسرع روال كل محد عامي. لان جميع
ذرات الارض لا تراكب الا في زمن حياتنا. فان كانت الحياة عيها
شيئاً دنياً. فالحيرات الرمية التي ليست بحيرات الا بالنسبة الى هذه
الحياة احذر واتني. ان ذلك المثال الذي رآه تختصر الملك وان كل
مواقع من معادن ثينة كالفضة والذهب وكل فائتاً على قوائم من حرف.
فما صدمته حصي صغيرة تنحرف جذاً اذا. فما احقر وادنى هذا السعد
العامي المتأسس على هذه الحماة التي تمنعها لاقطة حجر فقط بل بركة

واحدة من عتوده . فحسناً قد قال المرتل ان الانسان وكل ما في حياته باطل بطلاناً . لان قصر حياة وحده لكاف ان يرَدَّ كل خيرت الانسان دنيّة . فالكرامات الدنيوية باطلة . وباطلة هي ثروة هذه الحياة ولدتها اذ كانت الحياة نفسها باطلة ذائلة

قد ذُكر عن الانبا عيريكوس من رهبانية القديس دومينيكوس . الذي قبل دخوله الرهبانية المذكورة كاب فلسوفاً وطيباً ماهراً اوصار بعد ذلك معلماً لاهوتياً بارعاً . انه اذ سمع يوماً قراءة الاصحاح الخامس من سفر التكوين حيث يورد الكتاب المقدس نسبة آدم وسله عاش آدم تسعة وثلاثين سنة ثم مات . وعاش ابنه شيت تسعاً واثني عشرة سنة ثم مات . فشرع يقول في نفسه ان كان مثل هؤلاء الرجال المعظمين الذين عاشوا مثل هذا العمر امديد حدث بهم حادث موت وتنتهت حياتهم . فلا يسوغ لنا من الان فصاعداً ان نضع لرمز في هذا عالم . بل يجب علينا ان نحمل حياتنا في حالة ذات طمأنينة وامان . لكي لا نخسر بعد انتهائنا هذه اوجله ترك العالم وترهب في رهبانية القديس دومينيكوس حيث قضى حياته بعيشة مقدسة . وبالكثافة جهل البشر الذين مع كثرة بقصر هذه الحياة يهتمون جداً في اطاعتها وقال سينكا القيصر ف انه لاشك ان الجميع يستطيعون ان يعيشوا عيشة صالحة . وما من احد يستطيع ان يعيش عيشة مستطيلة

فكل ماله نهاية شيء سير دني لأن مرحمه الى التلاشي . فماداً
 تريد ان تخسر كثير لاجل شيء يسير . وتفقد العين طاباً بعدها الاثر .
 فامسك نفسك عن لذة ما لئلا تندم جميع الديات الى ابد الابد . احتمال
 الان بعض التعب احترازاً من ان تضطر الى احتمال عذاب غير محدود
 في زمن غير متناه . لأنه كما قال القديس اغسطينوس . قليل من حرارة
 في الخلق خير من عذاب ابدي في الاحشاء . فعلى السيد المسيح ان كل ما
 يزول مع الزمن هو شيء قليل . اد لنا زمن الامة وجيزاً . وان كانت
 الازواج التي كابدها فيه مرة وشديدة جداً . هكذا الزمن الذي احتملت فيه
 دسله اضطهادات شديدة وعذابات قاسية وميتات هائلة دعاه أيضاً قصيراً .
 وكذلك الزمن الذي نصره نحن في هذه الحياة هو قليل ايضاً ويدير
 جداً بالنسبة الى سني الابدية . الا ان هذا الزمن قليل زمن حياتنا هذه
 بين لما كما قال القديس اغسطينوس زمناً مديداً طويلاً لانا نقلب
 فيه . فاد انتهى نعلم ما كان اقصره . فلو عدنا انفسنا مشرفين على
 الموت لعرفنا حينئذ فرط قصرها . وان كل شيء وفيها ولو مهمات انسا
 عظيماً هو كالأشياء بالنسبة الى الابدية

ان السيد المسيح ارسل الى الانبياء كريستوروس السوعي
 الحريل القضيّة والاعساد من يقول له ان يتأمل جيداً هتين
 اقتضيتن . ما اعظم وما اقل . فكانته لي يقول ما اعظم الابدية
 الي لانهاية بها . ما اعظم الخطوة بانته الى الابد . ما اعظم الخاوس

مع اليد المسبح على كرسي محمد ابي . وما اقل واقصر واحقر
 رمن هذه الحيااة وكل ما فيها من التمتع الرمي . وهكذا القديس
 برزدوس لم يزل يكرر على دهبانه قول القديس ايرونيوس . انه لا يحوز
 لنا ان نستصعب التعب والعذاب الذي به يريح احد الايدي ولا ان
 نشكو من طول مدته . فقد استخف يعقوب البار بتعب خدمته للابان
 مدة سبع سنين . وذلك لافراط حبه لرا حيل . فكيف يحوز لنا نحن ان
 نستصعب ونستثقل لرمن الذي نصرفه في خدمة الله . فاستبرمتا . لامن
 الذي تخدمه ولما تخدمه . ومن ذا الذي كان يخدمه يعقوب ولما كان
 يخدمه . فترى انك تخدم الها حقاً حباً محمد ابي . وان يعقوب كان يخدم
 رجلاً وثدياً خبيثاً حباً بجمال را حيل . فقال الاز خدمتك مع خدمة
 يعقوب . ونظر هل لك الاز في خدمة الله عشرون سنة مدة خدمها
 يعقوب لابان حاله . انظر هل يمكنك ان تقول عن نفسك ما قاله
 يعقوب عن نفسه . احرقني الحر في النهار والبرد في الليل . وكان النوم
 يطير عن جفني . فهذه الخدمة الحسنة خدم رجل صديق رجلاً وثدياً .
 فكيف يجب عليك ان تخدم الله وانت متعب له . اما يجب ان يبين
 لديك قليلاً كل ما تفعله في خدمة هذا الرب العظيم رجاء اجر عظيم .
 فانظر ما الذي تصرف فيه سنك لتقصيرة التي من يها عليك اكي
 تستحق بها سعادة ابدية . وانت تدعها تجري عارة عبثاً . لا تحني مهها
 فائدة ولا نفعاً

الفصل الثالث عشر

في ان الزمن هو فرصة لا تليق

ان الزمن مهما كان قصيراً سريع الزوال . خصَّ صفة جزيلة
 الثمن والاعتبار . وهي كونه فرصة الابدية . لاننا ببدء يسيرة منه نستطيع
 ان نربح ما نحن مزمعون ان ننعم به الى الابد . ولهذا قول القديس
 يوحنا الانجيلي يعبر في النسخة اللاتينية قد اقترب الزمن بقراً ايضاً
 في نسخة اليونانية قد اقتربت الفرصة رؤا ٣ . وذلك لان زمن هذه
 الحياة فرصة بها نستطيع ان نكتسب الحياة الابدية . فالاقدمون
 لمعرفةهم بضرورة نفع الفرصة وعظم فائدتها جعلوها المقدس ليديوا بذلك
 الفوائد الجليلة الواصلة منها للذين ينتهزونها . وكانوا يرمزون اليها امرأة
 على بكرة تدور دتماً . ولما على رحليها حبة كايثيرون بها الى سرقة
 حريها . وكانت دواب شعرها المسدولة على وجهها تصدها عن النظر .
 كان ذلك دليلاً على صعوبة معرفة الفرصة . وادما حضرت واستعرفت
 اليك فلك ان تقض عليها بشعرها اما من وراء . فلا شعر لها بل رأسها من
 ورائها اجرد . لان الفرصة اذا قامت مدبرة فلن تجد من وراءها . تمسكها
 اما اوسابيوس الشاعر الوثني . فرد على ذلك ما يدل به على
 الندامة التي تستلحق على من يدع الفرصة ان تختار باطلاً قال : ان
 الندامة مركبة على منكبيها . لانه بعد مرورها لا يبقى شيء اخر غير
 الندامة . واخرب صوروا الفرصة ايدهم لولاها اما واما لا افرقة تحتد

سها ايها الناس كثيرين من الالام . سائرة صحة الزمن الذي كانوا
 بصوروه ربي متغرب ذي اربعة اجنحة . طوأمر من قدير معلماً ماهراً
 بان يهيئ له صنيعاً يفرغ في عمله صناعته ويمده لوقت يريده للملك
 ويطلبه منه . وكان هذا العمل يقتضي مهلة سنة فلا يمكن ان
 يطلبه الملك قبل تمام هذه المدة . واذا خالف امره فضي عليه بالموث .
 هل كل هذا معلم يتهاون في تكميل هذا عمل . قتل لي الال
 يا هذا لسا لدين توعدنا الله بحارده الحياه الابديه ان لم تكن تجد في
 دنوسا صورته تعالى وثبتا في نعمته . فكيف اذا تتهاون في هذا العمل
 الذي مرنا تعالى به بوصية صارمة . وندع فرصة ربح خلاصا ان تحار
 باطلا

قدان تاو فرسوس وديموكرتوس الفيلسوفان . ان الزمن هو نفثة
 ثمينة جداً . وقال زينون الفيلسوف ان الزمن هو الشيء الذي يحتاج
 اليه الانسان اشد احتياج . اما بليتيوس فكان يعتبر الزمن عظيماً . حتى
 انه لم يكن يضع منه دقيقة واحدة . واذا اصر يوماً ان اخيه متشياً نزلها
 زحرة وونخه على ذلك فانك لا قد كان يمكنك ان تصرف هذا الزمن في
 امر افضل واتق . ومرة اخرى اذ كان دنت الشاب يسمع احد خدامه
 يقرأ عليه كتاباً واتفق ان احفظ القارئ اوفقه الشاب . يتصحح ملطه . وقد
 ذلك بليتيوس نقيصة في ان اخيه وتضيع زمن وواخذه على ذلك ووثبه
 ايضاً . وكان سينيك الفيلسوف لما وقر في نفسه من اعتباره الزمن كان

يقتضيه على كل شيء . ومن ثم قال في هذا الصدد . من تراه يستطيع
 ان يقدر الزمن حق قدره . فان كان العلماء الوثنيون قد اعتبروا الزمن
 بهذا المقدار مع انهم لم يكونوا يعنون الله به ترجيح الحياة الابدية . فما الذي
 ينبغي ان نفعله نحن المسيحيين

فاعتبر الآن ان دامت ستكون ابدية ان لم تنتهز فرصة الزمن
 نكتسب ملكوت السماء . امت شعري ماذا يكون حزبك لما تقتكر انه
 كان يمكنك بطليل من الاجتهاد ان ترشح هذا الملك السماوي . وقد
 حشرت لاجل لده وقية . فما شد ما كان عيط عيسو وما أمر أسعفا
 استفاق من عملته ورأى ان احاه الصغير قد اكتسب بركة بكورثيه لانه
 قد كان باعه اياها باسكلة عدس . فكأن يفتخب ويتهدد الصعداء
 والرهات من شدة حرته . ويتملل عيطاً من فرص رجزه . فهذا مثلك
 وهذه مرآة تعكس لك عملك فاعتبر انك قد بمت ملكوت السماء لاجل
 لذة يسيرة زنة . فما الذي كب تقعله لو تسقص في جهنم إلا ان تحرق
 متوجعاً بدموع ابدية على ما حشرت زمن وجيزه ولات حين ندامة . ان اخوان
 لوط الذين كان حشهم على الخروح من المدينة ولهرب معه كان يمكنهم
 ان ينحوا من النار فلم يرتصوا ومشورة لوط بل ازدروا بها . فاداروا المطر
 الناري هائلاً عليهم ومحرقاً جسادهم والمدينة معاً . كم تأسفوا وما كان
 حزنهم على رد لهم المشورة الحميدة واهمالهم الفرصة الخلاصية . هكذا
 حنوب الملك وجد فرصة مناسبة جداً لمسامة داود الذي كان ارسل اليه

يقتضون عليه شروط الصبح يدعونه إلى السلم فلم ير صبح لدعونه، فلما شاهد الملك الجاهل مدنه فريسة لئاز وسكها يذبحون كالغنم في انحرده، ففكر ما الذي كان ينبغي أن يعطيه رداً، ففرصة يتنعم بها ويودع مثل هذا الملك العظيم ونحوه ملكه في سلام، فلاما سبة بين هذا وبين رجز الحاطي، فمالك الذي ينظر دانه يوقدا لئاز لانه يابه لأصصراها، ويلاحظ انه صار عدواً للملك السما إلى الابد، وبه من استحيل ان يملك مع التديسين، فباله من حرب مذهب ورحز شديد كلبي يقتريه إلى الابد

ان اللص الشرير الذي صلب مع السيد المسيح ووجد ورفيقه لاص لاخر فرصة سعيدة لرح الخلاص فلم ينفع بها، ما اعظم لان دمايته على جهته وما اسخن دموعه على عباوته، وما اشد تأثني ذلك الغني الشرير الذي وجد أيضاً فرصة جيدة كان يستطيع بها ان يحسب عن حصايه لو احدثه شفقه ورحمة على لئاز المكين، فلم ينتهر تلك الفرصة بل تغاضى عنها معرضاً وظهر نحو ذلك المسكين اشد قساوة من الوحوش، اذ كانت لكلاهما نحو عليه وتحس حراحيته مداوية لهاء وهو لم يسعفه ولا بنات مائته، فما لذي يقوله الان وما الذي يتدب به نفسه اذ قد فقد كل شيء، ولا يمكن ان يسعف شيء حتى ولا بقطة ماء، وذلك لانه اني ان يوجد بنات مائته على الفقراء

فاعتبر الان ان زمن حياتنا كله هو بالحقيقة فرصة لربح

المجد الابدي . ومع ذلك فقد تعرض في مده حياته لفرص اخرى يتفق
 بها مرحلاتا تعلقاً خصوصياً . وادانتهزها واستفاد منها فلم الله ان
 يفتناعوناً خصوصياً كما عرض يوسف صديق حين قرء مذبراً عن
 سببته وعاد ردآد في يده نالاً يفيض الله حاقه . فانه بهذا الفعل اعظم
 جداً الم الله ان يهتم به اهتماماً خصوصياً . ويعم عليه بحسنات حانية .
 وهكذا سوسه لفتنة قد اعتنت لفرصة التي عرضت لها . وفارت بها
 بالخلاص . لها دائرت . وت على الارتضاء باليدة لخدمة التي كان
 يعرفها ساد ذلك شيخ . حارت مستحققات عررد ونعماً جليلة . فحذرن
 ان من ان سهل فرصة ممارسة عمل صالح يمكن ان ندعو الله به الى لاهتمام
 بامر تخليصنا اهتماماً خصوصياً . وفي هذا قال الحكيم لا تنفوتن يوماً
 صالحاً ولا يمتديك جزء من عطية صالحة سيرخ ١٢ ١٤

وقد قال شيشرون في تعريفه الفرصة انها جزء من مناسبات
 لفعل شيء . وقال ميتريداس ان الفرصة اش جميع الاشياء الواجب فعلها .
 وقال بوليبيوس ان الفرصة رأس كل امر نشري . ومن ثم ، انكم بعض
 المعين الروحانيين عن انتهار الفرصة لممارسة عمل صالح . قالو ذلك دليل
 على الانتخاب لسعد الابدي . وطار كيف اجتهدت راحيل مسرعة في
 احفاء اوائل بيها التي كانت استرققتها . اعتبر كيف نادرت ايحائيل الى
 ملاقاته داود الملك للآلتوت الفرصة لماسة لتسكين عضه . ولو
 تاخرت قليلاً لاريب انها كانت قد عدت وزوجها واهل بيتها في

خطر فقد الحياة . لاحظ كيف جد ابرو الاباء ابراهيم في طلب الثلثة الملوك
الدين كانوا اسروا لوط ابن اخيه . فلو اعمل الفرصة لم ينج لوط من
الامر ولم يفز ابراهيم بالظفر . وباتما جهد وسرعة جمع شاول الملك جيشا
ليجهد مدينة يابيش جلعاد في الوقت المناسب . فلانك اذا في هذا
الامر اي في انتهاز فرصة الخلاص اقل اجتهدا وسرعة مما كل اجتهد
اولئك في الاشياء المادية . فلنصعب الى مشورة الحكيم القائل ان
كفلت صديقك فحلب نفسك لانك قد حصلت بين يدي قريب
(امثال ٦ ١) . فلتأمل اولئك الذين ابرءوا عهودا مع الشيطان ووقعوا
عليها بخطاياهم . وليطروا بآية سرعة ينبغي ان يعرفوا من يديه ولا
يضيعوا فرصة وزمنا . ولتأمل ايضا اولئك الامرءون بالله لكثرة
احساناته اليهم وعظمتها ولسا عاهدو به الله عز وجل معتبرين بأي
اجتهاد وسرعة يجب عليهم ان يفوا ما هم ملتزمون به . وهذا قد نبهنا
اليه الرسول بقوله فاقول هدايتها الاخوة ان الزمن قصير (١ كورنثس

المقالة الثانية

في . بين الرمي واللمدي من طرف الطريق حياة الحياة الرمية
ورماد مستقراً وفيها تسعة فصول

الفصل الأول

في نهاية حياة الرمية

فلنعتبر الآن اعراض حياتنا هذه الشقية الكثيرة لمباشرة
للاعراض الانسية واولها ان حياتنا هذه لها انتهاء . وانما في هذا الامر
شيئان يجب ان تأمأهما . اولهما انتهاء حياتنا . وثانيهما كيفية انتهائهما .
فلو فرضنا ان انتهاء حياتنا في اختيارنا . وسنرى سببنا هما
منوطة بسلطاننا . او كانت كيمية خروجنا من هذا العالم من دور مرض
وموت . لقد كان محمداً كور الاشياء الرمية على وشك الانتهاء سبباً
كافياً لان تحرقها . اناء البلور البهي لو يدوم نظير الذهب لكان اثمن
من الذهب نفسه . واما اذ كان سريع العطب فلا اعتبار له . وليس من
المستحيل ان يحفظ زماناً مستطيلاً . وهذه الشابة تشين حياتنا هذه .
بل سرعة عطبها وزوالها اعظم من سرعة عطب البلور . لان حياتنا
معرضة لالوف الوفير من المحاضرات ورسبت من هذه الاخطار
جميعها وجب علينا ان نحرقها وكل خيراتها الرمية . لانها سوف تنتهي
وتزول . واما الذي يلاحظ بعد ذلك كيفية انتهائها بالموت والامراض
والكورث التي تتقدم الموت وتقيده له سبباً قلة ان يتعجب مندهلاً من

ن لاساب . و لو د نوت بوجه عسرة مسعادة رمنية وهو عارف
 . الشقاء امترح بها . فلما لحظن ما حل من شقاء يا تيوحوس الذي اسولى
 على اهلهم جريالة العدد . فانه اذ كان رهيا بالضر . استحوذت عليه ما يحوليا
 مهلك . ما طمت عن جفه لده اليوم وسلبت عقله . فعاد لا يغمص حفيه
 . الوس يالا ولا بها . او احد يقذف اعماء من حلقة . وتحملت مفاصله
 فصار عاجرا عن كل شيء . الا انالم . فالدى كان قبلا يحيل له ان له
 سلطانا على امواج البحر . وانه صايط في يده على الحبال ملكة البحر عن كل
 حركة وصع لا يستطيع ان يحطو خطوة واحدة . والذي كان بالاس
 موشعا بالخر والارجوان يجر اديال الحلل الثمينة المزخرقة وتغوح منه
 الروائح الذكية . غدا بته حيفة متكرهة تنبث عنه نانة لا تطاق حتى
 اضطر الامر حذمه الى ان يتعدوا عنه هاربين . واد كل حيا بعد
 امتلا حسنة دودا كان يتأكله ويرعاه . الى ان فاض اخيرا بروحه
 الشقية مجدفا . فتأمل اذا انتوحوس هدا حين كان يتالا افضل من
 الذهب على خيل مسومة . ترح الارض من صواته وسلطته وكثرة
 عساكره . ولا حظه بعد ذلك ملقى على فراش حار القوى كمد النور
 متنق الراشحة متروكا من الجميع فكأنه مربة وماوى بدود . فمن ذا الذي
 بعد مشاهدته ما صار له انتوحوس يحده ويشتهي ما كان عليه . من
 ذا الذي بعد تامة هذا الموت يصل سعادة الحياه الرمنية . من ذا الذي
 يختار وظيفة جزاؤها هذا الشقاء العقيم

فاعتبر أنَّ أيها المؤمن مآل خيرات هذه الحياة ومثلها كمثل مياه
الاردن الصافية التي تنتهي الى حمأة الخيرة السادومية المميتة . تأمل كيف
انتهت حياة هيرودس بن اغني الاسكولوني واغريبا . فذاك مدا ما كلاً
للدود . وهذا امسى ما كلاً للقل . لاحظ ايضاً كيف انتهى اجل حاب
الملك الذي انتصر على بلاد سوريا وعلى اثين وثلاثين ملكاً . فقد انتهى
ملكه واعدمه الحياه سبهم . فدللتنا واحشاه . فحاصت مركبته ، وبوكيه يدمه
ولحس الكلاب دمه كدم فريسه . ومثله انتهى حياة ابيه يورام . ومن
اعداء طعنوه سيفاً احترق ظهره وظلوه فطرح مائتاً وتثرت لحمة القبر .
ولم يعط من ارض مملكته ستة شبار يدفن فيها . ومن دا الذي عند
مشاهدته فيصر المظفر امككل به كاليل انتصاراته العديدة . يحضر له
ببال انه سيراه بعد ذلك مانساً متحماً بالحراح مخضياً بدمه المراق من ثلاثة
وعشرين صكناً ومن كان يعتقد ان قورش الذي اخضع قضيب
سلطته اعتناق الماديين والاثوريين والكلدانيين . واملاً ذكر انتصاراته
المتصلة في مدة ثلاثين سنة العالم دهشة واهبة يرمع ان يموت بحيلة
امرأة . ومن دا الذي لا يتخبر عند نظره الاسكندر الكبير الذي بنوة
سيفه انتصر على بلاد العم والهند واستقر له ملك العالم . تخور اخيراً
قوته كماها يحتمى يسيرة تدنقه ويتلاشي بها فتدار العالم وعمره
قبالصواب اذا قال احد الفلاسفة ان راس الاشياء هو عين الانتهاء .
لانه كما ان الناس تعرف من لوجه . كذلك يجب علينا ان نعرف الاشياء

من تنهاتها . وكانت الحياة تنهي بالشقاء . كانت الحياة كلها لا تكون
 إلا شقيه . فلا يحدد أمرًا بما فيه وقرته وثروته وسلطته وغرته
 وعظمته بلاطه وكثرة اصدقائه وجمال برده وسمو رقبته او درجته . لانه
 بمقدار سمو سعادته يكون عظم شتته . لان انتهاء كل سعادة هو عين لشقاء .
 وهذا الماسمع اجيز الاوس الملك ناسا يمدحون سعادة برياموس ملك
 النحم . قال لهم : كفوا عن هذا الامتداح لان حياة برياموس تنتهي
 بالالواح وقد ايد هذه الحقيقة مانور قائد جيش قرطجة واخوانيال
 انظروا انه اذ سقط مصابا ببحر حرميت . اخذ يخاطب اخاه انبيل
 قائلا : ما هذا الانتها . انتهاء الحياة والسعادة العالمية . ما عظم حمل
 الدين يرغبون القيام في مكان شامع سام . ان حال المقتدين من شامها
 ان تجلب العواصف . وعد الانتها . يرون انفسهم على شفير الهاوية
 وشك الاسترقاق . فيا عظم خطر قمة الكرامات الالهية ما اخذع
 رجاء اصحابها وما ابطال محدهم المسي على الفرور والكذب . ويا شقاء .
 حياة قد حكم عليها بتعب متصل . فساد تنفعني تلك الحروب التي
 حرقت فيها الفخر انقصوا واحصن المدن الي هدمتها وقتكت بشموها .
 وماذا تفيد في الان تلك اسارل التي شيدتها وزينتها بالذهب والفضة .
 وانا الان جريخ على الارض اموت ايسافي هذ القمر . فما اكثر الما صد
 النجدة ددها الان يا حي في عتلك ونعتقد عليها فبلك . وليست تعلم ما يكون
 انتهاؤها المر . وان ربي الان منصعا عتلك فاعلم انك سترحل بعدي

وتدبني سريعاً . هذا ما قاله ماعور لانيبال احيه

فلنكتفٍ بهذا ولننظر بنَ صمحا عن كل انواع الموت . بل
فداحظن ما تعده الناس موتاً سعيداً . اعني ان يموت حنفاً انفسه
لا قتلاً ولا فحاة . بل عرض يعتريه . فاقول هل من شقاء اعظم من شقاء
من يُعد سعيداً لكونه شقياً . وما اكثر اوجاع من يموت على هذا النحو .
فكم تضايقة اعراض هذا الموت من حرارة حتى تحرق احشاءه . وعطش
مذيب ينشف شفثيه وييسهما ويصدّه عن التكلم . ووجع رأس يمنعه
عن الفهم . وانقباض قلب ترققه ويبلغ به الى غشي ميمت . وغير ذلك
من الاوجاع التي هي اكثر عدداً من اعضاء الجسد ولا علاج لها الا الادوية
المرّة المستكرهة التي لا تؤمنه اقل من الوجع . وضاف الى ذلك
محس احكاه اذ يكره على مفارقة من يحب وما يحب . فضلاً عن انه لا
يدري اي مكان ينتهي اليه اُجهم ام السماء . فالكل محرد ذكر
الموت مرأفاذا يكون مخبره والاجنار به . ان شاول الملك قد كان
بطلاً باسلاً ذا قلب شجاع . ومع ذلك لما سمع وتحقق انه سيموت في الغد
سقط على الارض مغشياً عليه من شدة خوفه . فاما من امر ارض لحاطي
واقزع من ان يقال له ' انك الان تموت وتبان كل لداتك . وتكره على
ان تؤدّي لله حساباً عن جميع حياتك . فلو صرت قرعة لرجل مذب
مستوجب الموت على اية ميتة يموت . أفتلا بالسيف ام حنفاً . وهل
يكون ذلك بتمزيق اللحم ام بترعض الاعضاء . فكيف يكون حال قبه

وهو منتظر نهاية امره وما نصيبه من تلك القرعة. قل عن حال رجل يفكر
وهو في نزع الحياة انه بعد ساعة او اكثر قليلا يبرر الحكم عليه بالالدية
إما في جهنم وإما في السماء. لمعري ان حالة هذه لاسواء واشقى حال.
فأهي ذاك الحياة التي يدعوها سعيدة. فان كان مثل هذا الانتهاء يترأى ك
سعيداً ولم رد ان نشد على رأيه هذا فقدب ممن هو في حال النزع وللبأله
عن رأيه في هذه الحياة. ولستخبره عن ذلك حين يصيق صدره
وتغور عيناه. ويصفر انفه وتيبس رجلاه وتبرد ركبته. ويكد لون
وجهه وتترخي مفاصله وتكاد أن تسكن حركتها وتضيق أنفاسه
ويكون ماسكاً بأحدى يديه يقفونه السد المسبح. وبالأخرى شمة
مكرسة. والكاهن يساعده في ان يموت موتاً صالحاً ويحثه على فعل
الندمة. فاد ذلك سله تعلم ماذا يقول عن حياته فلا شك انه بمقدار
ما كانت اوفر سعادته. بقدر ذلك يراها حينئذ اكثر خداعاً وغروراً
لأنها على اتعوا المذكور. فما الذي كان حينئذ سدله لجميع خيرات
الارض. اني لاصنه انه يهبها كلها محباء. بل يعطي ما هو اثن منها لكي
لا يكون امتدكها قلاً ان كانت قد صدرت له سبباً عطية. ولقد كان
يبدل كل شيء ولكي يوهل الى اعتراف حيد. قال ولبس الثالث ملك
امسباب التي كانت لا تغرب الشمس عن حدود ملكها اني لاشتهي ان
اكون استئت بدلاً من هذا الحكم العظيم مدائح وظيفه بواب في
رهبانية حقيرة. فحقاً ان الموت يأتيا بوبر عظيم يكشف به عن خداع

العالم . تعلم أنك عند الموت نمرح لو عملت ما لا يتقدر الموت على ساءه .
 فافعله ذاك الآن وانت قادر عليه . فلو تنجح امروء بجميع لذات العالم الى
 ساعة موته . فما الذي يبقى له منها في تلك الساعة . لا شيء . بئس . بل انما
 يبقى له انقباض قلب اليم ويأس مميت . مثله قُلْ عن افعال التوبة
 واليرة القسفة . فلو احتمل امروء حثاً بالسيد المسيح ما احتلله اشهداء
 جيمهم ولا يشعر عند حلول الموت بشيء من ذلك . بل انما يفوز باوفر سرور
 واعظم عزاء

ناشدتك الله يا صاح اصغر وتامل قليلاً ما هي الغاية التي خلقتك
 الله ما وتركك لاجلها في هذه الحياة وكان قادراً ان يخلقك الى السماء .
 العمل قصده تعالى لذلك كان ان تفرغ جهدك في ان تضع الرمن كوحش
 يتسلخ بحمأة الشهوات الخسية الحمية او ان تسعى في طلب كرامات
 خيالية . لا امر الله . بل انه تركك على الارض لكي تمارس افعال
 القصصية وتستنقح بها ملكوت السماء . فاعلم انه امر مقضي عليك به ليدركك
 ان تطهر امانتك ولا تأبى في خدمته احتمال مشقة . لهذا ادخلك
 تحت رايته لتعارب عنه وتغار على كرامته . ولهذا قبلك في حندية هذه
 الحياة كما يدعوها ايوب الصديق . فما رايتك في جندي يخلع عنه الاستحفة
 اد شبت نادر الحرب وبدلاً من ان يحارب مكافئاً ياهو ويمرح لاعباً . وما
 فوالك عن رجل حاكم عليه بالموت وهو يترجح صاحكاً فيما هو داهب
 الى القتل . فالانسان منذ خروجه من مستودع امه لا يزال ساعياً الى

لموت الذي 'حكم به عليه . ولا يدري هل 'ساق' قد موته الى موت
 ابدى في جهنم . لانه في الاقل يعرف ان ذلك لا يستحيل . فكيف
 ان يبسط في لدات هذا العالم لاهياً . لو عرف التاجر انه عند وصول
 مركبه الى ميناء يدركه الفرق . فهل كان يشحن شيئاً ثميناً . واما اكثر
 الذين بعد أن بنفوا جانباً عظيماً من الخيرات الرثية هلكوا عند الموت .
 لانهم لم يريدوا ان يبارحوه وان يارحتهم هي

قد خبر امبروس عن رجل كثير الغنى انه اذا هزه الموت امر بمخدمه ان
 يأتيه بكل اية ينبت . الدهنية والقضية . فتاوضوا ذلك تجده عينه طفق بحاصب
 بسسه قائلاً انظري ما نفسي هذه كلها . اني عاهدت بان امتك بجميعها
 بل باكثر منها حذاً ان كنت لاتعاقبين جدي . قال فشدت
 عليه اوحاع مرصه . فصرخ حينئذ برجز عصم قائلاً ايها النفس المدعة
 الوفا . اذ لا تريدن ان تعلمي ما اربعة مات وهو ان تستري مقية في
 جدي فاذهبي الى الشيطان . قال هذا ففاضت نفسه لشقة . فمن هذا
 الخبر يمكننا ان نفهم بطلان الاشياء الزمنية والضرد الناشي عنها ان يباق
 قلبه فيها بحجة مغرطة لانه هل من بطلان اعظم من بطلان شيء غير
 نافع عند الاحتياج الكلي . وهل من شر اعظم من كون شيء مضراً بالنفس
 قد ذكر المصلح دوبرنوس ليسوس انه اذا كان يبحث مريضاً على
 الاعتراف بذنوبه والاهتمام في خلاص نفسه . كان اهل بيته يتركونه
 في داره من حجة الى اخرى محبدين ومحدثين في اختلاس ما تصل اليه

يدهم . فلما شاهد ذلك المريض . وجهه احمره من امر خلاصه الى ما
يسرق من امواله ومتاعه . فأخذ يتهد الزفرات ويصرخ قائلاً الويل
لي ثم الويل لاني كثير اما عيت ربح هذا القبي الغرير والاب تفتري
الضرورة لاني تركه فقط بل الى مشاهدة اختلاسه مني ايضاً . فها اموالي
وياذ خازني أهكدا تنتقل مني الى ايدي عريية . واد كان يشكو امره ويلوم
نفسه على ذلك قضى تحبه وهو متعاضٍ عن خلاص نفسه ومات موت
وثني . وقد خبر المعلم فيسنسيوس عن رجل كان لقرص واحد اربعه
دينير بشرط ان يردّها له اثني عشر ديناراً بعد اربع سنين . فقبل ان يقضاه
هذه المدة حضرت سائته الاخيرة . فافتقده كاهن وشرع يجتده الى
الاعتراف الا ان المريض لم يكن يحبه لاسهده كلمة لا غير . لي عند
فلا ان انا عشر ديناراً . واد كان يقول هذا فارقت نفسه جسمه ومات .
وخبرنا القديس يرودينوس انه اد كان احد الكهنه يجرض مريضاً على
التوبه كان المريض يسأل الكاهن عن سعر الطير وثمن الخوخ . فبعد ان
الكاهن كان ينيبه بميرة عظيمة قائلاً له دع عنك هذه الامور جانباً
واهكر في خلاص نفسك . فلم ينتصع المريض بل كان يكرر سؤالاته
المتقدم ذكرها مستغنياً عن التعاره والارباح لدنيوية . ولما كان الكاهن
يشدد عليه التوبه مستحثاً اياه على الاعتراف بالحاج اجابه المريض من
موره يا انا غير ممكن لي ان اعترف . فهذا كان اعترافه . ولم يقل هذا
حتى توفاه الله وهلك

فهاكم الثواب الذي تكافى به الخيرات الارضية الذين
 أحبوها . فآها من جعل نبي آدم . انهم قد رزقوا هذه الحياة القصيرة
 ليربحوا بها الخيرات السموية . الراهنة . وهوذا هم يصرفونها في ربح
 الخيرات الارضية الزائلة . التي لا فراط حبيهم اياها فهي زمعة ان تهاكم
 الى الابد

فها الان نتأذ في القول . متأملين اسأنا يموت في
 اسعد حالة . وحسبنا ان نظر كيفية هيئته عند انفصال نفس
 من الجسد . فما اشنع ما تكون جثة حنيد وما رهبا . فترى محبه
 واصحابه جميعهم يبتعدون عنه هارين . ولا يطيق احدهم ان يمكث
 وحده لديه ليلة واحدة . واما اقرباؤه فيجهدون في ان يخرجوه سريعا
 في كهن حاق . وبعد دفنهم ياد بيومين ان تذكره احبائنا فذلك امر
 عظيم . فهوذا الذي كانت اوسع المارل ضيقة لديه . قد حط وتمد
 كله في مكان طوله عشرة اشبار . والذي كان يضطجع على الفرش
 الوفيرة الناعمة قد غدا مهاده السوس وعطاؤه الدود كما قال اشعيا لبي .
 واد يكون مرغى ومستأكلا للدود والحياك تكون اقرباؤه مستهجرين
 بتوته متنعين بغيرائه فتقرس ان استطعت في جثته بعد موته بثانية ايام .
 ما اكره منظره وادبه . فهل من فرق بينه وبين كلب ميت مدود
 ملق على المزابل . فهذا حال جسدك الذي تعزاه الان وتشمع . الذي ربما
 يكون بعد اربعة ايام مرغى وماكلا للدود والحشرات

خيرنا معلم اسكندر انه فتح يوماً قبر احد الامراء. وبصر الخاضعون
صفحة ضخمة جداً تستأكل وجه الامير. ومعها حشرات كثيرة مختلفة
الانواع تقرص لحمه بايها. فاشهر به ابن الامير. وكان اذ ذلك شاكى
عنقون صوته. بادد مسرعاً ليرى ما سمع به. ود انصر ذلك قال.
متهداً ومتأسفاً. فهذا ذاك حبيسا الذي ربيه في التعم. ونضجه على
القرش الوثيرة في منازل الخمجة. ونفذه باليد. آكل واشها ونعلاه
بالطيف المشارب وأروها. وكسوه الثمر الملايس وانعما. فالاولى في أن
انامله لان بصرامة. وأتمته بأفعال اتوبه حتى اذا مات واناحي لا
يصحابني واناميت. قال هذا وعزم على خلع الامارة وأناصيل العالم.
واحتار حال الفقير حباً بالسيد الشيخ. فذهب مختبئاً الى روميه. وهات
اخذ يعذب جسده بأصبر التعذبات. ثمراً أفعال الهداسة. وكان
يقبض جسده بما يرمحه من صنائه عمل المحم. فاحيراً. اتفق يوماً وهو
ماص الى رومية يبيع ثمنه. ان اعتراه فتة مرض عضال فاحمله مصر
عجيب. ثم اسلم نفسه بمباركة بدي سيده. وفي حين موته صوتت كل
اجراس رومية من ذنبا. فاندعش من هذه الانحولة الحس الاعظم
وكل اكار بلاصه. فاحيرد راهب بسبب العجب. وكان ذلك الراهب معلم
اعتراف ذلك لاميروموى. واتفق أن كان وقتي رومية جنود وقواد
مرسلون من بلاده. انشوا عن اميرهم المدحصور. فملوا جسده الى
مدينته بكل اكرام وتوقير.

وذكر أيضاً عن القديس فرنسيس بورجيا اليسوعي الذي كان قبل
 ترهبته نائب ملك اسبانيا في بلاد كاتالونيا أنه بعد موت الملكة اليبسات
 امرأة كارلوس الخامس سُلِّمَ له جسدُها ليدفنه في مدينة غرناطة. وكان
 جسدها محفوفاً داخل تابوت من رصاص. فلما وصل إلى المدينة وفتح
 التابوت يسلم جسد المشبه أمام شهود. فرأى الحد قد تغير تغيراً تاماً
 وصار منظره متكرهاً مريماً. حتى أنه لم يعد يجسر أن يثبت بقسم
 كجالف العاده أن هذا جسد تلك الملكة التي كانت عرة دهرها بهاءً
 جمالاً. واد انصر ذلك المتشعوب ارتدوا عنه راحمين ولم يقدرُوا أن
 يشاهدوا هذا المنظر الشيع وقاموا بفر من التائه المنبئة منه. فمن ذا
 لا يستدل من هذا على بطلان العالم لأنه هل من شيء أفضل شرفاً وكراماً
 من شمع الملك أو الملكة في حياتهما. فها هو ذا بعد موتهما تهرب منهما
 كل حواشيتهما مشحازين منهما ومسكرهين منظرهما. واذ كان في قيد
 الحياة من يمور بالقرب منهما ويكلمهما حائياً امامهما بعد حطة سعيداً.
 ألا أنه بعد وفاتهما يفر منهما كل احد ويتركهما الجميع قوماً للدود أو الكلاب
 وهذا كل من حال ليصابات الملكة. فبعد إلى صدره أن نائب الملك يتقدم
 ذكره أعني به فرنسيس بورجيا. اذ تفرس في هذا المنظر المخيف. احد
 يتأمل في ما كانت عليه الملكة وهي حية وما صارت اليه وهي ميتة. وكان
 يقول في نفسه اين ذلك الوجه البهي. لقد استحوذ إلى ماذة منتنة
 ومرعى للدود. ين تلك العرة وhibة الثلاثنة قبلاً في كل جسدها.

وهذا دبة الى الله من تأمله ذلك وعزم على ترك الاشياء الزمنية رغبة في
الاشياء لادبية . وعتقد من ثم حميدة على ألا يعذرنا إلا الذي لا يعتريه
الموت

ولقد كان فلاسفة الهند المعروفين ببراهمه يخفرون امام ابوابهم
قبوراً مفتحة لكي يتذكروا الموت . دخولهم وحروهم على الدوام لاسم
كانوا يملكون ان ذكر الموت يفيد حداً لاصلاح السيرة . وما قاله افلاطون
في هذا الصدد هو عين الصواب الحقيقة هي . الحكمة التأمل في الموت .
وقد حبرنا مؤرخون عن رجل سني السيرة اعترف للحبر الاعظم بخطايا
ثقيلة جداً وما فرغ من اعترافه قال انه لا يقوى على ممارسة الصوم او
فعل من بقية اعمال تتوبة القشة ومن ثم طلب الى البابا الايكاتمة قانوناً
ثقيلاً . فوهه الحبر الاعظم خاتماً محموراً فيه هذه الكلمات تذكر الموت .
وامره بان يقرأ تلك الكتابة ويتذكر اموت كما وقع نظره على الخطيئة .
ثم فعل هكذا مدة بعض ساعات . اثر ذكر الموت في قلبه تأثيراً عظيماً
حتى انه رجع الى الحبر الاعظم متصدياً لمكابدة اشق القوانين واصعبها .
فالعذوة الجهنمي يذل كل جهده في ان يلهينا عن ذكر الموت والتأمل به .
اني لا اتعجب حقاً من ان فكر صرر زائل او خسارة رمنية من عاداته ان
يسلب من الناس الرفاد ويحرمهم لده الوسن . واما حقيقة الموت الذي
هو ارب من كل الاشياء المرعبة فلا تؤثر في قلوبهم ولا تمح كهم الى
التوبة

الفصل الثاني

في صفات نهاية خيرة ايمية

انه ما عدا ما يلحق بالسعادة العالمية من الشقاء. فوجد اعراض اخر
باهطة تقترون بنهاية حياتنا بحجب علينا كل الوجوب ان يعتبرها لكي تختقر
جميع حيراب هذه الحياة. وعليه فمدار كلامنا الان. اولا على ان الموت
محقق اكيد الحدوث ولا حيلة في صدّه ولا سبيل الى الهرب منه. ثانيا
ان وقت حدوثه مبهم ولا وسيلة الى معرفة كيفيته. لانه ما من احد
يعرف متى ياتي الموت ولا كيف ياتي. ثالثا واحيرا ان الموت يحدث
مرة لا غير. فيمتنع من ثم ان نصح بموت ثار نقص الموت الاول. وفي
اول الامر نقول ان لزوم الموت هو كيد محقق

ان الله لم يسن قط شريعة ثابتة مقررة لا يشوبها التحاليل نظير
شريعة الموت لانه تعالى حل مرآ نظام الطبيعة وشرائعها. لانه لم يعمل قط
شريعة الموت وان يحبسها ابدا. وهذا الحكم الالهي لم ينفذ في الدين
كأنوا يستحقون موت فقط. بل في من كان يقتضي العدل ان يكون
بريا منه ايضا. قد انحلت في الحبل في سيدنا يسوع المسيح لشرائع
الطبيعية القديمة ان يكون التنازل البشري بواسطة رجل وهذا بوليصة
الوالدة. فلكي لا يكون هذا في ولادة السيد المسيح قد اضطر الى هذه
الشريعة الطبيعية الى اعجوبيتين مذهبتين فولد به الازلي من أم تتول.
اما شريعة الموت فلم يبرئته تعالى منها وان لم تسن عليه فانه كان

وصع الشريعة ورباً من كل خطيئة حتى الاصلية لتي توحى علينا
 الموت بل كان نطق الجسد الاقدس عدم الموت وهو احد الاربعة
 الكمالات المجيدة. ذلك لان نفسه القدسية كانت تشاهد الجوهر الالهي .
 فمع هذا كله لم يدع ابنه يتمتع بحقه هذا الكلي الصواب والعدل بل
 بقوة يده الضابطة الكل حبس في نفسه المجيدة تلك الكمالات اسديده
 وصدها عن ان تبرز مها في جسده كما كان ينبغي . وهذا كله لكي
 يموت . وان قال قائل ان ابن الله اذ كان قد ضمن بقاء الجنس البشري
 لاق لذلك بحلال حوه ومجنه ان يموت موت الصليب . اُجيب ان
 هذه الحجة لا يصح ايرادها عن والدته المثلثة المبجلة . لانها اذ كانت برية
 من الخطيئة الاصلية لم تكن خاضعة لشريعة الموت . ومع هذا لم يرد الله
 ان يبرئها من الشريعة العامة . فساداً هذا السحر الذي يفتن
 عقولك ولا يصدنا عن ان نتحقق جيداً ضرورة الموت مع انها محققة عابدة
 التحقيق

وامعري لو كان الموت امراً غير محقق لكان مع ذلك من شانه ان
 يجعل الانسان مستيقظاً محضاً الخذر على الدوام . لانه على فرض ان
 الله خالق العالم واملاءً بشراً . وفل ان يموت احدهم عرف ان واحداً
 من الناس اعترته حتى وبائية . وشبهه طريق الفراش يتقلب في اوجاع
 امراض الميت من انقباض قلب وعشي مرعب وعطش مديب . وسبحس
 محبة وصطراب . وتحال قوى لي ان يبلغ اخيراً امرأى من الجميع الى

حال التزع . ويكمد لونه وتنقطع اندسة ويموت . ويعود جسده بارداً
 عديم الحركة . اما كل الجميع يندهشون من هذا المنظر مخبرين . أو
 كان يأخذهم الخوف والرعب بزيادة اذا ما شاهدوه بعد ذلك بثلاثة او
 اربعة ايام مستفحاً متناً وقد ابتدأ ان يدوده . فلا شك انهم كانوا يرتخفون
 فرقامن ان يصيبهم ما اصابه . وان الله قال لهم اني لست اريد
 ان جميع الناس يموتوا بل البعض منهم . ولم يقل تعالى من هم الذين لا
 يموتون فما كان يثبت كل واحد منهم فقفا في غاية الارعاج . خائفان ان
 يكون حفنة مع الذين يدرهم شقاء الموت والحال ان هذا يصيب جميعنا بلا
 شك ونحن لا نفتكر به . فان كان الموت الذي يحوم حوله شك
 وارتباب من شأنه ان يخيف هكذا . فكيف لا يخيفنا موت المحقق عندما
 والمؤكد غاية التوكيد . فلو قال عز وجل ان لا يموت من الجنس
 البشري جميعه الا واحد فقط . لكان الجميع يمرعون . فلم لاتزع انت
 و قد اضطر الجميع الى الموت . ولست تدري هل لايفاجئك قبل الجميع .
 فوان الله عين الشخص المرمع ان يموت قبل الجميع . ومع ذلك عاش
 هذا ملتياً متاضياً عن الموت . فما الذي كانت تقوله بقية الناس عنه .
 انما كانوا يندهشون من غبوة تغافله عن هذا الامر المرهوب . فبلا شك
 انهم كانوا يدرسون به ويونحنونه شديداً عن لحيته القطيع في هذا الامر
 الباهظ قائلين له كيف وانت عتيد ان تعود الى تراب تنعم جسديك
 الذي عاقرب يدع مأكلاً للدود . كيف وانت انسان سوف

تقتل بارء عرش الله لا تفكر في الحساب الاخير الذي سيطلب منك .
 كيف لا ترددي كل هذه الاشياء الرمية وتختقرها وقد حكم عليك
 بالموت وانت عتيد ان تغارقها . اما نحن فبحسب ما ان بهتم في تشييد
 المنازل وجمع الاموال لان حياتنا لا تنتهي . وب حياتك متعمدة
 مضطرا الى ان تردّها عدا فاما بانك مهتم في بناء القصور واحتشاد الاموال
 التي لا تحتاج اليها . فكيف لا تختار سكناك كوخا تعد فيه نفسك
 للسكنى في القبر المعد لك

قد ذكر احد اسمعين خبرا من شانه ان يك ما عن الضلال هذا
 قال . ان حديدا خدم سيده خدمة نصوحا سبعين عديده . وحلّ عده
 بمكانة من الكرامة والاعتبار فتمق ان ذلك الحدي مرض مرض الموت .
 فاد علم سيده بذلك اتاه حاكما باطيا حاديين يعالجونه ابتغاء الشفاء . وطلب
 اليه بالحساح ان يكشفه بكل ما يهواه فلبه وقال اني لمستعد ان ارضي
 خاطرك في كل ما ترغب وتشاء . ولا ابالي بالاسراف ولا يشق علي تعب
 ولا أعاب نصيب . واسهب في الكلام في هذا المعنى . فاحابه المريض اني
 انني ملك احد امور ثلاثة اما نجاة من الموت الذي قد ناهزني . واما
 تخفيف اوجاعي الشديدة مدة ساعة واحدة لا غير . واما ان تهني لي بعد
 الموت ميرا حسنا اوي اليه واستريح فيه ليلة واحدة فقط . قال سيده
 ان هذا كله منوط بارادة الله وحده وقوته الضابطة لكل . فتمن غير
 ذلك مما اقوى عليه اهبط لياه هما كان ثيبا فكل غرض لك متضي ان

استطعت اليه سداً فقال الحدي اند ذهب اذا باطلاً كل ما تكبدت
 في خدمتك من التعب ولم احق نقماً من كل ما فعلته لاحلك في جمع
 ايام حياتي . ثم اقبل بوجهه على الحصريين المحدثين به وقال هم تتأسف
 ودموع مهلة انظروا يا احوتي كيف بذرت الزمن باطلاً في خدمة هذا
 السيد . لقد انجزت اوامره بما في من الاحباء والحرس وعزرت بعسي
 مطوحاً بها في خطر هلاك الابدني . فتملوا الان صيق درعه عن اسعابي .
 فانه لا يستطيع ان يمد لي يد الموت ولا يقطع علي مساعدتي ساعة واحدة
 في صيقتي هذه الشديدة . فاني اصحكم واحصصكم بها الاحوة بالسمع
 ان تمنوا انظر متبئين مصنيين لصحبي وتنصروا بضالتي وتقوموا لنجاة
 من مثل هذا الخطر العظيم . فاجتهدوا ان تخدموا في هذه الحياة سيداً
 يقدر ان يكفكم شر الشقاء الزمني ويكنسكم باكسبيل المجد في الملك
 الابدني . ليت صحتي تعود الي ساعة باذن الله هالي به ان لا اخدم من
 الان وصاعداً اصلاً سيداً عاجزاً عن مكافأتي على خدمتي . بل افرغ جهدي
 كله في ان اكرم من وسع كل شيء علماً وهو تقدير ان يسترني ويستتر
 العالم جميعه . قال هذا وندم المريض تدامة شديدة وتوفي وابقى
 لنا نموذجاً فاعلاً يدعونا به الى ان نصرف حسنات الزمن الموهوب لنا من
 الله ورنج به ثواب الابدني

فها ان نتمرها او ردنا ثانياً وهو ان الموت مبهم . فنقول حقاً
 ان الموت شيء مؤكد . الا ان وقت حدوثه هو غير معروف ويحكم

حوله شك . لانه من دايماً هل يموت شيئاً او شأناً . عرض ام صمقاً
 بصاعقة او بسيف . يحور القوة شيئاً فشيئاً ام فجأة . هل يموت بين
 الناس ام في البراري المقفرة . فالوئ لا يزال باباً مفتوحاً . وهذا العدو
 لا يبرح مشهراً حراًه يصيح بها فؤادنا يوم لا ندرى . فالرعاة لا يزالون
 مسيطرين حرساً على رعاياهم . كلالهم المنبهة وان لم لا يترجع عندهم
 ان الدب يطرفهم ويفترس شيئاً من رعيتهم ولا يستحيل وقوع الامر
 المحذوره . كذلك المدن الحصينة محراسها يسرون بينهم ناصين الخفارة
 عليها حتى في زمة الصبح والسلام حيث لا يحصى هجمة الاعداء . ذلك
 احترازاً من ان يفتاهم عدو على حين غفلة . وان سمعت يا هذا بصوص
 يحرجور عليك ليلاً . تارو ايملك تعذاتك لايها اجواك وانت تائم
 فينبور امتك . والحال ان طروق اموت لا يزال فيه . بل هو امر
 في غاية التحقيق فام لا نلت ماهرأ مستيقظاً على نفسك . واست تعلم
 متى تموت . فلو كنت جالساً تحت سيف مرهب ثقل معان فوق
 رأسك يحيط روح . اما كنت تعذره كل الحذر ولا تغافل عن هـ
 الخطر . فكيف يمكنك ان تستر دفيقه واحدة من الزمن في حال
 الخطيئة المستمرة وانت ملق فوق حلة حهم بخيط رفيع حيط هذه الحياة
 السريع بقطعه والمكن حره في كل وقت بانواع كثيرة . منها قطع
 عرق في الصدر او امتحاح دمل في الاحشاء . او تصاعد بخار الى
 الدماغ او الحذر نقطة على القلب . او غير ذلك من الحوادث الجريئة

العدد التي كل منها كافٍ لآل يجرئك كأس المنون

الاسرائيليين اذ كانوا يجهلون وقت سفرهم . استمرو مستعدين
على الدوام للسفر مدة الاربعين سنة التي مكثوها في البرية . فكان
اداً مستعداً دائماً . فما ادراك متى يكون رحيلك . فان عزمتم على السفر
يوماً واحداً تُدبِجُ رص كل اهبة . وان بالغت في التأهب ينشق غائباً
انك نذيت شيئاً مما يلزم فمردانت على وشك الرحيل الى الابدية فهل
تظن انك ان لم تؤهل نفسك له تكن قد احسنت الاستعداد . فمن
ذا لا يشتهي ان لا يوافيه موت الأبعد المواظبة على خدمه لله قل ما
يكون سنتين والحال انه ليس لك ولا سنة واحدة مؤكدة . فتمام المهمل
والقائد عن خدمته تعالى فلا تشق بشدة بامت وصحة مراحت وعند
شبابك . لانه يتفق . ان يثب الموت بقتة في حين لا تفكر به . ويوم
الرب يأتي كالص في الليل كما قال الرسول ولا يعلم احد بالثان ولربما
يجي ساعه يكون رب اليك مفترقاً في نوم تعبيل . انه في اليوم
السابق يوم خروج بني اسرائيل من مصر كل عتلاً . مصر بين يجهدون
الفكرة في عظيم الامود وبغزموه على انجازها مد يوم او سنة . فلم يلم
احدهم الى صيغة القد

قد اخبر عيدو المؤرخ عن رجل حكيم قال دعاء صاحب له ان
يؤاكله في العدم . فقال لم يا صاح تدعوني ان آتي الى ويمتلك
في القد وانامد سنين كثيرة لا تحتر ان امد نفسي به . كني توقع

الموت في كل ساعة. وما المراد بما قاله النبي عربت الشمس وقت
الظهيرة (ارميا ١٥ ٩). بما يراد به انه لما نخل للناس انهم في نصف
طريق حياتهم وفي ريعان صباهم وعليه يرجون سنين واموالاً
عزيرة وعرساً معتبراً وكرامات غالية يواجههم وقتئذ الموت وتتع بهم
ايديه وتحول بينهم وبين متفرجاتهم المدة وتخط آمالهم في يوم
اعدوه ملاهي. كما حدث في قصة رواها اسكندر قايما قال ان
لاديسلاوس ملك اوتاريا وبوميا كان قد حطب لابنه ابة كالوس ملك
فرنسا. فلما حان وقت زيجتهما. مث. وكما من اشراف ممكته ليرافقوا
في الطريق عروس ابنه ابة ملك فرنسا. وكان من انضم المرسلين
شرقا استق مدنة ماسو. وكان اسعوثو. تمانه شريف وكانو موثعين
بافخر اللانس الملوكة وار. ل من جنس الاناث اربعمائة بنت من
اجمل بسات الدولة. وكن كلهن مزيات مائى الحلل وانهى الحلى.
وكانت مركباتهن مصفحة بصفائح الذهب وزفت. مهن هدايا غنية الى
الخطيبة. فلما دخل هذا الموكب العظيم مدينة باريس وقبل ان يصلوا
الى البلاط المعد لهم. اذ اريد مث به ملك اوتاريا وقد عليهم على
فرس. يعدوسنا ويده مكتوب من الملك المذكور فيه ان اسه العروس
قدمت. قباله من حرب عظيم وغم حسيم استعود على قلب ارسل
وعلى قلب ملك فرنسا ايضا. فاخذ الكرب من نفسه اشد مأخذ حتى
لم يستطع ان يوجههم. فارتد المرسلون الى بلادهم وبارا بالويل والشود.

هكذا يرث ربك الفرح نعماً ونحيل بهار السحبة ونفرح الى ظلام الكرم
والكدر كما قال النبي (عاموس ٨ ١٠)

قل لي الان يا من تؤجل توبتك وانت متكلم على الرحمة الالهية
انني تعلم انك تعطى زمناً لتستغيث بها . واذا اعطيتك . فمن اين تعلم بها
تستغيث لك . وكيف تقول تخاف العدل الالهي وانت تؤخر
توبتك الى اجل غير محدود من الزمن ولا تترك اردائل . لان تتركك
هي . ان مض الناس يعاملون الله سبحانه كما سامل ديونيسيوس الملك
صنم او قولوا . ان هذا الملك نزع عن الصنم ثوبه . ونصفه بالذهب وقل
له . ان هذا الثوب لا يناسبك في زمن الشتاء . لانه بارد . ولا يصح لك
في زمن الحر لانه ثقل جداً . كذلك هؤلاء لا يجدون مقاماً مناسباً
لخدمة الله . لانهم في زمن لصوة والكسوبة يقولون انه لم يأت الزمن
بمد . فاذا قبلت شيخوخة واشعلت رأساً شيئاً حينئذ تعني بممارسة
الفضيلة . اما الان فلست تريد ان توهن قوتنا ونذبل نصارة عمرنا ونكدر
كاس رغتنا بافعال التوبة حذراً من ان يتعدى العجز في ما يتبقى من
حياتنا عن ان نشرع بعمل . فاذا يموتوا من الشيخوخة يتعلمون بغير ذلك
قاتلين انما ممنون بسقام ولا نقوى على ممارسة افعال العيشة الشففة .
كذلك نخادعون الله ولا نخدعون الا انفسهم . وقد رذل القديس
يقوب لرسول قول من يقول انا ننطق اليوم او غداً الى مدينة
كذا ونقيم هناك سنة ونجرح ورنح ٤ ١٣ . فان كل

القول : انا استصيح كافي القدر . لا يصح نظراً الى الاشياء الزمنية . فكيف
لا يكون قول جهالة وغباوة بالنظر الى خلاص النفس الابدي وبه تعد
ثابت بعد عشر سنين او عشرين سنة او في حين الشجوخة نعتني في ما يملق
بأمر خلاصنا . لانه يمكن انما لا تبلغ الى هذا الزمن . فلم نوجع الى القدر
أمر الخزيلا الاعتبار يجب علينا بحجة باسرع ما يكون . وان لم نفرغ من
عمله اليوم فيمكن الانسلاخ الى القدر لنجزة . وهذا عين ما كان نغداً به
القديس اغستينوس قبل توبته ولذلك اخبر عن نفسه قائلاً : اني كنت
اشعر بان نفسي كانت مسبكة لخطاياي ولاصقة بها . وكنت اصرخ
متهدداً قائلاً الى : اقول عداء . ولم لا يقطع دس سيري في هذه
الساعة . هذا ما كنت اقولهُ وانا مذرِف دموعاً سخية بقلب منسحق .
(١٥)

اما في باب ما اوردها اخيراً عن الموت من نه لا يحدث الأمرة
واحدة حتى لا يستطيع ان يصح موت ثار نقص الموت الاول . فقول
ان الله قد حمل الانسان من كل حسن شعاعاً كائنين والاذنين واليديين
والرجلين . اذ فقدت الواحدة تفني الاخرى غناء . اما الموت فاختص به موتاً
واحداً . فان صالحاً نحو ما وان شريراً هلكنا الى لانه . فما اذهب واحدة
الموت هذه وما اذهبها فال اجل الامور واحرلها اعتباراً اي الموت . لا
يجرب ولا يختبر ولا يعالج . من ان امر الابدية منوط بهذا الوقت
الاخير . لم تكن لموت الأمرة واحدة . وسوء هذا الموت الوحيد لا

اصلاح له أصلاً . خبرنا بلور كوس عن قائد يدعى لسيكس . انه أمر
بالمواخذه يوماً على جندي عن زلة زهقت منه في الحرب . فوعده
الجندي ألا يباودها أصلاً . فاجابه القائد الحكيم . ما هذا الكلام .
الست تعلم ان الحرب لا يزال فيها احد مرتين (اه) . فلو تعلى قوس
لرجل ولاح لم يصرف قط سهماً حياته كلها . ويومر بان يرمي الغرض
البتعد عنه جداً بسهم نافذ . وان زل المرة الاولى واخطأ الغرض يحرق
حياً . وان اصابه يبط اموالاً عزيزة وهات جبيلة . فمن لنا ان يصف
ضيق هذا الرجل وخوفه حين يضطر الى فعل امر مستصعب جداً لم
يباشره في حياته قط وهو يعلم انه ليس له ان يصلح خطأ للمرة الاولى
برمية ثانية . هذه الحال حالنا . فلما نمت ولا مرة واحدة . ولما نخرّب
قط هذا الامر المسير . ونحن مزعمون ان نموت مرة واحدة . وهذا
الموت الاول ولوحيد تنوط ما ابدية العذاب اعطني واما ابدية الثواب
لسماوي

فحسب ان التفاضل عما يؤهلك الى ان تموت ميتة صالحة ولها ثواب
قد خلقنا الله . فدايك من الافعال البشرية اممكن تكررها ان تصح
. ركبته وتحسن فعلاً اسأله قتلاً . ومن ثم فما نحسره او لا يعوض منه
ثانياً . فالتاجر اذا عرقت له مركبة موسوفة في البحر فيمكنه ان يربح مرة
اخرى ما حسره بالمرة الاولى . اما الموت في كل مرة شريراً هل يمكن
ان يصلح ابداً . ولقد احسن احد المسلمين السامعين ان قال . ربي ان

الذين يريدون ان يباشروا صناعة او يدحاوا في امر عاجب ذي اهمية
يطيلون افكرك في اخذ الوسائط المناسبة والمؤدية بهم الى نوع ما
اردوا . فكيف اذا يتقاضى الاكثرون عن التروى في ما ينضي بهم الى
الموت ميتة صالحة وهو اصعب الامور الدنيوية كلها وعظمتها وحقيق
بان تجهد فيه الصيرة . فليكن اذا سلوكنا على الارض سلوك ناس
مرميين ان يموتوا . وانعتقد يتينا ما نستحيه حقا . فليكن باعمالنا اننا
عارفون بما سيصير . الا اننا نجعل مني يوافينا . ويجتهد كل ما في ان يمارس كل
عمل من اعماله كأنه العمل الأخير . وكأنه عند فراقه منه تنتهي حياته .
ولاسيما اصلاح سيرته فلا يستهل فيه . ولا يتأخر عن قمع اهوائه الشحرفة .
وتجرب افكاره من الارض ورفعها مع قلبه الى السماء . وذلك لتوجيه
عواطفه الى الله حاقه . ان الشجرة المروحة ان قطعها تسقط حيث
كانت مائلة . فان كنا مادما احياء على الارض ممرضين عن السماء
غير مائلين اليها . فما هي المهمة التي نسقط فيها . فلنحذف ثم لنخفف من حهم

الفصل الثالث

في السقفة بني رين . من رلامية وفي هذه الدقيقة

محقة جداً لانه ما تنتهي حياتنا

فيا انها الدقيقة دقيقة حياتنا الأخيرة وبدء لاندية ما اهيك
وارعبك . لاننا نمارق الحياة وحبنا نكره على ان نؤدي حسنا
عن حياتنا . وان نلج بدأ عريبا لانعرفه . انه بدقيقة واحدة تروى حياتي .

وفي هذه الدقيقة نفسها امثل امام الديار . وحينئذ ينتصب نصب عيني
جميع خطاياي الخزيلة العدد وقطعة حذاء . ويقضى علي بالحدود اما في
السماء واما في جهنم . ولم يكن لهذا الامر الذي هو اعظم الامور اكثر من
دقيقة واحدة . فلا يعود سبيل لاختلاج او اعتذار ولا سيلة لرفع الدعوى
الى محكمة اخرى ولات ساعة اجتهاد ولا استشفاع . فيا لها من دقيقة
مفرقة نعلت بها كل هذه الامور الهههه . ويا لها من دقيقة عظيمة بها
اعظم من جميع دقائق الزمن والابدية . يا لها من دقيقة ليست زمناً ولا
ابدية بل مدار الزمن والابدية . وبها يتغير الزمن من الابدية . يا لها من
دقيقة يسيرة صيقة وعظيمة جسيمة . تقضى بها اعظم الامور وتستوعب
امور جسيمة

فلكي نفهم جيداً ما اخوف هذه الدقيقة التي لا يستطيع الخاطي
ان يحوسها من عدل الديار الغضوب . لا تحري عنه شفاعه القديسين ولا
تغني عنه صلوات الكهنة . ينبغي ان نورد ما ذكره القديس داميانوس
في رسالته الى البابا اسكندر الثاني مما كانت تنقص منه فرائض هذا
القديس ويقشع بدنه خوفاً ورعباً كما كان يتذكره قال ذهب رحلان
الى حرش ليحطبا . فخرج مليهما تين ضخمة جداً ذو رأسين يدلع اسنانه
وكلهما سهماً . وعينه توربان شراً . فبرز اليه اشجع الرجلين ولما دنا
منه نادوه بضربة بفأس كانت يدهم تقطع احد رأسيه . غير ان الفأس
اقلت من يده بعد بضربة . فلما شعر التين بالمرح . هجم على الرجل .

وأشبه فيه آيابه . فشرع يصرخ مسكين طالباً من ربيته ان يسرع الى
 عونيه أو يناوله الطير ليتخلص من ذلك الدين نذى كار يسحبهُ الى وكره .
 الآاب رقيقه لعميم الشجاعة لم يقو إلا على الهرب . قرر متادراً رقيقه
 في يد الثنين الذي سحبه الى وكره واقترسه هناك . قال القديس
 داميانوس انني لا أقدر ان نصف كم برعني هذا الخير . ونبي انا مل مرات
 كثيرة حال هدا الثنين وحال هذا الرجل في تلك المغارة . حيث لم يكن
 من يقضي بينهما ويحسم النزاع . فلامعين ولا منقذ . ولا تنقي عن الرجل
 فريسة الثنين شجاعته ولا قوته ولا صراخه . فار صا تأمل القديس
 حال انسان ايس من كل معونة في خطر موت ربي قد اعمى قاه دعياً
 وحزننا هذا عظم مقدارهما . فإذ يكون رعب الما اصى وخوفه في تلك
 الدقيقة المرعبة انني فيها تحكم الله عليه حكماً لا يرد . وفيها لا يعود للشقي
 رحا عوب او غلاية او حلاص ويسألم لأراب السنين المجهمي الذي
 يقض عليه حالا . ويظل نفسه ويسحبها الى الله العظيم المحيية .
 فردد بخوف في دهك . ما قاله النبي عن الشيطان لئلا تخطفوا مثل
 الأسد نفسي حيث لا منقذ ولا خلاص امز ٣٧ . ويا ما رهب
 الوقوع بحساب اركون الشياطين حين يكون الخاطي متروكاً من
 جميع البشر وسنكه . ومن ملكة البشر والملكه ومن الي المراحم
 قال الابا الياس تلكه تربيته وارعد فرقاً عند ذكرها . الدقيقة
 التي فيها تفارق نفسي حسدي . والدقيقة التي فيها امثل امام الله

لدينونة . والدقيقة التي فيها يبرر العطاء علي . والحال ان هذه المثلثة
تتم في دقيقة الموت . وفي لها من دقيقة مرهبة تقطع حيط الرمن وتعد
سدى الابدية الملوطة بالموت الذي سيحاجنا اذ نكون مهينين في اطالة
حياتنا . وفي هذا الصدد قد اورد يونس اميلوس خبراً عن كارلوس
ملك نافارا . قال ان هذا الملك ادحارب فونه من افراط اهتمامه في
للدب اللحية لديه . اذ ان الاصابة بال شح حبه مائة مثلة من
ميد مستقطرة من عصير اعنب . فلهذا احدث حذامه وحاط عليه الملاحف
المبتلة بالماء . مذكور . وادلم يجد لديه متصاً يتقطع به الحيط . احرقه بشعلة
متقدة . فعلى انهيب بالحيف ثم باللاحف مبتلة بالبرق وعدا الملك
مستغرقاً في الهيب مات اسعته . فكان حياته منعقة بخط . وهذا
بعث هذا الموت المرنى له . واعري ان حيط حياتنا لاسرع قطعاً من
خيوط كتان . ومن دايقد ان يحصي كثرة الاسباب والطرُق التي ياتينا
مها الموت وبها . وما اصغر واحقر الاشياء لمنوطة بها حياتنا اذ انها تسوط
بحيط رفيع بل شعرة واحدة . كذلك انقضت حياة فايوس احد القضاة
الرومانيين القدماء . علق شعرة بحموميه اذ كان يشرب حليباً فاحترق
بها ومات . والموت لا يجد نانا مغلوفاً دونه . بل يحترق مسام الهواء
ويصادم الحياة ويقتصبها . لقد صدقنا الاخبار ان اناكر اوس الشاعر
مات من حبة اعنب . واحرق يقال له دروسوس اذ كان يلعب بتفاحة
صغيرة وقفت في حلقومه وخفتته . فلا حرم ان شهوت النفس ولذات

الجسم تهد الطريق لموت وتوسعه. وهكذا امير وس اعظم شعراء اليونانيين قتله الم المايخولاء. وفيل عن شاعر اخر يدعى سوفوكليس انه توفي بقتة من افراط فرح. وديونيسيوس الملك مات من افراط فرجه لما يلمه من خبر انتصار عسكره على الاعداء. واوريليانوس الملك قضى اجله وهو يرفص في يوم عرسه مع امته دوميتيانوس الملك عروسه. وكورنيسيوس غالوس وتطوس اتيروس وغيرها كثير من ماتوا وهم يرتكبون فعل الرنى. فليتنصع كل عارى، ويتعط ولا يقل اني لست اموت اليوم. لان من ماتوا بقتة لم يفسد احدهم به يموت في ذلك اليوم. فما عرض لميرك يمكن ان يعرض لك ايضا. وما طراً على غيرك لربما يطرأ عليك فاحذر وانتبه

الفصل الرابع

في السبب الذي من منه يكون انتهاء حياة

الرومية محمدا

فان كان الموت من شأنه ان يرعنا جدياً لان به ينتهي كل ما لنا في هذه الحياة. فما يكون اربعة اذا حملنا قهراً على ان نؤدي حساباً عاماً لذلك الديار العادل يوم لا تأخذ منه شفقة وقد مات لكي نحسن استعمال كل شيء. فكأن ايوب الصديق يحسن حساب حياته. ومن اجل ذلك افتخر الله به انه خليله. وقد شهد الروح القدس انه لم يزر وزراً في كل ما قاله آل مضايقه. ولم يعذبه الله من خطيئة صدرت منه. بل

قدمه . كما مثالا للصبر وقسوة التضحية . وهو قال عن نفسه ان صبره لم
 يمكنه على نقص وقته . يوب ٢٧ ١٦ . ومع هذا فقد اشار الى ان تادية
 الحساب الاحير لله لرهيب جدا . حتى انه لم يراط خوفه من صرامته قال
 من يطيب ان تعضدي في العجيم وتسرفني حتى يحول عصمت الوب
 ١٤ ١٣ . ومحمد الطرالي لرب يوم يقصب ويوم يكون تعالى هو الشاهد
 ولديان معا سيكون مرهبا مرعبا جدا حتى ان الذهبي فقه قال في عظمة
 اربعة وامشرين على الخيل مي . حيرانا ان تنقص طبيا الصواعق من
 ان ترى ذلك لوجه الوديع محبوب قد استحال الى وحيد عصبوب يردنا
 ويقصبا عه ونصعنا لسما . حير من ان شاهد تيثك العيين المملوتين
 حوا ورافة شررا اليا وترمق رماق الغضب

وقد اتفق يوما في هذه الحياة حيث تسود الرحمة ان ايقونة سيدنا
 يسوع المسيح المصوب اصرفت عينا بغضب عن جماعة من الاشرار ادكوا
 ينظرون اليها . في عثم ان صقع منهم ثلثائة نفس على الارض وحروا
 معشاة عليهم ولبثوا على هذه الحال ساعات لا يستطيعون هوضا . فما
 عساه يحل بالخطاة من الخوف اذا نظروا لا الى ايقونة ابن الله المصوب
 بل الى قومه الالهي نفسه . وما ادشاهدوه ليس على حال اهانة
 الصليب . بل في مبر عزته وسده عدله . وما ينشاهم من الرعب اذا
 رآوه لا في زمن الرحمة . بل في مثل الصرامة القصوى . ليس عربانا
 وبأيدي مسخرة . بل متسحبا مشرعا الى خطاة سناب رجزه وغضبه ليدنيهم

ويأذنبهم وينقم من معاصيهم . وامعري ان حقن نهر عظيم وحبس
عن حريه السريع مدة عشرين او ثلاثين سنة يجمع في باطنه مقداراً
عظيماً من الماء . فل اطلق بعد ذلك تلك المياه فيسكون عظم حريها
عظيماً حتى انه لا جسر ولا حاجز حصين يقوى على الثوت امامه .
وعدل الله المدعو من دانيال النبي نهرأ داريأ . كانه حقين ومحبوس مدة
عشرين او ثلاثين سنة اعني مدة حياة الانسان . فل اعظم ما تكون لجة
هذا الغضب لمجموع وما شد ما يكون عزم جريه على الحاطي . في
ساعة الموت . فهذا هو عين الغضب الشديد الحزيل الصرامة لذي سوف
يبصر الهالك الشقي لوانعه على وجه الديان فيأخذ منه عظيم التحمل
وكبير الرعب . ولا مراما نخجله وحوفه يخر مغمياً عليه ويسقط
آيساً . ومن ثم قال دانيال النبي ان النار تتطاير من وجهه تعالى وعرشه
يكون من لهيب وبكراته من جمر نار دانيال ١٩٧ . لانه تعالى يكون
ملكاً بآراء وصرامة وعدلاً . وان كرات عرش الله الديان الرهيب يكني
بها عن سرعة جري قدرته الصابغة الكل في ادراك ثاره من الخفاء
وانقامه من اوزارهم . فلما هوشع ابي مثله تعالى بوشر عضوب .
وحمل على لسانه تعالى هذه الكلمات انا امضي الى ملاقاتهم مثل
الذب الذي حطف حرود . واغرق احشاهم واهشهم وانهم
صكالسداهوشع ١٣ ٨ . وحقاً انه لا يوجد بين الوحوش اشرس
طبعاً واسنى خلقاً من الاسد والذب اذ حطف جرو احدهما .

فألمها يشار بحز مفرط على كل من رآه ولوليا عليه . تأمل الانسا
اعاقون على الحقيقة وهو مشرف على موت . فاستحوذ عليه التحير ولست
في هذه الحال ثلثة ايام فانتحايه شاخصاً . ومن شدة خوفه لم استطع
ان يتحرك يميناً ولا شمالاً . فلله الذي تكلف الصبر عليكم اياماً كثيرة
فانه سوف يصح بكم في ذلك اليوم الذي تكلم عنه على لسان اشعيا
النبي قائل لا ابي حتى الان لبثت صامتاً وصابراً قائل ان تكلم مثل الضالقة
وأبدد وأبغ معاً اشعيا ٤٢ : ١٤ . فذلك اليوم اذا وتلك الساعة يكونان
زمن عدل محضاً لا تساجنه رحمة . فلا يكون لاحد رجاء شفقه او عون
ولا يشفع فيه الا اعماله الصالحة

ويا ايها الانسان الذي لم تزل بعد في قيد الحياة . اذكر متأملاً انك
ستعرف يوماً حال هذا الزمن الذي لا يكفر فيه عك دم السيد المسيح
ولا صبية ولا تنعمك شفاعة مريم العذراء ولا صلوات القديسين .
ولا رحمة الله بل مراحمة الساقطة تدعوه تعالى الى ان يشدد عليك
لا في عدله . يوم لا يكون لك من نصير وساعة اذا استشفعت فيها
يشفع لك . بل يقوم الجميع عليك . والمذراء ام الرحمة نفسها بل رحمة
الله عيناها ودم المسيح مخلصك . وما لك الحارس والقديسون جميعهم
يحاصمونك ويقومونك ويهملونك ولا يدفع عك او ينصرك الا
اعمالك . فانظر الان كيف يجب ان تعد نفسك لهذا اليوم . فاحثدن
الان في ان تنتفع بدم السيد المسيح وتصير منيذاً لخالصك . ولا عاد

سبباً وداعية هلاكك . فإل صدقنا القول وما من امر اصدق منه . فلم
لأنامله ولم لا نتجنب كل ما يصدنا عن تأملنا ولم لا نتصيح بصيحة الانبا
امور انه لما استشاره راهب حديث مستخيراً عما ينبغي ان يفعله لكي
يشغوي القسيلة . قال الشيخ اذهب وكن مردداً في ذهرك العكر الذي
يردده في عقلهم المحرمون . مستحورون فلا يرلون يسألون عن القاضي
ابن هو ومتى يحيى . واد يرفون ساعة العذاب لا يرحون مذرهم
الدموع . كذلك يحب على الراهب ان يستفره على الدوام الخوف
والرعدة ويونب نفسه فنا . ويل لي انا اشتي ترى كيف يكون وقوي
امام منبر ابن الله . وما يكون الحساب عن اعماله . فانك ان تأملت هذا
تأملات متصلاً . يتيسر لك الخلاص . ولعمري انه ولو مهما اجتهدت في
البوع الى هذه الحال . فلا تكون قد بالعت به

وساعة الموت سوف يرى فيها الانسان مشهداً اخر مرئياً يحصل
هذه الساعة مخيفة كالخوف . سوف يرى بشاعة الخطية ويقدر
حينئذ جسمه فحق قدرها . واليه اشار دانيال النبي اذ قال ان
منبر الله من لهيب نار (دانيال ٩٧) . ففضلاً عن ان النار تحرق
انها تشرق وتضي وتثير . كذلك في الدينونة الالهية لا يحكم الله بصرامة
العدل قط بل يكشف تفاقم خباثة البشر ايضاً كقول المرتل . انك قد
اقتت اناماً امامك ودهرنا في صواحبت امر مور ٨٩ ١٧ . والخشبة
ان طفت في الماء وركبت فيمكن صبي من تحريكها بسهولة وان ثقت

وضنمت . ومادات الالان نصها مسفرى في الماء . فاذا اخرج منه علم انها ضنحه وحريل ثقلها . ويحتاج الى اس اقوياء في تحريكها لانه يبين كل جرمها كذلك لانشع الال مثل اماننا ما دامت متعرفة في مياه هذه الحياه الكدرة . متوحه وبصها محجوب عن بصرتنا . فادبارنا هذا العالم فاما نجد لها غير محتملة لافراط ثقلها وكبير جرمها بما لا من الحزري والحجل . وضنير الحطاطي يطن بسيفين . احدهما يرشق به اذ يشاهد كثرة خطاياه الي لا يحصى عددها . والاخر اذ يرى عظم قبحها واولا يدهل متغيرا اذ يبصر خطاياه كثيرة لم يعطن اليها قلا . وامر من هذا ان ما كان يظنه صلاحا يجده حينئذ اثما . لانه اذا ان الاحل اسبى من الله للقضاء . الاخير . فيقضي حينئذ قضاء عادلا على الاعمال الصالحة كتوله تعالى نعم النبي . اذ اخذت انا دولة قضيت بالعدل امر ٧٤ ١٣ . فما امد الخلاف بين حكم الله وحكم البشر . لان الروح القدس يقول عن احكام الله انها تشبه لجه عميقه . وان افكاره لبعيدة عن افكار بني البشر كبعد الارض من السماء . فان كان الناس الروحانيون المتصفون بعقل ثاقب حاذق يجدون ناصحا ما يشين لبقية الناس كاملا . ويردلو صوابا ما يمدحه اولئك توهموا انفذ نظر الله وهو نفاذ بذات الصدور ولا تنتزه امامه عن شانه ولا تنقص طهارة تضاهي طهارة الملكة فان كان تعالى كشف شراً في الملكة كما قال الكتاب المقدس . فكيف يمكن ان يحجب عنه ذنوب البشر . وان كان يحصن عن اورشليم المقدسة

بتدقيق بلع . هاهي شخص شخص عن بال الذنب . وان كان قد عامل الابرد
بصرامة المعاملة فبإيه معاملة يقصد انذاره

فهاك تظهر عيانا جميع الاعمال التي مارسناها وتلك التي اهداها .
هناك ياثمك الله ليس في الشر الذي ارتكبه فقط بل في الخير الذي
اعمله . وكان يجب عليك ان تفعله . والخير الذي وان فعلته لم تحسن
فعله . يُعدُّ عليك اثما . ويقام المحص على كل امر ويرفع عنه كل حجاب
ويشتهر ويقوم الشيطان المشتكى وينقر عن عيبك وسرك ويفشي
كامل ما عرف من ذنوبك . وما لا يعرفه الشيطان لا يواريه ضميرك
ولا يكتمه بل يشكوك به ويقومك فيه وان وات ضميرك شي . من
اثامك . فهاك الحارس الذي هو الان معيك ومعهك يكون
حينئذ خصمك . والذي لا يكشفه الشيطان ولا يعترف به الصمير ولا
يشهده الملك الحارس فلا يمكن ان يحجب عن الديان الذي سيكون
حينئذ هو الشاهد والحكم معاً . فانه تعالى عليه بذات الصدور فيكشفه
ويشهره بحكمته لتغير المناهية لان عيبه عراً اسمه اطلق من عيون
القطا . فتند الى اعق مجمع ارادنا وترى هالك اشياء كثيرة ردية
كانعدها حميدة . فياها من تخاكة عقيمة عريضة حيث لا منكر ولا
جاحد والجميع مشتكون حتى المذنب عينه . فباله من حكم مريع ليس
لك فيه من شنيع او نصير . واشتكون ثم اربعة للشيطان وضميرك
ومسكك ودينك نفسه . فدرلك انما يشتكى حينئذ عليك مؤدا

لك الاشياء كثيرة كنت تقول نايها في تركية نفسك

فما يكون حزنك وخملك اذا عند عليك الله شراً ما اعتقدته حيراً .

قل لي نشدتك الله من ذا الذي لم يكن يظن ان عرا الاسرائيلي قد

احسن فعلاً لما دنا من تابوت العهد وسنده يده اذ كان مشرفاً على

السقوط . الا ان الله لا يرى فيه مثل الذي رأيت بل عند فعله هذا اثماً

وصمة بالموت من اجله ايذاً بآحكامه الالهية تبين جداً احكام البشر .

ومن ذا لا يستصوب ما فعله داود ان رام ان يعرف عدد شعبه ويظنه

صراً من الحكمة وحسن التدبير والله يحسب هذا العمل اثماً . ومن

اجله عاقبه بصاعون لم ير مثله لي يوما هذا . وانا تبطل صموئيل في

الخصور ضغى شول الملك لله القرايين واستحسن فعله وحسنه عملاً حسناً

ناشئاً عن تقوى وحلوص عبادة . اما الله فحسب هذا العمل نفسه

خطيئة وردله من اجله . كذلك عند عمران احاب لسهداد ملك سوريا

بعد انتصاره عليه فعلاً صالحاً حميداً جداً واكرم مقتاً عند الرب فعله هذا

وتغيط الله منه شديداً . فارسل الى الملك اخاب نبياً يبشره بالموت

عقاباً بذنبه . وينذره بان ما حُق على اهل سوريا وملكهم من الاذى

يتحقق به وبشعبه . فان ظهرت في هذه الحياة احكام الله محتلفة عن

احكام الشر ومباينة لها . فمادى يكون في تلك الساعة المرهبة التي قد

اعدّها الله لابرار كل صرامة . بل هي ساعة تطهر فيها حسامة شر

الخطيئة ومناقضتها للعدل النطقى وتضج لمع شناعتها التي تورثها لنفس

عظمة الالسية الى الله رب البرية . ونحلي عدم الوفاء والكفران بجميل دم سيدنا يسوع المسيح اللذان سيئتهما هذه الالسية وجريل الضرر الذي وصل منها الى الخطي نفسه . وماهية جهنم الذي يستط فيها لاجلها . والمجد الابدي الذي يحمره بسببها ويجد الخطي في كل مما ذكر داعية للحزن والغم والتنوط مما من شأنه ان يجري من عينيه الدموع مدراراً وبدون انقطاع . فماد يأتى له من كلاماً معاً . فان كان النظر الى شيطان واحد يخيف اخافة شديدة . حتى ان كثيرين من الناسك فضلوا ان يكابدوا جميع عذابات هذه الحياة على ان يبصروا حراه الله دقيقة واحدة . ولم تصدر شاعته المستمجة الا عن خطيئة واحدة فقط . فكيف تكون حينئذ حال الخطي اذ نظر ليس الشيطان فقط وسماجه بل ذاته الشعة نظير الشيطان . بل لربما تكون اكثر شاعة من بشاعة شياطين كثيرين . فينتصم ذاك كل ما اولي تعط . وسوف نساقي جميعنا الى منبر الديان الرهيب . الذي يكشف لك كل شي . ويحاسبنا على ادنى ما يكون

وهذا الحساب الاخير الرهيب لا يجري على وجه العموم والاجمال بل بالتدقيق عن كل شي . فرداً فرداً بالتفصيل والتصريح . ويقوم الرب على قهرمانه حساساً عن تصرفه بكل فلس من ارزاقه . فالشرعية امشورية رسمت الايقال الحاكم في محكمته دعوى على شي . دني طفيف . اما في المحكمة الالهية فتقبل الدعوى على شي . باهظ ودني على حد سوى . واشتاتاً لذلك خبرنا مؤرخون كثيرون عن راهبين سافرس سيرة مقدسة

وكل يحب احدهما الاخر محبة حالصة ويخلص له المودة. فمات احدهما.
 واد كان الاخر خائراً مصلياً لله عليه. تراءى له الميت بمنظر حزين كئيب
 لابساً اثواباً حقيرة رثة. فسأله الراهب الحي عن سبب ذلك. فاجابه الميت
 قائلاً ثلاث مرات: ليس يصدق احد. ليس يصدق احد. ليس يصدق احد.
 وطلب منه الحي شرح هذه الكلمات. فاجابه الميت قائلاً: لا يستطيع
 احد ان يدرك ما يستعمل الله من الدقة اذا اقام الحساب على كل شيء.
 وان صغيراً وما اعظم ما يوقع الله من العذاب بالانسان لاجله قال هذا
 وتوارى عنه.

ولعمري يمكنا ان نفهم ما اربها ما يكون الحساب في ساعة الموت
 مما حدث لكثيرين من عبيد الله قبل خروجهم من هذه الحياة. خبرنا
 القديس يوحنا كنيكوس عن راهب يقال له استاموس قال ان هذا
 بعد المواظبة على الرياضات الرهبانية اعواماً كثيرة. نال من الله موهبة
 الدموع ومواهب اخر حرلة جليلة. فتاق الى كمال الوحدة والانفراد
 فابتنى له قلاية في منحدر جبل حوريب حيث رأى ايليا النبي تلك
 الرؤيا العظيمة. ثم بعد ذلك رغب ان يصرف ايامه في سيرة اكثر تقشعاً.
 فذهب الى مكان يدعى سيد وهو مفرد لتوحيدين ويبعد عن المس
 واهل العالم زهاء سبع ميلاً. فمك هناك زمناً مديداً يعيش ضيقة
 وتعيب عظيم. ثم اكف عنه الى دير الاول المقدس وكان له تلميذان
 راهبان من بلاد فلسطين. فمك معهما زمناً يسيراً. ثم اعتراه مرض

عضال واد كل في ثرع الحياة هت بقة واحد لاند هاش . وشرع
ينظر دات اليبس واشمال مشيراً الى ابائنا اتوا ليما سبوه وكان يحبسهم
مرة قنلاً . اي نعم اني صنعت هذا الكني صمت تكفيراً عنه سيناً .
واخرى . لقد كذبت لانني لم افترف هذا بدياً . ومرة اخرى قال
اني لست انكر هذا الا انني ندمت عليه وكرهته ونحت عليه وبكيت به
زماً مديداً . وكثيراً ما ماسست من افعال المحبة نحو اقربى . ثم بعد ذلك
قال اما هذا الذي توردونه الان علي فليس لي ما اجيب به عنه غير
اني اتكل على الرحمة الالهية وهي حسي . امري نه كال منظر
عجفاً يرثي له . ثم يعقب القديس كنيكس قوله بقوله . ويل لي ويل ما اذا
تكون حالي والى م مصيري ومثل هذا الناسك المتوحد يقول انه ليس
له ما يجيب به اعتذاراً عن نفسه . مع انه قد امضى في الرهبانية اربعين
سنة . واعطى من الله موهبة الدموع . وقد شهد لي بعض الان هذا
الناسك كان في البرية يطعم بيده غراً رياً شرساً . فمع جميع هذه
العلامات الدالة على ربه وقداة سيرته حرى الحساب عليه في وقت
موته بصرامة وتدفق عظيم . حتى ارتاب في ما تكون حاله ومثقله .
وقد جاء ايضاً في تواريج رهبنة القديس فرسيس عن رهب مبتدئ .
انه لما مرض وقارب الموت . صرخ صراخاً مريعاً قائلاً ليتني لم اخلق
اصلاً . ثم قال اعدلوا وارتكبكم . ثم قال اضيقوا من استحقاقات
الام سيدنا يسوع المسيح . ثم بعد ذلك برهة قال احسنتم الان . اما

لرهبان الحاضرون لديه . فاد سمعوا ما كان ينطق به هذا الشاب
 الفاضل بصوت مرعب مرعب . امتلأوا دهشة ودهبة . فلما استفرق
 سألوه عما قاله وعن سبب صراخه الرهيب . فاجابهم قائلاً اني في
 هذه الرؤيا رايتني في مكان الديونة الاخيرة . ورأيت الحاب عن ادنى
 شي . وعن كل كنة طالة دقيقاً صدر ما نوع ان استحق الانسان بالنسبة
 الى الخطايا هو كلاً شي . ولهذا صرحت ذلك الصراخ الاول المرعب .
 وبعد ذلك رأيت ان شرور الاسباس تال بحرص عظيم . واما اعماله
 الصالحة فتعتبر قليلاً . ولذلك قمت الكلام لثاني . واذ ظهر لي ما
 وعته من الخير كانه امر لا يعتد به . قمت الكلام ثالث بترنة نفسي .
 فاضيف استحق الام سيدي الى اعمال الصالحة ورجعت لي كنة امير
 ومالت . فحكم لي حالاً بالتمتع والخلاص ولهذا قمت حسن . قال
 هذا وتوفي فانه روحه راجعة الى خالقها

وللمحطة منظر اخر مرعب جداً يشهدونه دائماً قضت حياتهم فاهم
 يققون على عطمة المواهب الالهية وعدم وفاتهم بها بل كهراسهم بالحميل .
 وقد اشار الى ذلك دايسال النبي بقوله انه يخرج من امام الديان نهر
 ملتهب (اذيا ل ٧ : ١٠) . فليقتله نهر يشير الى كثرة الحيات الالهية
 التي يفيضها الله دانه فانه يشركا بخيراته . ويقولون ان هذا النهر العظيم
 يكون في ذلك اليوم من نار يدل على شدة الصرامة التي بها يطلب الله
 ان نوبة هياته وهو حق عليا ويدل ايضاً على اننا نعرف جلياً مبلغ هد .

الدين وعلى ما سوف يحاربنا من الاندهاش والتحجج اذ تذكر ارداننا
بهذه الحسنة ومكافئتنا الخود الالهية بالحياة. ولعدي ان الخطاة
يعتريهم من افراط الخزي والخوف الذين يستعودون عليهم عند نظرهم
سمو جلال الخيرات التي من الله عليهم بها. وانه تعالى فعل لاجلهم ما
كان يوسعه ان يفعله. وهم لم ينعموا اصلاً

فتأمل الان هذه العطية الالهية معصلاً. فاعطية الاولى نه حقنا من
تراب ومحن الوجود. وقد اشار الى ذلك سيدنا يسوع المسيح اذ ضرب مثلاً
عن رب البيت الذي غرس كرماً. فما الذي كان يمكن ان يصنع الله في
ذلك اكثر من الذي صنع. لانه جل سخاؤه منحك بذلك الاحساس كل
ما انت عليه من حيث الحسد والنفس. فلو كنت تحت الى يد واحدة
كنت تشكر فضل من يعطيكها. فكيف لا تشكر فضل الله الذي خولك يدين
ورجلين وفلاً ونفساً وكل ما لك. فاداكنت قبل ان يدملك. لم تكن
شيئاً. والآن انت على كيان ليس شيء. افضل منه في العالم العنصري.
قالت الفلاسفة ان بين الوجود وعدمه بعداً سيدياً لا يلهي. فانت اذا
ممنون لله على نوع غير متناه لا بما خولك من الكيان الشريف فقط.
بل لانه منحك نعمة غير متناهية. واحتارك به وفصلك على خلق لا يخصي
عدد هم كالقادر ان يرهم ولم يبرأ واصطفاك من سبهم ولم يدعه
اليه استحقاق منك. ولم يكتف تعالى بذلك اي انه خلقتك ومنحك هذا
الكيان الشريف. بل انه خلقتك لمادة فائقة الطبيعة. وجعل لك غاية

احل غاية وهي الخطوة بحقك الى الابد . ومن المحال ان توجد خليفة
تسبوك قدرًا وشرقا من حيث هذه الغاية السامية . فما الذي كان يقدر الله
ان يعملهُ لأجلك افضل من ذلك . حقا انه لأجل هذه العطية فقط
كان يجب عليك ألا تحرك يدك ولا تميل طرفك إلا ابتغاء وجه الله .
فالذي يغرس شجرة يحق له ان يتذوّق ثمارها . والله خلقك وبرأك و
حق في كل افعالك لانها بمثابة ثمار الانس

الان موهبة الوجود ولن كانت عطية حداً فيست باعظم من
الموهبة الثانية التي هي حفظ الوجود موهبة بها حفظ الله حياتك حتى
الان وصبر عليك بطول اناة ولم ينفك في حبهم كما استحققت مرارا وتحتفظ
بخطاياك . انظر كم من الناس لم يحتضهم الله في هذه الحياة . ولم يحتضهم
بعد ارتكابهم الخطيئة مرة واحدة لكنه طردهم في دركات المحيم . ولو
نال بعضهم ما نلت من العصف وسفره لاحسنوا الوفا واسدوا لله شكرا
جز لا واحرل ملك . فانظر كم من المسكاة قد طردهم الله حالاً من السما
ولم يقتروا الا خطيئة واحدة . ومن ثم فانت ممنون لله بحفظه اياك
اكثر مما انت ممنون له بتكويك . لانه وان كنت عدوا له تعالى فقد
حفظ حياتك واحتملك . نعم لم تسحق ان يحقك . الا انت لم تكن
فعلت شيئا حله تعالى على ان يمسك عنك هذا الاحسان . اما الان
فقد استحققت مرات كثيرة ان يعدمك هذا الوجود . ويسب منك
هذا الاحسان

ان الاحسان الثالث هو احسان التجديد الالهي ويسمى على
الاحسانين المتقدم ذكرهما سمو لا يحد. ويشير الى ذلك السيد المسيح
بقوله - رب الكرم ارسل اليهم انة امتي ٢١ ١٣٧. فهل كان ممكناً ان
يفعل الله لاجل خلاصك اكثر من انة يرسل الى العالم انة لوحيده
يصير انساناً. لعلمي ان قدرة يد الله الضابطة لكل شجرة عن ان تصنع
لاجلك افضل من هذا. فاستبر انة تعالى لم يفعل لاجل المشكة ما فعل
لاجلك. فكيف تدع ان تحب الاروهم اكثر مما تحب ائت. تأمل ايضاً
انة تعالى كان يقدر ان يفديك بصير ورثة ملائكة وبمجرد صلاته بك .
الا انه احب ان يصير من اجلك انساناً لئلا يقوت طيعةك هذا اشرف
الوسيم . وقد ذهب قوم من المشاء اللاهوتيين الى ان سبب سقوط
المشكة هو لانهم ابوا ان يعرضوا لمن كان دونه من حيث الطيعة .
فانه اذ فتح الله لهم علم القلب واوعز اليهم ان سوف يلتزمون بالسجود
لا لسان يكون الهاماً معاً ويتخذ سلطاناً مطلقاً على جميع مراتهم فتكبروا
وتردوا . فان كان هذا الرأي مصيباً فتأمل كم تكون ممنونا لله بهذا
الاحسان العظيم اذ احب ان يصير انساناً لاجلك لئلا يهلك . مع ان
احسانه هذا كان مزمعاً ان يصير سبباً لهلاك جميع اولئك المشكة وهم
افضل منك طبعاً

واعلم انة هذا الاحسان قد انقذك من الخطيئة وانتشلك من
الحجور حينما كنت آيساً من خلاصك وما من معين او نصير. تأمل انة

على يام من غاية من قصه وعنه واقامك وورث ملكه . نامل انه انجر احسانه هذا الوسيم اليك بحجة لا تحذو تكلف لا يقدر . لانه كما قال الرسول اخذ دمه حدا صوره عبد لكي يرفعك . فأحد طبيعتك اختيارياً وبدون اضطرار . ولم يقصد في ذلك الا ان يمن عليك بكرام لم يمنعه تلكه . فاطر هل استطاع الله ان يصنع لاحلك افضل مما صنع . وهل كنت تقدر انت ان تسي اليه اكثر مما اسأت

وتناسب هذه الموهبة او تضاهيها الموهبة اربعة وهي موهبة الفداء الذي اقتدنا به السيد المسيح بالامه وموته . وقد اخبرنا عن ذلك قبل موته قائلاً ان لان المرسل من رب اكرم فتنه الكرامون . قبل تيسر لان الله ان يفعل لاحلك اكثر من ان يموت ويريق دمه لكي فداء عنك وحدا خلاصك ولم يكن هذا الارماو ضرورياً لخلاصك . نعم انه كان من الوجوب ان يصير الله نساء او ملاكا لكي يقتديك بكل ما تقتضيه صرامة لعادل . الا انه لم يكن ضرورياً ان تنال ويموت . والحال انه اذا اثر التالم . لم يرتص به صغيراً . بل اراد ان يتلم باقرط لألم حتى اتصح جدياً نه ما من اوحاع على الارض اعظم من اوجاعه . فنشخص نصب عينيك سيدنا يسوع المسيح معلوماً على جبل المحجة . هل يمكن ان يصيب احداً ما اصابه من احوال . فانه تعالى صلب بين لعين بعد ان حكم عليه بظلم . ككي انه رحل مفتش عاص على قيصر . مبتدع تسماً محلقاً . والحال ان هذين الاثنين اللذين قروا بهما السيد

اسمحرية واعتداء من شاهما ان يشينا عرص المشوب بهما اكثر مم
 تشيته بقية الانام . لانها يحترق الحوان والاحتار . ليس بالمشوب بهما
 فقط بل بنسله ايضا حيلًا فجيلاً . ثم تأمل ما ارق حاله فقرأ عند موته .
 فانه ما كل متردد في الناس لم يكن له ما يسد اليه رأسه . بل كل
 متردٍ ثواب استرة حسده . اما في حين الامه وموته فترك عريانا ولم
 ين نقطة ماء لاطفاء غاي عظمه . تأمل ما شد اوجاع موته الاثره 'مُحْشَا'
 بالحراح محضاً بدمه حتى لا تجد من هامة الى قدميه عضواً من اعضائه لا
 يالم شديد . لالم . لاحظ يديه ورجليه لهما مثوبة بماسير حادة ورأسه
 مكمل بالشوك . تروى قعدته تعالى . مصاب بما عظم من الآلام ومتململ
 على صليب اوجاع فادحة وبث به الله فرط محبته اليك . واجب ان
 يتأني من اجلك ما استطاع . فتأمل الامر الذي يجب عليك ان تفعله انت
 وتحملة حباً بابن الله الذي قبل مثل هذه الآلام فداء عنك . ولاجل ذلك صنع
 كل ما كان قادراً عليه وهو القدير على كل ما يشاء .

وضف الى هذه الاحسانات جميع الموهبة الخامسة وهي
 الاحسان الالهي القاطن الذي به مخلصك الله تعالى ذاته مأكلاً ومشرباً
 في سر القربان المقدس . ولعمري يتراى لي ان الاقايم الالهية الثلاثة
 قد اعتصبت يداً واحدة عبدة لي حب الاناس . فالاب الالهي بتسميه
 انه الوحيد لوث حباً بالشر قد اقترح فعلاً لا يبارى فصلاً وعظماً .
 وابن الله اقترح ما يفوق ذلك ورسم السر الاقدس الذي به بلغت

محبة الى اقصى مبلغ . وانتهت على روع ما احساناته الالهيه الى غاية كمالها .
 ذاته تعالى يهدى الاحسان بينا ذاته ويدخل الى قلبك لكي يكتب
 محبتنا . فالذي لا يحبه تعالى لاجل هذا . لاحسان فما اعظم ما تكون
 دينوته . فذلك قد قال حسناً الرسول الالهى ان من يأكل
 حسد الرب ويشرب دمه وهو على خلاف الاستحقاق . انما يأكل
 ويشرب دينوته لنفسه . (كور ١١ : ٢٩) . اى انه يتبع كأس رجز
 غضب الديال المرهوب

فمن يجب الخطاى حين يحاسب عن جميع هذه الحيات .
 وعصري ان تقتل مثلاً اذ حصر موت الساب شرر حكم عليه بالموت
 اذ هو يداحله لحوف ويرجف ورفاً من ان يقض عليه ايضاً ويحكم
 عليه بمثله . فكيف لا يخاف من هو سبب موت الله . وعبد ايعذر
 حينما يشتكى منه عليه بهذا الاتهم الحسم . لان السيد المسيح كما قال
 المدهى فيه مخاطبة قائلاً . انتي . برأتك ولم تكن في حيز الوجود . بل صاكت
 على ما في الارض طراً بما حق . ومن اجلك ادعت السماء والحو واجر
 والارض وجميع ما في العالم . واما اب فتصديت بالالهانة وسوء المعاملة
 وزلتي منزلة احقر الاشياء وعددتني دور الشيطان معه . ومع هذا
 فقد ضاعفت احساناتي الاولى اليك واصفت اليها احسانات اخرى
 جديدة . ومن اجلك احترت انا الاله والرب والسيد ان اصير عبداً
 واسيراً . وقد اطمت وبقى على وجهي كلسير محرم . وقد رقصت

بالموت موت الصلب لكي انتقدك من الموت . ثم من بعد هذا جعل
 قدس لك شعباً في السماء فمحت الروح القدس . ودعوتك الى
 الملك السماوي . واحبت ان اكون لك رأساً وعروساً وثوباً ومسكناً
 ومأكلاً ومشراباً وراعياً واحاً واصطفيتك الى ميراث مجد الابدي .
 وانتقلت من حلال الموت الى نور حياة الابدي . فاداسرد لنا السيد
 المسيح موداً ما حمته محبة المقرصه على عمله . وبأي جواب نجيبه وكيف
 تكون لنا معدرة . حقاً نه نشتلنا حينئذ الحاري الميب من عدم وفائنا .
 ومن كوما قد جعلنا للشيطان . بدلاً لان يسيرى بخلنا فاننا لنحوم تعالى
 مردرياً . انت قد خلقت هذا الارض والارض صرت بشرأ وفضيت
 حياتك على الارض في مشاق الاتعب . ولاجله مت من شدة الآلام
 والافواج . اما انما خالف ذلك لم افعل لاله شين اصلاً . بل لم ازل
 راءاً له كل يوم الم جهنم . ومن شدة بغضي له كنت اود لو فيته .
 ومع هذا كله قد ابرع هذه كله في ان يرصني ولم يفكر في رضاك
 اصلاً . انت هبأت له المحمد الابدي احراً وثوباً . وانا عقدت قلبي على
 ان اسومه شرعاً في حلة جهنم . وخدمني بامانة مجاناً . انت اعددت له
 اجرأ عظيماً . وهو قد كافاك بالخيانة . فلو كنت انا حلقته وبذلت نفسي
 دونه لكنت عدت ذلك اخنقاراً الي منه . فالان اد قد فضلي عليك
 واحب ان يكون لي من ان يكون لك . فحق لي ان استرقه لانه عاهدني
 في نفسه مرات كثيرة وعلى اوجه ثلاثة

ان الحساب الاحير لا يتقام تلياً من المواهب لعامة فقط بل عن
الخاصة ايضاً . ومنها الامثلة الصالحة التي كانت تدسونا الى الصلاح .
وانذا كرات الحميدة التي سمعناها . والاهامات الالهية التي اوحيت
اليها وشعرنا بها فلترعد دأ عند ذكرها هذا الحساب الصارم الدقيق
الذي من اجله كان الانبياء تايلاوس يرتب ويكي بكاء مرأوا د سئل
من سبب ذلك قال انت قد اعطيتنا هذا الرمن فان اهلنا وعفتنا عنه
فيكون الحساب عنه عظماء ويطلب ما كثير

الفصل الخامس

في ان الله يحكم صرامة شديدة .

في هذه الحياة اجأ

انه لكي نهم جيداً صرامة حكم السيد المسيح على الخاطي . حين
انقضاء هذه الحياة نورد شيئاً قديلاً من صرامة حكمه تعالى عليه في هذه
الحياة نفسها حيث يعامله برحمة . ونستدل من ثم على كيفية حكمه تعالى
عليه حين يعمل بالعدل فقط . فقد خاطب الله شعبة بن حرقيل نبيه
قائلاً اني عن قريب اسكب عليك غضبي . واتمليك رحزي . واحكم
عليك بحسب طارقك . واضع عليك جميع اثامك (حز ٧ ٨) .
ولميري انه ليس بحسب ان يصيب الخطاة الذين تباعدوا عن الله وتركوه
مثل هذا المصائب . اذ انه تعالى يعامل بهذه الصرامة نفسها الذين
يفارون لمجده . فلنظروا كيف يصور لنا زكريا النبي هذه الديونة

الالهية في شخص يسوع بن يوسف الخبير الاعظم . الذي كان عاشاً في ذلك العصر . فالابي راي الخبير الاعظم ماشلاً باراً ملاك الرب و الشيطان قائماً من عن يمينه يتقدمه . وقد ظهر الخبير المذكور في هذه الديونة كحجر جهنمي مذهب مسود الاثواب من المدخن . لان الكتاب المقدس يدعوهُ قيساً منشولاً من اسار ماثواب مدسة اركرياس ١٣ . فان كان مثل هذا الخبير القمور الى مجد لله بغيره مضطربة نحن امام ملاك الرب وبار على هذه الحال . فترى كيف يظهر الانسان الخاص امام الاله . الذي حثرت باموسه اذا احسن به واذنقه

وهذا المعنى قد اوضحه اسيد اسج في سفر الرؤيا حيث حكم على اساقفة اسيا السبعة وهم : حيا . وقد كان منهم قديسون معتبرون معظموهم . القديس تيوتاوس تلميذ الرسول يواس . والقديس بوايكريوس . والقديس كوادراتوس . والقديس ككاربوس . والقديس ساعار يوس . فانتظر ولا كيف كان سيدنا يسوع المسيح جالساً حينما داهم وبابة حرمة حكم عليهم . قال الكتاب المقدس اولاً انه تعالى كان جالساً بين مارات متقدده يثبق مهبانور عظيم . وكان في يده سبعة كواكب نيرة جداً . ووجهه يلمع كالشمس في رابعة النهار . وكان يخفي بوجهه عن كل امر ظلام الليل ويشق حجاب السترة وعباه كاتنا متقديين كالهيپ ارون ١٤ . فهدد جميعها تشير الى دقة الحساب الالهى وجلال ظهور جميع الخطايا . وانه تعالى لا يمكن ان يخفى عليه شيء .

ثم انه يقول ثانياً وكل في مه سيف ذو حدين (رؤيا ١٦) . وبهذا يشير الى ان فعله يكون اكثر حراسة من قوله . ثم يقول احيراً انه عز وجل قد كان في كل اوجه هذه الرؤيا مرمياً مرمياً حتى ان القديس يوحنا صاحب الجليل وان لم يكن من جمهور المداين اربع فرقاً وسقط على الارض مغشياً عليه (رؤيا ١٧) . فان كان التنبؤ الحبيب الذي لم يكن الله يسمح له به حرصاً اذ علم التهديدات الالهية على الناس آخرين كان يريد سعادته ان يعامهم برحمة . فمادام يكون بعد هذه الحبة دا ظهر ابن الله وتحتى للحاظى بكل رجز عظه وليس ثم رحمة رحمة . شقاً انه لو ممكن لانس ان توب ماتت الف مرة عند مشاهدتها هذه الرؤيا مهيلة المرعة .

وانظرون ثانياً ما رآه عينا السيد المسيح اذ ريت ما يخص عن اعمال الاساقفة المتقدم ذكرهم الذين وان كان قد دعاهم تعالى منسكة . فمع ذلك وحد عليهم سبيلاً ورأى فيهم ما يوجب التوبيخ . وذلك ليتم قول ايوب اصدق ان الله وجد شراً في منكه (ايوب ٤ : ١٨) . فمن ذا الذي كان يمكن ان يخطر له سأل ان السيد المسيح ينهر القديس يوحنا وانس المحبوب والممدوح من القديس بولس الرسول . والله حل سمعة يتوعد باطراد من الكرسي الافرسي ان لم يتب ويصح سيرته ما ارتداد الى ساحله الاول . والله تعالى يحذ في القديس كار بوس ان تقرب برماوس وكذلك في استنف ياثيراً ما استلهم الندم ولتوبة . وبه استغفر يردس

لمعروف بالقداسة مجده تقدس سمته في حال خطيئة مميته . ومن سقف
اللاذويه لذي لم يكتفه صميرته على شيء يدسوه رب المجد شيئاً وفتيراً
وفداً كل فصيلة واعى وعريته . فما اصدق ما قاله الحكيم ان لاسل
لا يعرف هل يستحق المحبة او الغضاب . اجامه ١٩٠ . ولقد كان
ملك النبي داود يطلب من الله ان يبعه ويظهره من الخطايا ويجعله معه
قائلاً من خفايى ثمنى مر ١٨ ١٣

ويا ايها الرب القدوس والديان المرهوب . كيف لا تحادث الناس
لاجل خطاياهم المروعة منهم . مع انه كان ينبغي ان يخافوا جداً من
اجل خطاياهم الخفية عنهم . فانه اذا يدق باحساب مداقة هد
حدها . حتى انه من سبعة اسفحه مشتهرين بالقداسة وجد ستة - ير
مزهين عما يوجب اللوم والتوبيخ . اذ وجد في احدهم التواني . وفي
الآخر عدم الثبات في الخير . وفي الثالث الخيانة . وفي الرابع السكسل .
وفي الخامس الخوف والفرج البازل . وفي السادس الجهل وعدم الافراز .
وكان اثنا منهم في حال الخطيئة . فان وجدت عين الله رلات في
مثل هؤلاء . انشكة . ما الذي تجد قبا نحن الخطاة

وقد جنى هؤلاء الاسافقة جريل نفع من علمهم بدنيوتهم من الله .
واقد ثبت ان الدين عرفا اسماهم . قد توفوا قديمين وحررت اسماؤهم
في سنكار الكيسة . كذلك يفيدنا جداً . ثابانا سداً بهذه الصرامة
وتصدنا معرفتنا هذه عن ان نأسي الى المحسن ليا يحننا لاجد لعدده

ولا تقدير لعظمتها . وعن ان ابشر خدمته تعالى بتواضع وكل . وتحرضنا
على ان ندرس افعالنا صالحة مملوءة كمالاً . ولا يسمع احدنا ما قيل لاحد هؤلاء .
الاساقفة ايضاً بارد اوجار . لكن لانك فاجر لا تارد ولا حار فسايتدي
ان اتفالك من هي (رؤيا ٣ . ١٦) . فنحذر من ان نجعل للسيد المسيح
سبيلاً لان يفتاننا . اي ان يبعثنا ويرذلنا . وانظر هل محبتنا خالصة .
لأنها لا تخلص ان كنا نجب هذا . ولا نجب ذلك . اذا اشتبهنا خيراً للحسن
الياء وبغضنا من اساء الياء . ان كنا نصنع الخير ولا يريد ان نحمل الشر .
فانظر هل تحتل القريب بنفسك . الا تؤثر مرغوبك على رأي الغير
ومرغوبه . اعتبر هل محبتك لله تحملك على تجسم صعاب الامور برضى .
اذا رما تحمته تعالى بالكرامه لا بالافعال . تأمل هل اتفالك كامل .
وذلك ليس بالحرب من الكرامات . برغبة فقط . بل بابغضاء الالهات
والسعي بطبها ايضاً . لانما لا تستأثر لنفسك الاعتبار دون غيرك . بل ان
تحمل نفسك محلاً دون غيرك ايضاً . انظر هل صدرك حيل . اعني هل
تحتمل ما يطرا عليك من جهة او من اخرى على حذر سوى . هل
تحمّل ذلك كمن لا يسأم من صعوبة . افكر هل صاعقتك حسنة . فلربما
تطيع في الاشياء الخفيفة السهولة لاني ما تجده ثقيلاً وعسراً . او تطيع من
هو نظيرك لان هو دونك وتلاحظ فيه كونه انساناً لا كونه نائب الله .
ومن ثم تخضع قهراً لا بطيبة القلب . فاعتبر قولهُ تعالى لا تسقف
سارديس فادكر كيف تلت وسمعت واحفظ وت (رؤيا ٣ . ١٣) فلا

يقول لك الرب اذكر ما كنت وعبته بل صكيف نته . لاننا لسا
مؤمنين لله بمحوهر الحسات الالهية فقط . بل بوج سخها ايضاً واعراضها .
فاد قد تكلف الله لاجل حيرك فعلاً ناشئاً عن قدرته الضالطة السكل .
فبذل انت ايضاً لقاء ذلك كل ما بك من الجد في تعجيد تعالى
وخدمته

الفصل السادس

في مقادير كل زمن

اد انقضى زمن حياتنا وسوف ينهي كل زمن ايضاً ومعه كل شيء
سوف ينتهي . فما اعظم بطلان الاشياء التي يريد الناس ان يبقوا فيها من
بعدهم ذكر المجد . ويشيدون امال الملوك وما شا كل ذلك . والحل
انه ستهدم المدن وتلك منازل الملوك . وينتهي كل شيء . لا كل زمني
ينتهي . فاكثر ما كان يرعب المحدثا ما ي شيثرون الفصل الروماني
والخطيب الفصيح ومعلم الخطباء وامامهم . فقد كتب رسالة مطبوعة الى
احد اصحابه يذكر فيها واقعه كان اثارها حثاً بشريف اسمه واجاء ذكره
مخبراً عما فعل لانه اذا تأمل ذلك ان الزمن سوف ينتهي مع العالم
علم حينئذ وتحقق انه لا مجد ولا ذكر يدوم في العالم . ولذلك قال انه لاجل
حريق الارض الذي لا يدان يكون في وقت معين . لا يمكن ان نكتب
مجداً لا ابدية ولا مديداً

قال التلميذ الحبيب في جليبه ته ابصر ملكاً شديد الناس مخدراً

من السماء . منتحاً بحجابة ومكلاً بقوس ورح . ووجهه مبرك كالشمس .
 ورجلاه كعمودي نار . فالتقى أحدهما على البحر والآخرى على البر .
 وصرخ بصوت عظيم مرهب جداً ككاسد زائر . فارتجفت الأرض
 بسبعة رعود هائلة . والوقت روع ذلك الملك العظيم يده إلى السماء .
 (رؤيا ١٠ - ١١ - ١٥) . قال قلت وما سبب هذه الأمور المرهبة والحوادث
 المرعبة وما هو مدلولها . اجبت . الله اراد ان يادي هكذا بانتهاء الزمن .
 ليكون اعتقاده بذلك وثيقاً فسمي الملك العظيم بالحي القيوم لي دهر الدهرين
 من خلق السماء وما فيها والأرض وما فيها . والعرس ما فيه . انه لن يكون
 زمن فيما بعد . كفي بقية . لان سموي اثباتاً راهنا على انتهاء الزمن
 والبوات التي وردت عن انتهاء الزمن هي تخيلة مرعبة جداً . حتى
 انه لو لم يتعلق بها الروح قدس لما امكن بشر ان يميل الى تصديقها .
 ومن ثم عد ان اورد السيد المسيح بعضاً من هذا التلاميذه . انسب قوله
 بصورة يمين كما آلف تعالى ان يصنع اذا قصد ان يشئ امرأه فاضاً فقال .
 الحق اقول لكم ان هذا الخيل لا يدخل حتى يكون هذ كلنا متى ٢٤ - ٣٤ .
 فاد قد تقرر اذا وثق ان الذكر ابشري وان كان على جانب من
 الشهرة فسوف نجي لاجالة مع زول البشر . فنبذل جهنم في ان نكسب
 لنا ذكراً ابدياً ذكراً لا يتورده روال . قال النبي ان ذكر الصديق يدوم الى
 الابد مز ١١١ - ١٧ . اي ان الله الازلي الابد يذكرك الى الابد . اما
 ذكر الناس لنا في رول زوالهم

الفصل السابع

في كيفية تنعيم المعاصر وانما

عد انتهائهم الزمن

فهاهنا الآن نعتبر كيف ينتهي العالم كله . ويستبدل من نوع
ذواله المربع ان الناس قد تصرفت بالاشياء العالمية تصرفاً ردياً . لانه
لولا كثرة شرور العالم لما كان انتباهه هكذا شقياً . قال القديس
اكليمندوس الخبير الروماني ناقلاً ما كان عليه من القديس بطرس
الرسول . ان الله عين من الازل يوماً يسلط العذابات على اهل الاثام .
ويقال لهذا اليوم في الكتاب المقدس يوم الرب . فلما كان دع
ذلك اليوم على قدر كثرة الخطايا وعظمتها . فلا انذهل مما تقوله
الكتب المقدسة والاباء القديسون عن افراط هولاء . وما يجري في
الحروب تحدث في ذلك اليوم الرهيب . فقل ان يلتقي الجيشان ويتحما
القتال ويتصادما ضرماً ووطناً يبرر من العسكريين بعض الجنود وشار
وقنع جرئية قل اتارة الحرب . كذلك في ذلك يوم الرهيب الذي فيه
يلتقي جيش العذابات وجيش الاثام . فينزل الله اولاً اياتاً متنوعة شيئاً
فشيئاً كالمها جماعة من العسكر يتقدمون المعركة بحرب صغيرة
وهذا ما اشار اليه الرسول يوحنا في خطبته حيث يقول انه
رأى بعضاً من الجنود يبرزون الى الميدان على خيل بيض وحمر وسود

وخضرارياً (٢ : ٨). فيتقدم الله ويرسل تادةً جوعاً، وطوراً
 طاعوناً، وحيناً حرباً، وأوتاناً طوفاناً، ووقتاً زلزالاً، وزماناً قحطاً وغير
 ذلك. فان تضيق الناس جداً من هذه البلياء، فإذا تكون حال الخطاة
 إذا جرد الله سيف عدله. وقامت كل خليفة عليهم وقاومتهم. وكل
 قائد هذا الجيش غيرة العدل الإلهي. لأنه كما قال الحكيم تأخذ
 حينئذ غيرة الرب سلاحاً، ويدفع الخليفة بسلاح الانتقام لكي يدرك
 ثأره من أعدائه. والعالم يحارب معه الجهال أي الخطاة (حكمة
 ١٨ : ٥)

ولعمري ليس مبالغة في قول الأنجيل المقدس: ترهق الناس من
 الخوف وانتظار ما يأتي على المسكونة من قوات السماوات تترعرع الو
 ٢١ ١٢٦. لأنه كما أن القول عنه أنه عالمٌ صغير، إذا ما اجله
 تنتفض قرائنه، وظلم ابصاره التي هي كالتيرت والنجوم، ويتشوش
 العقل الذي هو عنزلة القوى السماوية. هذا عيه بل أعظم منه يحدث
 في العالم الكبير أعني المسكونة كلها، لأن الشمس تستحيل إلى ظلام والقمر
 إلى دم، والنجوم تنافط. وكل العالم إذا شعر بدنو انقضائه وهدامه
 يضطرب اضطراباً عظيماً قبل أن ينحل. فان كان القمر والشمس وبقية
 الأجرام السماوية المظنون بها أنها غير قابلة الفساد سوف تتغير وتظلم على
 النحو المذكور. فالذي يجري بالعناصر المرتبطة بها والتي صبت على
 تغير والانحلال، فيهب لهواء من الروائح والرياح الرعازع وتركب السحب

وتخرج من حلالها البروق اللوامع وتتفقد الصواعق . وتأتي السماء
 بارعد اسواق . فتزحف الارض من الزلازل وتنشق من كل ناحية
 انفلاقاً مذهلاً . وتخرج من جوفها جبال نار . لتهب قنبلاً من وتتفقد
 القلاع الشاغرة وتندك دكادكا . ومن لنا ان يصف شدة احيى عرو وعجوه
 فتراكم حينئذ مواج متعالية حتى تفرق الارض كلها اوتكاد . واجبر
 المحيط يرد ويهيج حتى تكاد الساس تموت خوفاً . ولهذا قل سيدنا
 يسوع المسيح . ويكون على الارض كربٌ للامم حيرة من عجيبي البحر
 وحيشانه (لوقا ٢١ : ٢٥)

فدأ كيف يكون حينئذ حال البشر في هذا كله اعني في صغار
 الارض وتلباسها . فاهم يبهتون بهتة الموت مرتدين فرقاً من تفرسهم
 بعضهم بعضاً . وعدا هذا وهذا يظلم الاخذ والاعطاء . وتخلو الشوارع
 واعمالك من اهلها ولا يكون وقتئذ من يرعب الكرامات العالمة والهدى
 اللحية والكنوز الارضية . ولا من يسكن في القصور وينزل الملوكه .
 ولا من يفكر في المال والشارب بل يفكرون جميعهم في ان يجدوا
 لهم مأوى يخون به من الطوفان والزلازل والرمود والصواعق . فلا يجدوا
 واطلاً يطلون حينئذ مهرباً ونجاء يأوون اليه . لانه ابن المحيص والمقر
 واين المهرب والمناس . من ذا يتفر حينئذ لشعائته وعقله . من يتذكر
 اياه والجمال وما ايضا هي ذلك من الاشياء المعترة الان . لانه ان لم ي
 كل ما يخصه فكيف يذكر ما نحن عبيده . من يتذكر حينئذ في بطش

اسكندر الملك وعظم اريسطوتايس . او حكمة اعظم حكماء العالم .
 فيفي وقتئذ ذكرهم ويصعد مع العالم الى الابد . تأمل حال التوبة
 اذا اشرعوا على الحرق . فتراهم يقتدون الصواب بما يطردهم من
 لواب والهلول اذا شاهدوا الخيبة لأمواج . فيصرخون وينذرون
 ويصلون . ويخردون حينئذ تحرد كايا من محبة الخيرات الدنيوية .
 فتراهم يهربون الى لقاء الوسق في البحر غير مأسوف بآية فكيف ذلك تكون
 حال الناس في ذلك اليوم ولا سيما حال الخطاة الذين بسببهم تحدث
 هذه الاشياء المريعة

هـ شئ ان تدرك عظم خوف الذي سوف يستحوذ على الجميع
 حينما يقوم العالم نفسه منصرفاً لله على الخطاة فاعتبر ما حدث من
 الحوادث الطبيعية وما صرأ من الطواوي . وتعلم من ذلك ما ارهب ما
 يكون منظر مجموع للآيا . حبراً الكردبال يعسوب ابيادوني . انه في
 عصره اعني في سنة الف وثمان مئة وخمسين في اليوم الخامس من
 شهر كانون الاول ترتلت ممسكة نابولي مدة ثلاث ساعات قبل الصبح .
 وانفتح قلب الارض وابتغ فصولاً وقائماً عطية . فهلك من لس ١٥٠٠
 سبعين لماً . فما علة ثأنت خد البشر ان كانت الارض التي يطأونها
 لا ثأنت لها . وابن عادوا يجدون شيئاً راسخاً بعد ان ترزع ما كان في لعالم
 ممكناً ثامناً . فلموت رقيب علي واقف لك بامرصاد . وقد خبرنا قاعريوس
 الاورج انه في ليلة عرس مورييسوس الملك . حدثت في انطاكية زلزلة

عظيمة هدمت كثير منازل المدينة . وبادت تحت ردمها رها . سبعين ألفاً .
ويذكر أيضاً بليتيوس أنه في زمن طيساريوس قيصر دكت زلزلة واحدة
اثنتا عشرة مدينة كبيرة . وقد أخبر نيكيدوروس أنه في زمن تاودوسيوس
الملك حدثت رجفة عظيمة اتصلت من الاسكندرية الى انطاكية . ولى
ممالك اخر شرقاً وغرباً . واستقامت ثلاثة اشهر حتى خيل للناس ان العالم
سوف يهدم قاعاً حصصاً . ويجب ان نورد ما كيه لقيس ابرونيوس
واميانوس المؤرخ الذي شاهد الامر عياناً . قال انه بعد موت الملك
يوليوس العاصي حدثت زلزلة عظيمة ارتجفت معها الارض كلها . وتجاوز
البحر حدوده حتى ظن الناس ان الطوفان عاد ثانية وآل تلاشي العالم .
لان السفن طفت فوق اعلى منارل لاسكندرية . بل تعدت فوق الجبال
ايضاً . ولما سكن البحر ورجع حقياً بين حدوده . استمرت تلك السفن
على اسطح المدينة المدكورة كما يشهد نيكيدوروس المؤرخ اليوناني . خبرنا
ايضاً ثيميوس وغيره من المؤرخين انه في سنة الف وثمانين وثمان
عشرة . هاج البحر وتراكمت امواجه في اسواق فريسيا . فمات من الناس
اكثر من مائة الف نفرومة اخرى دخل البحر المدينة المدكورة وذلك
في سنة الف ومائتين وستم وثمانين مفرق ثمانون الف نفس . وقد ذكر
سوريوس المؤرخ انه في سنة الف وخمسمائة وتسع . في يوم اربع عشر
من شهر ايلول . ثار البحر بين القسطنطينية ومار وهاج حتى ارتفع فوق
الاسوار . واهلك اناساً كثيرين . فاذا يكون اذا امر ذلك بالانصار

ان تشب على الخطاة . وتقوم كل الخليفة على قدم وساق لتدفع الخالقها
من الائمة الذين كانوا حسنة بالحيانة والكفر

والهواء ايضا ذاك العصر اللطيف . الذي به لسة حياتنا اذا
اصاق الله له . لانه يتخذ من اصعب قوة هذا عظم مقدارها . حتى
بنيقة ض ويهدم كل ما هب عليه ويتأصل لاشجار ويرمي بها بعيد .
وقد ذكر سوربوس المؤرخ انه في سنة الف وخمسة وسبع في اليوم
الاثامن والعشرين من ايار ثارت في ممكة العاصفة وعزعت
البيوت فانفجحت السطوح بعضها عن بعض . وحينئذ ما مؤرخ اخر انه
شاهد بعينه في عصر الملك انريكوس الداس حشا تصعد جذام مطاوعة
في الحوفي مسافة ميل من شدة الريح لا غير . فليس اذا لنا ان نتعجب
مما ذكره يوسيفوس مؤرخ اليهودي واوسابيوس لقيصري . من ان
برج بابل منجزة العالم هدمه الله بقوة الريح لا غير . وكيف نفصح عن غريب
الحوادث التي يحدثها هذا العصر اللطيف ونحن نعلم ان الهواء اذا حمل
البرد الذي قتل انه مصر . وفي بلاد فسيين وقع برد ثقيل كبير قتل
من الاموريين ناسا لا يحصى عددهم . وقد ذكر ايضا انه في سنة الف
 وخمسة واربع وعشرين وقع في بلاد ايطاليا في مدينة كريمونا برد بقدر
بصة الدجاجة . وانه في سنة الف وخمسة وسبع وثلاثين . مطر الله على
مدينة بولونيا حجارة يعدل حكل منها اربعة اصال ونصف . وفي بلاد
البحر وقع برد يوارر جاجم لالسان . وفي سنة ثلثمائة وتسع وستين

وقع برد على القسطينيه مثل قطع الصخور . فلم يكن اذ في ما اورده
 ابي حرقيا ل اعياء وافرا اذ قال انه في انها االم تهبط حجارة
 ثقيلة جداً حرقيا ل ١٣ - ١٣ . ويقول صاحب الحيا ل انه سينزل
 من السماء على الناس رؤ ضخم مخو ورة ا رؤيا ١٦ ٢١ . قاريح انما ترى
 شجرة هذا عظم مقدارها . فإذا يكون ضخم الرجود الناشئة عنها . قيل انه
 في بلاد سديا سمعت رجود مفرقة حتى مات من صوت قصة باخا في كثره .
 فإذا يكون ضخم العواصف الأخيرة وهما اشد الرب اذا اراد الله
 يلاشي هذا العالم . فجميع ما ذكرناه من هذه لالبا بالانه أمر لا يذ كر
 او ذكر لا يؤثر . ول الحرب بالسه الى ما سوف يلم بالخطاه د صقت
 بهم كل خايه وف ومتم مستمة لله حالتها

حربنا القديس غريغوريوس الكبير انه شهد في رومة في زمن
 الطاعون صواعق مقصدة من السماء تزل بالناس وتهلكهم . فإذا يكون
 حال الناس حينما تظلم السماء عليهم قطعا كالصخور من الكواكب . لقد
 ارتجف العالم وتغير لما اظلمت الشمس مدة عشر يوما على زمن ايريني
 الملك وقسطنطين الملك . وان اظلمت الشمس وكشف القمر في زمن
 اساسيانوس الملك . فإذا يكون اذ لما تحجب الشمس اشعتها والقمر يقات
 لونه الى احمر ادم . ديبلا على انه قد حال لزمن الذي تعرض فيه الحقيقة
 لحجارة الخطاة الذين احتقروا حالتهم . فترى الارض ترتجف برلازلها
 وتسكاد لا تطيق ان تحملهم . وامياه تحرق بهم وتطيف مازلهم .

والهواء يحول بينهم وبين رزقهم . ومن ثم ولا يجره ان تود الخطاة
 لو تنقضى عليهم الحبال . وتخفيهم الاكساف في احوالهم . ييم الله ان
 ذلك يكل عن وصفه كل قلم او بر . ويقدر المعجز عن ايضاحه بكل
 لسان . وتكاد الخلائق استخرات لما ياديه تعالى تكتب وتخرن من ان
 الخطاة يستخدمونها لاحتمار خالقها . اما في انتها الارمنة فتلقى عنها نير
 الطاعة والخدمة وتتقدم ما لاستخدامها اياها طمأ وقصدنا . با احتصار
 ما رنا . فتعبر حينئذ وتحفظ المعاصر وكل خلية تحذف امر من اظلموا
 الله عهودهم

فلو دس الالهة السلايا مقدم ذكرها وثبتت عاروه شاهد
 مقتنع ظهرا . استجاب . فقول ان اسدس يوحنا لا تعلي قد ذكر في سفر
 الرؤيا . انه سيكون برد وبار ومطار دموي يخرج ثلث المسكونة مع الشجر
 والعشب كله . رؤيا ٨ ٧ . ولا تقف اليد عند هذه الحدود . لانه
 بعد ذلك يظهر حالا حيل عظيم من نار ويسقط في البحر . فيكون ثلث
 مياه دماء . ويحترق ثلث ما فيه من المخلوقات وثلث ما عليه من السفن .
 ثم يسقط من السماء نجم عظيم من نار يتهب كصباح متقد . ونخذ
 الى شرار كثير . ويسقط في يابوع والاسير . وفضلا عن انه يجعل المياه مرة
 كما قام ويصيرها مميتة مهلكة بقاء . فيموت كل من يشرب منها . ثم
 بعد هذا يظهر الاك فيضرب الشمس والقمر والنجوم فذهب ثلث نورهم .
 ومع جميع هذه السلايا يفتح قم الهازية السفلى . ويصعد منها احوال ظلم

منه الشمس والهواء . ويخرج منه حراد كثير يلقى وجه الأرض . لا
يضر بشب ولا نبات أحضر بل انما يجارب الخطاة أعداء الله في مدة
خمسة اشهر . لا يروح بها يهد بهم بلدغ كما من لدغ المفارب . ولا يحس
فيه قال بعض المعين معتبرين وعموا ان احراد المذكور يكون شياطين
بزي جراد . وقد ينزل الله على الخطاة في تلك الازمنة الأخيرة ببلايا
اخر كثيرة . لأنه كما ان الله قبل ان اهلك المصريين في بحر القلزم
وخلص شعبه ضرب مصر بضربات شديدة مره كما ذكر في سفر
الخروج . كذلك قبل ان يفرق الخطاة في بحر النار العظمية المنتشرة
حينئذ على وجه الارض وقبل ان يتقدمها قديس . يتقدم ويضرب
الأرض بضربات اخوف وأعظم من ضربات مصر قد مر ما انعام يكون شر
من بني مصر . لأنه تعالى سيدها ولولا امير مثله . فيخسف به جميع
الحايز ويرجها في لحج البحر . وتهدم الجبال وتندك فتعود سهلاً . وحلا
الرعود المهيلة والصواعق القاصفة تتساقط حمارة عظمى رجماً على وجه
الأرض

فتأمل الان ما اشق ما تكون حال الخطاة بعد هذه البضربات
كلها حين تظهر تلك النار الآسكة المذكورة في الكتاب المقدس .
التي تتحد من السماء وتذبح من جهنم وتكون من الموصعين معاً كما
قال البروتوس الكبير . تلك النار التي تحرق كل شيء وتحول كل ما
تسه إلى رماد . وقد تنفع حينئذ ولي العالم اوائهم لنهيية والفضية

وأثوبهم الحرية . ومتارلهم المرينة وقصورهم المشيدة . وبقية الاشياء
المتخرة على الارض . ماذا تفيدهم حينئذ وهي تحترق تجاه اعيهم .
فلا يعود احد وقتئذ ذكر في المدرس اريسطونائيس ولا شيشرون ولا
اهلاطون ولا سيكا ولا اسكندر . لان كل صيت يضل وكل ذكر
يتلاشى ويذول

قال زدت لان اب تعلم ما اشد الخوف الذي سوف يستحوذ على
الناس يوم تحرق الماروحه البسيطة . فاعبر شدة الخوف الذي يقترى
الناس اذا ثبت النذر في منبرهم . في اعظم ما كان ضيغ الناس وعجبهم
في رومة العظمى يوم احترقت سته ايام وسب ليل . واي بكاء وعويل
كل في مدينة ترويا لما دُفعت وقوداً المار آسكة . واي صراخ وتولول
حدث في صادوم وعامورة والخمس المدن لما امطر الله عليها نار او كريتاً
ملتهباً ودمدت . وكيف كان حزن اهل اورشليم اذ شاهدوا النار شاة في
هيكل الذي كان من محجرات العالم وغرائبه . ومما سلف قريباً اعصارنا
هذه فاطنك كيف كان حال اهل مدينة استوكلمو من مملكة سواسيا
حينما قصفت على المدينة المذكورة صاعقة ابادت اكثر شعبها الذي كان
عدده ينيف على ستة عشر الفا . وادلاد غيرهم بركوب السفن والهرب
على البحر للنجاة من النار غرقوا ويه حميمهم . فيعتر كل منا حال شتاد
اولئك الساكنين اذ كانوا يبصرون انار تحرق منارلهم وجميع اموالهم .
ولم يمكنهم ان يتشاوا منها شيئاً . وكان الرجل يسمع ولولة امراته وصراخ

بنيهم وهم يتعلمون مخربين في مهاد من نار . ولا ينج سبيلا لانقاذهم .
وهكذا فليعتبر حال اولئك الذين فروا من النار واعتصموا بجياه النحر
بناية الرعدة والخوف . ما كانت صمطتهم وعويلهم بعد مدة دا البحر فتح
لحمة وعرق السنين التي ركوها . فقس على هذا شدة حريق العالم العام .
لان الذين ينجون من طوفان البحر وهول الزعزعة وقصف الصواعق
وشدة الرياح الموصف وهمم الرلازل . يدركهم الطوفان الماري الذي
يحرق كل شي . وبه تنتهي حياة البشر ودمهم

وامري انه من هذا الحريق لدي نعم سكونة فاصبة تستدل
على ان كل ما هو الان معتبر في هذا العالم في حقير وخطيئة
متفاقمة الحرة . لان الله جللت قداسة رسل هذه النار اتركه الارض التي
قد تدمرت بخطايانا كما طهرها سابقا . ولا يخلص من هذه النار
سوى الصديقين الذين يكونون حينئذ في الوحود . وذلك لكي يتضح
ان هذه النار هي ناشئة عن الخطيئة لا غير . وانه لا حاجة معها لادلة قضيلة
والقداسة . وقد انتبه البرقوس الكبير الى صلاحية عناصر ومناسبتها فقال
انه تعالى استخدم في المرة الاولى المياه احمادا لاراشهود للحمية . مستوية
على العالم . وفي المرة الثانية يستخدم النار اشقاء لبرودة محبة . كماها سوف
توهن قوى العالم اذا بلغ الشموحة . والحال كما انه في الطوفان الاول لم
ينج احد غير نوح مع اهل بيته بجارية افعيتهم . كذلك في الطوفان الاخير
لا تفس النار الصديقين المنعمين بحب الله ولا تضرب بهم شيئا . وكل ان

مياه الطوفان لم تهلك من كانوا مبرهين من نار احبة للحمية كذلك طوفان النار لم يحبس من يكون مضطراً بالحمية الالهية

الفصل الثامن

في السبب الذي من اجله يجب ان ينتهي الحسم على نوع من عهدها
ثم تصير اسيرة عامة

انه قد احسن الانبا ديونيسيوس اسكارطوسي اذ قال ان من ارهب الامور في ذلك اليوم الاحير ان ننجلي الحق على الخطاة . اذا سمع الخطاي انقصم الرجود ونجيج البحار وحير ذلك مما ذكرناه . ولا يرغب ولا يحس بقدر ما يرتب ويتألم اذا تحقق انه لم يخدم الله كما كان يليق . وانه اثم اثماً اذ انى ان يخدمه وملكه كل بقية اليافعة ان تمام بعد . لدينونه الخاصة التي تجري عدم موت كل واحد ديسوة اخرى عامة يبرز الله فيها القصاص على الجميع معاً ويجهر بعدله على المالكين والاشياطين ايضاً . وادىفق ان لا يموت مع الانس كل ما يتعاق به كما قال القديس توما اللاهوتي . بل يبقى بعد موته جسده وولاده وبعض افعاله ونفودجاته وموضوعات عواطفه . اقتضى الصواب من ثم ان يجري الحساب على هذه كلها في دينوته العامة . ان اظهر الحساب يودى عن الحياة وعن بعض ما تبقى بعد الموت ايضاً . فيا ما اعظم ما يكون حينئذ خجل التكبرين الراهين بخيال الجاه العالمين . الذين عدل بهم حبههم للشرف عن محبة العدل والانصاف ونقاعدهم عن ممارسة

الفضيلة . ما افضل ما كان للاسكندر و يوايوس قيصر من اخذ الاثيل
 و انحر الحزيل . وقد كسبوا بالخور والصلام و سبوا دماء اناس ابرياء من
 الذنوب . فما كان يستوجب المذبح والشكر في دهور كثيرة سوف التحق
 به الهوان في اليوم الاخير قد صاعى امتداحه الماضي . كذلك الانا
 الذين كلهم يولدون ثاية ويحسون في اشخاص اولادهم . يدانون ثاية
 ويستوجب لهم ذلك امثالهم الردية التي جعلوها عثرة لبنيهم
 وقد قال ايضا لقديس ثوما اللاهوتي . انه من اجل ان الجسد يبقى
 في الارض بعد الموت . يجب ان يدان كل واحد ثاية في الديونة عامة
 لان اجسادا من اجساد الابرار دفنت في بطون الوحوش الفريعة .
 و غيرها لم يدفن وتخالف ذلك اجساد كثيرة من اجساد الاشرا دفنت
 بكرام حزيل في قبور فاخرة . فهذا الاعماس يصحبه الله في ذلك اليوم .
 فالحاصل الذي وضع جسده في قبر مرحوف يشاهده حينئذ في حال
 الالهانة والاشقاء والاعداب . اما ابا الذي لم يدفن بعد موته ليكن
 قبر في جوف الغربا او بطون الوحوش . فانه يصير جسده مكلا
 بالنور . قال ايضا لقديس المتقدم ذكره . ان الاشياء الرمنية التي
 علق لاسانها قلبه وحبها اذا اسمرت بعد موته زمانا مستطيلا او
 يسيرا . فلا بد ان تجري عليها الديونة الالهية . فانهم لصيرة في ما يميل
 اليه قلبك منعطفة فان الاشياء الارضية التي نحبها اكثر حبا بشتهي
 تدوم زمانا مديدا . فان لم ندم بعد موتك ليكن ذلك للانتقام منك

ولعقاب محبتك . وان استمرت بعد ذلك فحرف من ان يكون عقاؤها اجراً
 ذميباً على بعض اعمال صالحة فيقص لذلك اجره الاندي اويـلب
 منك تماماً

وما عدا هذا وذاك فالانسان لا يحطى بالنفس فقط بل
 بالنفس والجسد معاً . فوجب ان يحضر كلاهما ويمثل امام عرش السيد
 المسيح للدينونة وان يتم ذلك جهاراً حذراً من ان يعوان امرؤ على الخطاء
 ويحطى . فيصد عن الخطاء اذا علم ان فصله لا يكتفم بل سوف يشهر
 على رؤوس الملا . محققاً ان الدينونة امر مرعب جداً . ومما تقدم من
 قول ايوب الصديق قد تبين لجميع القديسين انها اذهب من عقاب
 جهنم نفسه . واهـا سوف تكون وتضمط الحاطى مرتين . ويكون الثانية
 امر من الاولى واصعب جداً

الفصل التاسع

في خروج من ارض

انه قبل ان نشرع بابحث عن كمية هذه الدينونة العامة . يجب
 ان تعلم ان النار التي تتقدم ظهور سيدنا يسوع المسيح وحلوسه على مبر
 عد له للدينونة العالم . تراخته ايضاً عز وجل واداعا تعالى مع اراده الى
 السماء لا تبرح تحصى الغصركما قال البرقوس الكبير واثبت ذلك براهن
 الايات من الكتب المقدسة . ثم يجب ان نتقدا ان ظهوره تعالى الثاني
 يكون بعز ومجد عظيم يفوق على كل ظهور اخر ملكي او الهي . فان

كان ملك نائب عنه تعالى ومرسل من قبله عز وجل لنس الناموس الموسوي . قد ظهر على طور سيناء بمجد هذا عظم مقدارها حتى ان الشعب العبراني ارتعب فرقامن ظهوره . مع ان هذا الشعب كان قد تطهر واستعد لهذا الظهور . فإذا يكون اذا ظهور رب الناموس اذا جاء يطلب الحساب عن حفظ شريعته . فباية هبة ورهبة يشهر بنته في آخر الارمنة ليدين الناس كافة ويخلصهم

فتمام الال ما اذهب ما كان ظهور ذلك الملك السات الناموس العتيق . انه لما كان اليوم الخمسون من خروج بني اسرائيل من مصر . بعد حدوث تلك المصريات المحزنة في تلك السنة . وغرق المصريين في البحر الاحمر . كان الامر ان يكون متبين في طور سيناء اذا الرب اقبل اليهم في الحو من جبل ساعير السات في بلاد الادوميين . وكان قدومه بمنز محمد عظيم ومعه اجواف كثيرة من المنسكة . وقال المرتل في المزمور اسامع واستن ان المنسكة احدثين بمركبة هذا الرب العظيم كالوازهة عشرة آلاف ولم يكن الا في مثل هذا السلطان العظيم الله نفسه بل ملاكا كما شهد به القديس استفانوس اول الشهداء . وكان ميخائيل زعيم قوات الرب . ولما كل آتيا من قبل الله وبالنباية عنه دعاه الكتاب المقدس ربنا . وكان على يده اليمى الناموس ملتهبا بالنار . وكان على سحابات ترح بالعود والصواعق . فارتجف الاسرائيليون لما رأوا عند انبلاج النجم سحابة عظيمة قد حجبت الطور . ترشق دعوذا محيضة وصواعق مرجفة وابصروا النار صاعدة

من الارض الى السماء يهيج لها دُخَانٌ كَثِيفٌ طَبَقَ الْجِبَلُ كُلَّهُ . وسمِعوا صوت بوق يزعرع الارض ويستد في كل ساعة . فاذ شاهد ذلك الاسرائيليون ارتجفوا من شدة الخوف . فامرهم الملك بنم موسى النبي ان لا تقتربوا من جبل سيبا او تموتوا كلكم . وبهذا اظهر الله كم يجب ان يحترموه وشرع حينئذ الملك ينادى بالاموس بصوت عالٍ قويا حتى ان جميع الاسرائيليين سمعوا القول وهموه مع ان اصوات الرعود لم تكف . ولم تفرق عظام خوفهم وكثرت فيهم الازاحيف . حتى وشكوا ان يموتوا من اقراط جرعهم . ولهذا اصلبوا الانكلام الملك بل يخاطبهم موسى قائلا يموتوا . فقام موسى النبي نفسه مقرا بخوفه ورُعيه . وكانت عيناه مفتحة مشاهدة الايات وقبة متصفا بالبسالة والاشجاعة

وامري ان هذا كله دون ما نحدث ذلك اليوم يوم يظهر فيه رب الملكة نفسه ويعاب الحساب عن حفظ ناموسه . يوم تكون الارض كلها ماثية بالدر . وتفتح السماء من فوق وادي يوشافاط ونحدر ان الله تعالى يوصف لبيدين الجمع . في موكب الملكة السماويين الذين يظهرون هيئة محوسة . ونحقق امام الديان العظيم رايته اعني صيبة المقدس كما قال الذهبي القم وغيره من المعلمين . فيدرج الصديقون العائشون بعد على الارض ويرتفعون الى الحوا الى لقاء مخلصهم حسب قول الرسول . وتنتصب اربعة ملكة في اربعة اقطار المسكونة . ويصرحون بارب قرون صوتا عظيما بعد ايام للامة قائلين . هموا احضروا

الى الدينونة . فخرج حينئذ من جهنم انفس الهالكين وتدخل اجسادها
ثانية . وفي تلك لدقيقة عيها تتدلى ان تتعذب في اجسادها بعد ايات
مريعة ابدية . ثم تأتي انفس الابرار ويبسور اجسادهم ويتصفون بصفات
المجد الرابع . لان اجسادهم تتلأأ ضياء افضل من الشمس وتصبح احف
والطيف من امواه . وغير قابلة الألم وتفساد صلا

امأ الصديقون الاحياء . فتحجزهم عن ان يحتملوا في لحم قابل
الموت وفور الفرح عند مشاهدتهم السيد المسيح وجزيل اشتياقهم
اليه . يموتون من شدة الفرح والمحبة والتعجب . لكنهم بعد موتهم
يحظون حالاً بمعاية الذات الالهية فتحد انفسهم باجسادها ثانية قبل
ان يعترىها الفساد . فتطهر من كل دنس ارضي . وتترن بالصناعات
المحيدة السابق ذكرها . فن يقدر ان يصف عظم فرح اربس الصديقين
اذا تمتت جديداً باجسادها التي كانت قد استحوالت الى رماد منذ
الوف من السنين وقد توشحت بالبهاء والمجد . وايما شكر تسديه انفس
الابرار الى سيدنا يسوع المسيح لاجل اتحادها الذي رفيقها القديم واي
فرح وسرور بين النفس والجسد . وكيف يهني احدهما الاخر لانهما
عاشا عيشة قسفة ومارسا رياضات التقشف . ومخلاف ذلك ما أشد
ما يكون رحر أنفس الهالكين وغضها على اجسادها التي اهمكت
في اللذات . وسببت لكليهما العذابات المؤتدة

فبعد أن يصطف الهالكون في وادي يوشافاط . ويرتقي

القديسون الى الجوار لقاء السيد المسيح الديان . يقوم عز وجل فوق
 جبل الزيتون على سحابة بيضاء منيرة جداً . ويكون حوله وامامه ووراءه
 ألوف ودرجات من الارواح السماوية متلاتين بنور عظيم . بل يأتق من
 اقنومه الالهى نور يفوق كل شعاع من اشعته نور الشمس فوقاً لا يقدر
 ولا سيما من جراحاته الحقة المقدسة . وهذا النور يكون للابرار لتبديدا
 مسجماً والاشرار مؤلماً محرناً فيكون بكاءً مرأً وبتنحون انقباباً لا يريد عليه
 لانهم لم يذنبوا من جراحاته الالهية . وعند شاهدتهم عظم جلال
 مجده الالهى وسموها عزته الربية يطأطئون رؤوسهم وينكسرون
 تحت موطن قدميه وركبائهم ينفضونه تعالى . فماذا يقول حينئذ
 اوتك الذين كللوه بالشوك وامسكوه قسبة عوضاً عن قضيب الملك
 وامسوه ثوباً احمر مرقاً ولطموه ودرسوا وجهه الاقدس بصلبهم المثل .
 ام . اذا يقول اوتك الذين قدم لهم السيد المسيح ذاته . واتدهم بالامه
 المقدسة وموته ولم يحاصوا له لعبادة بل اساءوا اليه بخطايا متعددة مرددين
 بدمه الركي المسفوك حباً لهم . كأنه دم حيوان او احد اعدائهم . اني
 لا تحب من ان ذكر هذه الامور لا يمزق لبناً واحشأنا ولا يذبح حسبنا
 تدماً وانحافاً . فنتصم بما قاله احد اباء ابرية اذ سئل عن واسطة باين
 بها القلب البشرى ويميل الى ممارسة التوبة فاجاب سائله قائلاً : اذكر
 متأملاً يوم حضورك القتيديتجاه الرب الديان الالهى
 ثم ان المسككة يمدون منيراً آخر محيداً جداً يهينونه الام الطاهرة

الملائكة الطوبى مريم والدة الله لا تصكون شفيعة لخطاة بل تكون
 خرياً لهم . لا لهم لم يريدوا ان ينتفعوا من شفاعتها . وتتحدهي امام العالم
 كله . وتصب اعراش اخر حول من سبينا يسوع المسيح للرسول الاله
 ولما كين بالروح الدين تركوا كل شي . حياءً به تعالى . فيجلسون مع
 مجلسهم كقصاة . واما عمل سيرتهم المقدسة يكررون حياة الخطاة الردية .
 ويشنون حكم القاضي العادل . ومن قبله واسم ينادون بالقضاء الاحير
 الرهيب . فيبت حينئذ الخطاة ويرتمدون فرقا ويتعجبون اسفاً وندماً
 ويصرخون باعلى اصواتهم ما قد سبق الحكيم وتقوه به عن لسانهم
 هوذا اولئك الذين كانوا في اعياننا قديماً هزوا وصحكة وقد احتسبنا نحن
 الجهال سيرتهم جنونا وموتهم اماتة . فكيف قد حسبوا الان انشاء الله
 وادركوا نصيباً مع القديسين قد صلنا اداً عن طريق الحق . واهم يقضي
 لنا نور العدل ولم تشرق لنا شمس التهم (حكمة ٥ ٣)
 وماذا تقول حينئذ اولئك الملوك المتعصبون الذين طردوا الشهداء
 وقتلوه اذ ابصروهم حاصدين على هذا المحمد الوسيم . وماذا يكون
 مخزي اولئك الذين ظلموا المساكين حين يرونهم قد اقيموا فضاة عليهم .
 وامري انه في هذه الحياة لا يتوهم الخاطي ولا الصديق في ما سبق لكل
 من المقام . لان الشرير احياناً كثيرة يجلس من عن اليمين والبار من عن
 الشمال . ولكن السيد المسيح الديار العادل سوف يصح هذا الظلم . ويميز
 الخطئة من الروا . ويرفع الذين هم من عن يمينه عن الارض ويجلسهم

على منابر المجد ليحمدوا من العالم لاجل قداستهم . ويضع الاشرار من
 عن شماله اسفل واقفين على الارض ليهانوا ويحتقروا من الجميع . وما
 أشر الحسد الذي يستولي حينئذ عليهم اذ يشاهدون الارار مكرمين
 محضين وهم يحتقرون ويهانون . فاي خري يشمل الملك اذ يرى عبده قد
 ارتقى الى مثل هذا الشرف واسيره ارتفع الى محد الملكة . وهو في
 حال شقاء الاباسة . لانه كما ان المنسكة يلبسون حينئذ اجسادا من
 الهواء لكي تزداد الارار فرحا ومجدا بهذا البهاء المحسوس . هكذا تنفص
 الشياطين اجساد زرية شعبة ليزيدوا الاشرار حزنا وعذابا ينظر شناعتهم
 لكشفة

ثم اذ كشف عن ذات الضمائر واشهرت خطايا جميع الناس وأبهر
 اسرار القلوب ونياتها وعواظها . ومقاصد كل فكرة وكل كنه وكل عمل
 وأعلن كل ما كتمته الخطاة سرا او أضربوا عنه خجلا او حموه مكرًا
 وتبسأ او تعافوا عنه كسلا اذ ادب هذه كلها على أعين الجميع وفحص
 عنها وحكم عليها . اذ الديان اعدل بهض لوقته . ويفتح فاه الاقدس
 ويبحر بكلامه يسمعه الجميع ويبرزوا أولا للحكم على الارار بوجهه ناس بصوت
 لديد عذب قائلا ته الويا ساركي أبي رثوا الملك امدكم منذ انشاء العالم
 متى ٢٥ ١٣٤ . فيا ما أعظم ما يكون وقتئذ فرح الارار الصديقين
 ويا ما اشد وأمر ما يكون حزن الاشرار الطالحين وليس حبيبهم فقط بل
 حسدهم وغضبهم ايضا ولا سيما حين يسمعونه تعالى يحكم عليهم حكما

صارماً يبين شدة المباية حكمة عز وجل للأرار وقد أشار الى ذلك
اشعيا النبي بقوله . شفتاه مملوتان دجراً ولمانه كندار آكلة اشعيا
٢٧. ٣٩ . فيقول لهم ابن الله بصوت يفتت الصم أعربوا عني يا ملاعين
الى اباد المؤبدة امتي ٢٥ ١٤١ . فيجسور بأصوته هذا ويداحهم ألم
أمر من كل نار وعذاب . لانه ان كل صوت بطرس الرسول وهو غضب
اسقط حانيا مع امرأته على الارض فانا اعمال ٥ ١٥ . فاذا يصير بالاشرار
حينما يكلمهم السيد المسيح بغاية انقيط والغضب . وقد عيكا ان نفهم
هذا . مما شمرت به القديسة كاترينا السبانية لما وبخها القديس بولس
الرسول على اصرها شيئاً قليلاً من الرمن باطلاً لانه قد شهدت
القديسة المذكورة قائلة . ايها أثر لديها ان تهبس فباله اعلم جمعه
من ان تسمع مثل هذا التوبيخ الرسولي . فمادى يكون اذا التوبيخ الالهى
في ذلك اليوم يوم الانتقام . لانه ان كان تعالى في اليوم الذي ألقى
القبض عليه . اسقط على الارض جميع الشرط بمجرد قوله انا هو . فمادى
يكون اذا تكلم وهو جالس على سدة الحكم

قد ذكر في كتاب اخبار ابا البرية المؤلف من القديس
سوليبوس والقديس كاسيانوس عن شاب انه عزم على هجر العالم
والتمسك بالسيرة الرهبانية . وكانت أمه تمانعه موددة له حجة
كثيرة فلم يؤثر ذلك في قلبه . بل كان يرد كل سهام حججها وممانعتها
تقرس حواره هذا . اني أريد ان اخلص نفسي . فلما رأت أمه ان جدّها

لا يجد صدرًا خفيًا حال سبيله فدخل الرهبانية ألا به بعد رهة ما
 ابتدأ أن يترخي في العبادة . وفي أثناء ذلك مات والدته ومرض هو
 مرضاً حطراً جدياً . فمرض له يوماً عشرين عظيم فغاب عن عقله واختطف
 بروحه إلى الديونة امام مبر الله . فوجد والدته مع كثيرين من الهاكين
 ينتظرون القضاء الأخير قضاء الملائكة الأبدية . في رآه أمه في قوم
 كثيرين أزمعوا أن يدنوا ويردوا ندهلت وفات له . ما هدايا بني
 وكيف حصلت على هذه الحال . أين قوت لي أني أريد أن اخلص
 نفسي . أليس هذا السبب الذي من أجله أبت العالم وترهبت
 فادسمع من والدته هذا التوبيع حري جدي وحمل ولم يقدر أن يحب
 عن ذلك بكلمة . وفي الحال اتبه وسفاق . وسعة الله ورحمته برأ من
 مرضه . وادتحقق في نفسه أن خطيئة هذا كان تنبيهاً مماوياً له . تغير
 تغيراً كلياً . ولم يزل نادماً كما على الرمن المصاصي وشرع يمارس افعال
 توبة قسفة صارمة حتي أن لاحوة كانوا يطلبون منه باجتهاد أن يقتصر
 على القليل منه خشية أن يلف صحته أما هو فكان يدحض تحجهم قائلاً
 لهم أن كنت أنا لم اقدر أن احتمل توبيع والدتي لي فكيف يمكنني
 أن احتمل توبيع السيد المسيح وملكته وقدييه حين أقف الديونة
 خير نادافيل كولومبا عن هيلوس الثاني ملك اسبانيا . انه في ذات
 يوم ادكك بحضور القديس الالهى رأى بالعرب منه شخصين من أرباب
 الدولة والشرف يتفاوضا . فاهمهما إلى أن فرغ القديس . ثم انصرفت

اليهما بوجه منصّب قائلاً لا تعودا منذ الآن فصاعداً ان تحضرا ما حي .
 فشق عليهما كلامه حتى ان أحدهما مات من شدة الحزن . والآخر
 احتل عقله وقضى بقية حياته محنونا . فاذا اذا يفعل الخطاة صوت ملك
 الملوك ورب السماوات والأرض ان يقول لهم اعر بوا عني يا ملاعين
 ثم ان كانت كلمات الله مخيفة هكذا في دا يكون من افعال عدله
 فيحشد تحدى النار ماها الكين . وتنشق الأرض وتفتح جهنم جوفها
 لتبتلعهم في ألحها الى الابد . وفي حين سقوطهم يتم ما قاله الملك واليهي
 داود يسقط عليهم الحجر وتلقبهم في النار وفي الشقاء . فلا يحتملون امر
 ١٢٩ ١١١ . ثم يكمل خيرا ما قاله يوحنا الحبيب في جلبيته ان الشيطان
 وموت وحهم وكل من لم يكن اسمه مكتوبا في سفر الحياة ياتون في
 وادي النار والكبريت حيث به قبور مع المسيح الدجال ونبيه الكذاب
 نها . اوليا الى دهر الدهرين ا رؤيا ١٤ ١١٠ . اما الارز الصديقون
 فيخالف ذلك يسرور متهللين حسب قول النبي ان ينظرون الله منتقما
 من الخطاة ١ مز ١١١ . ٥٧ . ويسبحون تسبحة تشبه تسبحة موسى النبي
 التي رتلها ما عرق الله المصريين في البحر . ثم يرتلون أيضا نشيد الحمل
 الوديع المذكور في سفر الرؤيا فائلين بصوت الانبهاج عظيمة هي
 افعالك وعجيبة يا ايها الاله القادر على كل شيء . وسبلك حقيقة يا ملك
 الدهور . فمن ذا لا يخافك ولا يعظم اسمك يا رب (رؤيا ١٥ ٤) .
 فتمثل هذه الاصوات المبهجة والتراتيل المذينة يدرج الابراهم بمجد وسرور

عظيم الى فوق الكوكب ويستوون على عرش الملك اساي وقيون
على مدار المجد الى ابد الابدين

فهاكم ما يصير اليه كل زمن . فانظر كيف تتصرف الان بالاشياء
الزمنية . ولكي تحسن تصرفك بها اذكر انها هباء . ذكر هذا اليوم الاخير
يوم الشقاء . وعدل يوم الخوف والضيق لانه ليس لنا دواء لاصلاح
سيرتنا ولا علاج عظام تأثيرا من هذا المنكر . قد ذكر يوحنا كورنوالث
عن بورتورنس ملك بونفريا لوثي انه كان مولعا بالقتل وكلفا بصيد
لوحوش الضاربة . ولذلك كانت ترى على جميع حيطان قصره صور يشخص
بها كل ضرب من ضروب الصيد . فاتفق ان وجدي ذلك الزمن رهب
ماهر في فن التصوير يقال له مروديوس . فامر الملك ان يصور له
صورة تخيه مربعة ويضع في ذلك ما استطاع . فصور له الرهب الحكيم
صورة لذيونة الاخيرة . ولما فرغ من ذلك استدعى ملكا واراد ما صنع .
ففرس الملك وتعب وارتمى من عدل الله وبعد ان آمن النظر في
صيف ثيب الله الاحيار ويمدب الاشهر . تعط من خوفه وجرعه
وتاب عما كان عليه من سوء السيرة لدية . وتمسك بعري الديانة
المسيحية الوثني . فان كانت صورة الذبونة زعم فيها يكون اذا ظهرت
هي بذاتها

المقالة الثالثة

في ما بين الرمي والدي من فرق من حيث تعيد
 لمورارسة دلائل، ومحضرها وهي
 عشرة جدول

الفصل الاول

في ان سيرة الاشياء مرسومة بجمعها اهلاً
 للازدراء والاحتقار

انه بعد اراد اصر الزمن وسرعة زوال الاشياء الزمنية يجب
 علينا ان نتكلم عن عدم ثباتها فنقول . به كما ان الموت هو تحول الحياة
 هكذا التعبير الحادثة في الحياة هي موت بعضها . ومرض هو موت
 الصحة والعافية . والنوم هو موت السهر والنعاس هو موت الانبساط
 والفرح . والحدة ومراقبة هي موت الهدوء والسكينة . وشوية هي
 موت الطمأنينة . والشيخوخة هي موت الشبوبة . وول تلك المرأة التي
 اخبر عنها صاحب الحليان بان القمر كان موطن قدميها . كان يمكنها ان
 تترن به كما ترنيت بالكواكب الاخر المرصع بها اكليها وأبت . لأن
 يكون موطناً لرجليها . وذا كان كما لحظ القديس عريفور يوس الكبير
 دالاً على انه يجب ان نحتقر وبدوس الاشياء الزمنية العديمة الثبات

المرور اليه هذا الكوكب الذي من شأنه ان يحول ويتغير في كل وقت
كما قال القديس عريثور يوس الكبير واليه اشار ديث املاك الذي اعدد
من السماء متوحاً نقوس قرح ينادي بدنو نهاء الزمن . فانه قد اس انحر
برحلته التي وهي عبارة عن القوة والشدة . و اشار بذلك الى انه يجب
عليه ان نفي هكذا ما ليس ثابتاً كالجعر ودوسه بمرم مكين دوساً
شديداً

فان الله ان عدم ثبات الاشياء الزمنية يجعلها حقيرة وحقيقته
بالاردرة . وذلك لان تعبيره اعديم واسانه كثيرة جداً . وكما ان للجعر
نوعين من الحركة حركة طبيعة يرداد بها ويتقص كل يوم يند مواجه
وجزرها . وحركة اخرى كرهية يعترية بها تغيرات عظيمة تتغير على
خارجية منها الريح الشديدة والزواج العاصفة تبعه وتقبه طرأ
بطان وفوقاً لاسل . وهذه حال العالم فمن طبع فطر عليه يتعرض
للتقلب والتغير ولروال . فان حلا من اقتدار خارج فلا يحلوي ذاته
من تقلب وتغير متصل يفتضي به الى روال عام دلاما ص منه . ولربما
ينفق ان تصراً عليه حوادث غريبة تصد فيه الاشياء وتحوّلها عن ألوف
حريها . فانه صف في بحر هد اعالم عواصف عظيمة تنف ما جل فيه وما
دل فتوقع بالرهود البهية ذبلاً وذا . وان تحت واحدة منها هبت عيها
ريح سمو ايسترا وريح دعارع أنثرتها . كذلك الجمال فانه من داته
بضم وزول بمدة من السنين . بل لا يقتضي لزواله مدة مستطيلة ان

تعتد حتى حارة او غيرها من الامراض هيبدة . هكذا النوب اثين
المعروف يخلق ويبيلى بطول الزمن وينتق احيا ان يتلقه لايه في هتية .
ومشها قصور الملوك فاشها وان كانت وثيقه محكمة فتعجب بها ايدي الرمن
وتقوض اركانها ان نجت من حريق يرمد جذراها ويجعلها عبرة للخلق
فامعن اذا النظر وتفرس بالاشياء التي ائذل الناس ما فيهم من الحد
والحمد في توطيدها وركينها ترها جميعها مغيرة . همدية تيايس من اعمال
مصر التي خالها القديس عريموذ يوس الترييري من عراب العالم كانت
تدهش عقول المتظرين بحسبها وقيامها . وكانت حيطانها مريية بدر مصر
انصفه بالذهب الاربر . وفي عرص سودها بساتين كثيرة مبهجة مرتفعة
عن وجه الارض . وعدد ابوابها مانه باب . وكان كل باب يسمع عشر كرات
من الجنود . وكان طول كل باب منها عشرة اميال . كما اخبرنا يومونيوس
المؤرخ قد افتح هذه المدينة المحيطة الحصينة شاب حدث وقهر اهلها
بحيش قليل كما روى القديس ايرونيوس . وقد خبرنا مؤرخ اخر يقال
له مرقس بولس . انه دخل مدينة تدعى كينساي وكان عدد سكانها
ثمانين روبة من الناس . فلم تمض من ذلك الاسين قلائل حتى مر بها
يقول لوس المكى بان الامير . فوجدها قد هدمت وشيدت عن حديد .
ولاديب في ان مدينة نينوى كانت اعظم من هذه المدينة حدا . لان
الكتاب المقدس يشهد ان طولها مسيرة ثلاثة ايام . والان بل من
دهور عديدة لم يبق من هذه المدينة اثر . ومثل ذلك حل بمدينة

بابل حصن البلاد وتحت مملكة العالم . فانها درست ودكت قائم
صفصفاً وأصحت بربه مقرة ناوي اليها لوحوش انضارية والسياطين .
كما كان تنبأ به اشعيا النبي ولم يتيها من كوارث الزمن . ولم يكفها شر
حوادث الايام سورها وركل علوه مائة قدم في عرض خمسين . وما
قوات في مدينة قعتان عاصمة مملكة الميديين . التي شادها ارفخشذ الملك
من حجرة مربعة منحوتة تحت في غاية من الاحكام وكانت أحصن من
مدينة بابل لان عرض سورها كل ستين ذراعاً في علو مائة ذراع .
فاستحها ملك الاثوريين واستأثر سكانها والملك بانها . وبعد ان كانت
الارض ترتجف من سطوة ملكها اعداهو يرتجف خوفاً وفرعاً من ملك
أثور عدوه (يهوديت ٢٠١)

ومادنا نقول عن المدن التي درست وزهبت بذهبها ثم وانقضت
أحوال نسي شأنها . ولما شيد الاثوريون العالم وهدوا ملكهم واستقر
لهم أمره اذا انقضت أحوالهم وصارت في أيدي سواهم من الهجم وانتقلت
من الهجم الى ليونانيين ومنهم الى الرومانيين . ثم بعد ستين قليلة تبدلت
تلك الاحوال وانقضت انقلابات أخرى كثيرة . حتى غدت احوال العالم
واموره بين تغلب وتبدل لا تركز لها ولا ثبات إلا على التغير . فان كل
التغير شيئاً في الامور وشأنه تحقق بها الاحتقار . فحين العالم عظيم لانه
كثير التغير

ان القمر المرموز به الى عدم الثبات يتغير لا من حيث صورته فقط

بل من حيث لونه انما . وقد لحظ في هذه الاسماء الضمير ثلثة
الوان . وهي الاصفر والاحمر والابيض . واصفرار لونه عبارة عن انظر
والجمره دلالة على الريح . وايضا دعاية للصحو . وعلى هذا النحو
يتغير قلب الاساس ثلثة مواضع . يكىء بانثثة اللون تتبدع امياله
اليها . واولها الاصفر وهو لون الذهب . واليه اي الى المعنى يعمل الاساس
بامرئ واحد من سبل ابيه معدره الى اسفل . والثاني هو اللون
الاحمر القرمزي . وهذا يكىء بالاساس الى اشياء الكرامات الناصلة .
والثالث هو اللون الابيض لون الفرح والابحاح . وهذا يعمل الاساس
الى ان يتوق الى الترهات وملاهي هذه الحياه . وهذه ثلثة أمور تتولد
من الجهل والكبرياء والشهوة اللحمية بها يتحرك الاساس ويتغير نظيره
حشائش من خواصها ان تميل وتغني الى حيث يسير القمر . وهذه
التغيرات الحادثة في الاساس تسبب تغيرات في شياء اخرى كثيرة . فكم
من ملك يموت على هدمها جعل كورش املاك . وكم غيرت املاك كبرياء
اسكندر وحب الكرامة . وكم فعلت شهوة بليس اللحمية في مدينة ترويا
حيث لم تدع شيئا قائما الاقلته خوفا لاسفل . وكم هدمت وقامت
في مملكة ليونانيين . فكما ان البحر يزداد وسقص مداعي حركة القمر
كذلك أمور هذه الحياه ان حركاتها وتغيراتها تابعة لتغيرات الاساس . حتى
لا تجد في شيء ثباتا ولا سباتا في الاساس سوى السبات على التغير .
والاساس يتقلب وبعده يصدر التغير في بقية الاشياء .

والانتخاب الاليم . ولم تنف عما أبدته من الحلم وجهها وصنع
 جسمها بقساوة ليلاً ونهاراً . لكنهما مضت أيضاً الى اساس الذي قبر
 فيه زوجها . وكل خارجاً عن المديّة . وحبت نفسها هناك مع الحنة
 المحبوبة منها . ولم تدار ثأكل شيئاً واستمرت على هذه الحال اربعة ايام .
 فاتفق ان الحاكم امر بشق اربعة من اصوص بقربة من تلك المغارة .
 واقام حرساً يحفظون حشث أولئك الاصوص على المشقة حذراً من ان
 يأتي اهلهم فيخطفونهم ليدفونهم . فعلم احد الحرس بحال تلك المرأة
 فآخذته رحمةً وشفقة عليها ومال الى تعزيتها . فأخذ مأكلاً واصطاق به
 الى المغارة . واخذ يعزّيها ويحنّوها على الأكل ضناً بحياتها فأبّت وذهب
 كلامه في اول الامر سدى . طاع عليها ولم يزل يحنّها بحاجة ويشتغلها
 بنحج كثيرة ما تكف عما هي عليه . فطالت حينئذ نفسها ومالت الى
 مصالوّه . وارتضت لابل تنناول الأكل من يده فقط . بل بان تشده
 ايضاً زوجها لها . فاحذ الذرع منه أشد مأخذ حتى تناضى عن اللص
 المشتوق الموكول ابيه أمر حراسته . فاقى اقرأوه فصرفوه ودفنوه سراً .
 فلما علم الحندي بذلك أشق من خوف عتاب الحاكم . فقص على المرأة
 القصة فطبيت خاطره واخرحت جثة زوجها الميت الذي كانت اظهرت
 له قبلاً حباً مفرطاً وعلّقت موضع اللص المشتوق وأقرت عين زوجها
 الحديد . فانظر الان وتحم من سرعة تعير قلب الانسا وعدم ثباته

الفصل الثاني

في رثايات الرمية وب كانت عقيمة

تحت رجمه ٢٢٢

ان تغير الاشياء الرمية وعدم ثباتها المتقدم تقريره من شأنه ان
يربط على قلنا الشك والشدة . وذلك اولاً باحتقارنا هذه الاشياء .
القابلة للتغير والسريعة الزوال . ثانياً باعتدنا يقين انه لا بلية تدوم بل
تحول . وانه كما يشق احياناً ان بعض الخير يكون علة لشرو عقيمة .
كذلك يتفق ان شرواً جسيماً تفتح احياناً خيرات جسيمة . وقد ذكر في هذا
المصدد عن رجل شريف يدعى ايوس . انه لما بلغه ان الحاكم عهد بالقبض
عليه يقتله . دك سفينة مع حذامه وامواله وامنته . وحلا عن دياره .
واذ كانت الريح ترحى سفينتهم وسوست للخدام نفسهم وسوات ان
يختلسوا مال سيدهم . وانزلوه في قارب وتركوه في البحر ترجيه
لريح . وسارواهم بالسفينة الموسوقة من ارزاقه وامنته . وما عثم ان
غرقت بهم السفينة وهلك كل ما فيها من الرزق والناس . ولم يدركوا
سوء مرادهم وما كان بخاله اليد بلية صار علة لنجاته . فل قاربه انتهى
به الى مملكة سيسليا سالماً سليماً

حبرونا ايضاً عن رجل آخر يدعى اريستومينس ان اعداؤه قضا
عليه واقوه في سجن عميق رثاياتقونه فكان يرقب الموت في كل
ساعة اما من الجوع وما من الرائحة المنة التي كانت تبعث من ذلك

المكان وما من ضربة سيف. ولما كان على حال. لئلا ينكس اداثعلب
 قد دخل الى السخن من سرداب محفور في حائط السخن تحت الارض
 فامسكه اريستومينس بذنبه واذا كان الثعلب يحاول الخروج من حيث
 دخل كان الرجل المذكور يتقاد اليه تابعا اثره متمسكا بذنبه بيده الواحدة
 وموسعا ذلك انفذ بيده الاخرى. وعلى هذا النحو خرج مع الثعلب سالما
 وكان اعداؤه يعدون له الموت. فلا شر ادا في هذه احياة يستحيل
 الوصول به الى اعظام خيره. وقد ذكر عن ديوجينس انه بعد ان حكم عليه
 في المحكمة لاجل امر الحق به الهوان والاحتقار في امين الجميع حصل
 مكرما من الجميع حتى ان اسكندر الملك اعظم زاره وشرقه جدا.
 وهكذا اخبرنا عن رجل كان في صدره دملة مهلكة اعيت الاطباء
 عنها وآيسوا من شفاها. فاندق ان عدوا له ضربة على صدره على تلك
 الدملة ضربة ممتة فصارت الضربة علة لبرئها وعلاجاً لشفاها. وقد
 اخبر ايضا جالينوس رئيس الاطباء عن رجل ممنوع برص لاشفا. له
 انه مر يوماً قوم يحصدون وكانوا يعرفون علة فاسطوه خمر اوقت
 فيه افعى ليشربه ويموت ليستريح من ألم حذامه فلما شربه تنق من
 برصه ونال الشفاء. وخبرنا مؤرخ اخر انه عرف صبياً أعرج الرحلين
 ولم يكن يقدر ان يمشي اصلاً الا متوكيماً على عكارين فاتفق انه يلي
 بطاعون في زمن الوباء فشي من عرجه شفاء. كءلاً وصار يمشي
 مستوياً يغير عيون كائن الناس. وجاء ايضا في الاخبار ان رجلاً أعوى

ضرب على أم رأسه ضربة شديدة فصار يبصر جلياً . وكذلك امرأة فقدت
صحة العقل فاد ضربت على رأسها عادت الى حايها الاولى وصحبا عقابها .
وقد ذكر بلوتا رخوس ان رجلاً كان فجأة ذا من فضر به عدوه في
مكان الالم فشفى منه . ولعمري ان بني يعقوب اسرائيل كان سوء معاملتهم
ل يوسف اخيهم وجورهم عليه داعية ومدرحة لرفع منزلته وشانه في مصر .
والا يا ايوب الصديق صارت سبباً لان يمر وبرداد حيراً ورقيقاً . وهرب
يعقوب الصديق من وجه اخيه عيو بعصاً لا غير من دون راد ولا
امتنعة . صار له سبباً لان يرجع الى بلاده عتياً بادل والخدم والنسب .
فحتماً انه لا يوجد في هذه الحياة لمية لا تخاطها رجا . وقد تاتي سرور
اراً بخيرات وفرة وذلك بالنظر الى محروم ما تحرى عليه الامور

واما اذا وجهنا نظرنا الى عناية الله . فترى انه لا شر لا ويمارجه خير ولا
دا . الا له دوا . فهل من صيق اعظام مما حصلت عليه سوسنة العفينة حتما
سيقت الى الموت برضى الجمهور . وقما هي ماضية الى القتل هامة
عصية انقذها الله من الموت . فاندهل الجمع وتحمبوا من فضائها وفضيائها .
ودانيال النبي اذ القي في بئر لا . واما كاك عميل عن كل عون بيد انه ما
كان يترقبه من الاسعاف ممن في الارض اتاه من السماء . ولثلاثة الفية
الذين طرحوا في اتون بابل قد وجدوا التعرية وسرور في وسط النار
وفي حضن الموت اذكروا السلوان (دانيال ٣ : ١٤) . وقد ظن داود النبي
اد رأى جنود شاول عدوه قد احصوا يه انه لا خلاص له ولا مفر من

بهم وقد حان موته لا به تلك الدقيقة ندمها حار يعود لحياة وقر
هاربا من ايديهم

الفصل الثالث

في لهيب على الانسان ان يزدري عرافه . يمكن
ان يكون سبب من الاحوال

فندتصحن اذا وتعتقن من تفر الاشياء الزمنية وعدم ثباتها ولا ثبات
عليها التكاليف ولا تعوان على الخط العالمي ولا تنقن بما في العالم من اتساع
والشرف حال هو الاعرور فما من مملكة او رتبة او حبرية معصومة
عن خطر البلية . ولذلك يجب علينا ان نعتبر دائما هذا الامر . وهو انه
يمكن ان نخط من اعلى رتبة الى اسفل مرة . فنعلم ان اشرف اساس رتبة
وقدرا لا يكثر عن ان يسقط من سمو رتبه ويضطرها الاحتياج وتعوده
العودة الى تساؤل . ماشه في الشوارع كاحد اصعاليك . والمملك نفسه
لا يثابته عن السقوط من سدنه وتخلع عنه التوبة الملوكة ويكون هاعلا مكديا
او يقتل قتلا رديا

فقد كان فيساليوس ملكا عظيما حذا وكان مستوليا على الشرق
والغرب وكان على جانب عظيم من القى وثروة وكنات امواله
كرملا البحر وكان مشكورا وممدحا في الشوارع من الشعب الروماني
كافة فلم تدم حاله على هذه الحال بل انتهت ههنا قصوى لم يكن
لها نظير . لان ارباب الدولة قضوا عليه ورطوا احلا في عتقه وكتفوا

يديهِ وراءَ ظهريهِ ومزقوا ثيابهَ وحلوا سيّاً تحت ذوقهِ وطافوا به هكذا في مدينة رومة باهانة عظيمة وكانوا يشتمونه ويطنخون وجهه وحلته بالوحل ولاقدار واخيراً فتوه في الشوارع والقوا جثته طعماً للموحوش الضارية كجثة اعظم الائمة ولعمري انها حال يرثى لها . فالذي حصل على اسعد المراتب وتمتع بكل اللذات والكوز والكرامات تنتهي حياته هكذا بائس الميثاق وهذه البيعة فمن ذا الذي كان يستطيع ان يسبق ويعرف ان حياة هذا الملك تنتهي على هذا المتوال . اذ اراه منذ ولادته ونشوه متردياً ثواب شريفة فاحرة ماشياً في مدينة رومة العظمى باحتفال عظيم وشرف ملوكي في شعب يمدحه وبشي عليه . فهل كان رآى ان حياة هذا الملك تنتهي على هذا النحو المتقدم وصحة . هل كان خيل له ان هذا الانتهاء الشقي يقتضي مثل هذا الاستعداد لشرف

هكذا قال يانوس الملك لدى كان يلبس الخنز والارجوان ويركب الفخر الخيل المسومة وعلى رأسه تاج ملوكي . ثم قص مدة يسيرة حتى سخن كودش صار في قفص من حديد . وكان لسا بور ملك الفرس بمنزلة موطن ديطلي . ظهره كما اراد ان يركب . واخيراً سلخ جلد منكبيه ولحمها كالحم خنزير . وريثون الملك بعد ان ملك عدة سنين في القسطنطينية وتعم بكل لذة دفن وهو حي . وكل لحم يديه من شدة الجوع . ولبس اديوس المظفر في الخروب بعد ان تنصر على شعوب السدالة والعاطليين وافتتح مملكة افر بقة وسيليا وظفر بملك الفرس وحصل على كنوز عظيمة حتى انه في يوم

واحد ربح ما قد كسب جاهد البداليون من الاموال في مدة ثمانين سنة .
 فهذا الصطر اخيراً الى ان يمد يده طلباً ليعيشة على باب كنيسة اجيا
 صوفيا وفي شوارع مدينة القسطنطينية وهو اعشى . وديونيسيوس لثاني
 ملك سقية خلع من الملك ومضى بالفقر العظيم . فاحوجه الامر الى ان يقرئ
 الاولاد الصغار سداً للجوع . وادوني راى لذي فقر بسمين ملكاً
 حسبما اخبر عنه الكتاب المقدس حصل احيراً اسيراً وقطعت اصراف
 يديه ورجليه القضاة ١٦١ . والملكه غوسفيندا امرأة ملك اسبانيا
 الذي احبها وكرمها جداً عدة سنين رسل الملك المذكور جلاداً فقطع
 رأسها بامر في وسط مدينة توليداء . ومريم راحة القوس ملك النمسا قتلت
 بامر الملك المذكور لما تحقق ان ما اتهمت به احد امرايه باطل . فاذا تقر
 ذلك نقول انه ما من تاج اوقضيبي ملوكي مزه عما ساقى الامود الزمنية
 من التغير وعدم الثبات . وحسناً قال القديس ريفوريوس لنزيرو .
 ان الاجدر بنا ان نستوثق من الريح ومما يطع على صحائف الماء اكثر منه
 من نحاس العالم وغروره فان العالم لا يدرك العهود ويخلف
 بالمعهود

بل ليست هذه كلها على حصر الكلام هبوطاً بل تغيراً فقط .
 لانه ما من احد يقدر ان يسقط من موضع سفلي منخفض وكل سعادة
 عالية وحيث متحفصة جداً . فالسقوط الحقيقي اذا هو السقوط الروحي
 الذي يسقطه الانسا من حال سامية حال النعمة الالهية الى الحلة

الخصية فيجب علينا ان نرفع فرقاً دوماً ان مثل هذا الغير احيى
 يمكن ان يوجد فيها وذلك باردتاء فان جميع الخيرات الارضيه يمكن ان
 تسبب ما اعتصماً بها اما الخيرات لروحيه ولا يمكن ان يتقدها ان لم
 ترص بذلك . في الاعمال شتائنا لاسا نحن نرعى بتقدها وتغيرنا
 الاختياري نصير هذه الخيرات غير امة ابلة الغير خاصة للغير

حبرنا القديس بطرس دانيوس انه عاش رهباً في مدينة من الاد
 ايضاً ابدعى ما دليوس . وكان هذا الراهب قد اتى الى درجه سامية من
 القداسة فبلغت به قداسة الى احتراح الهجرت . ومن جملتها انه مره
 في يوم السبت العظيم بعد ان هيا واديل الكبيسة واعدها سم بئى له
 ريت لتعديل الجسد لاهي . فوضع يامسا حتى ماء في ابدال موصاً
 عن الريت واصله فاشعلت القنبلة من الماء كما كانت تشعل بالريت
 وسم ذلك القديس مضيئاً هكذا تلك القنبلة كلها . فاعتبر ما وصل اليه
 هذا الرجل المحامي . فان الله رفع حبه يده فاستطاع ساطعه قبيحة . ولا جها
 اتي في السجن وتعذب بحكم لشرعية تذبياً مشتهراً . وقد احبر ايضاً
 القديس بطرس المتقدم ذكره . انه في المدينة المذكورة نفاك كاهن
 قديس من عليه الله بعمل النجاة . وكان كلاً يوم في قداسه يحضر
 ملاك من السماء يتقبل من يديه الاسرار لاهيه ويقدمه لله كحسب رسم
 الكنسي . وكان يعاين ذلك ميرامدية عية . هذا الكاهن الذي كان
 شبيهاً للراهب المتقدم ذكره في مدينة صاهاه احير في لرديلة وسقط

نظيره سقطه جسيمة . ومثلهما اثاب الراهب الذي روى عنه القديس كيمكوس . وانه كان له الى قداسه عظمى والى صنع المجائب . وكانت وحوش البرية تحضه له في خدمه الذي وقد كان القديس نطونيوس يشبهه سفيمة موسوقة جواهر ثمية غير انها سائرة على البحر لا يعلم هل كانت تبلغ ايناء . وهذا اثاب الحريل الشاط سقط سقطه عظمى . وحيثما كان يبيكي من حرها مر عليه البعض من الرها ان . مطب مهم ان يقولوا الانبا الطونيوس ان يصلي لاجله طائلاً له من الله عشرة ايام ليحارس بها افعال اتونة . في سمح الطونيوس هذا الخبر اتخب وبكي بكاء مرأوتف شعر رأسه بايديه فانالاً . وهالقد سقط عمود عظيم في بيعة الله . وبعد ذلك بخمسة ايام توفي الراهب المذكور

وجيرون الاسكندري الذي حكي عنه براكليس قد اظهر في العضية والقداسة سين كثيرة . ثم عد ذلك سقط ايضاً سقطه قبيحة رديئة . وصار بعد ما يطوف مارا رانياً ويحول في حومات الفساد عياناً لا حياء . وهكذا تولو ماوس المصري الذي استوطن البراري المقررة خمسة عشر سنة مواظباً على الصلاة . ولم يكن يأكل سوى الخبز ولا يشرب غير الماء . صد اخيراً عن هذه الرياضات وبدل هذا عيشة مقدسة بعيشة اخرى تضادها . ثم ان داما طرنا الى ما ذكر في الكتب المقدسة . فتجد هناك تغيرات وسقطات عظم من التي تقدم ذكرها . لانه من كل يظن بشاؤل لما اختاره الله وكان باراً واكثر صلاحاً من غيره . انه يتحول من حال

تواضع والصر إلى حال أكبره الشيطانية والغضب الشديد على من لم يكن له مثيل في الصلاح والبر في جميع الشعب الاسرائيلي. وان سيمار الرجل الجزيل الحكمة والتقوى كان مزمعاً ان يبني هياكل الاصنام ٣٠ ملوك ١١ ٧٠. وان رب ولا من جماعة السيد المسيح كان مزمعاً ان يسلمه ثم يشق داته آية من جلاصه اتي ٢٧ ١٥. فقد هذا جميعه من عاد يمكنه ان يشق بنفسه ولا يبهت مرتحف عند تأمله ما يمكن ان يبدو منه

الفصل الرابع

في رتبة الاشياء رتبة رب حين ملاحظها

وفي كنهه عين ان عظمه

انه قد ذكر عن علي بن ابي طالب ملك البداة انه كان غنياً فقدر ان دامجيد عظيم. لانه قد انتصر على بلديار يوس واخذ مملكته واسره واتى به الى القسطنطينية ومثل امام الملك يوستنيانوس وعظماؤه تعلم على وجه شيء من امر رات الحرب اصلاً بين قوم هذه الحقيقة المقول بها من الحكماء قائلين باطالة الاناضيل والاشياء كلها باطالة (جامعة ١٢١ ١٠). وقد كان قبلاً اظهر من نفسه مثل هذه الشجاعة. وذلك حينما هرب الى بلاد نيقوميديا بعد انتصار بليار يوس عليه. وصعد الى حل هناك واختفى في قلعة حصينة. لانه اذ حاصرتة الاعداء وعزم على تسليم نفسه لاستئذان الجوع عليه. ارسل الى فانداهم من يطلب له منه رعيه خبز واسهجة وقشارة. فالرعيه لكي يحفظ به حياته الشرفة على الموت

من الجوع . والاستعجاء لكي تسبح بها دموعه ولا يعود ريبك ابداً على
 فقد الاشياء العظيمة التي تفتقر بسلام وقيامة لانه لا يترك في يسمع دموعه
 فقط بل يريد يضار سداً عويل بالمشيد . والخرن بالتعزية والعز
 محققاً ان جميع عظيم هذه الحياة باطله . فهل من عصمة على الارض مثل
 عظمة مملكة لرومايين . ومع ذلك فمد يلبس احدهم على سدة هذه
 امسكة برمن يبر كل يموت قتلاً . وكان يحرقه كاس الموت من
 اقاموه ملكاً . واخرون اكثر منه امتدار وقضة ولقد علمنا ما
 دونه التورج انه من الملك الطولوس التيلوف الى الملك كلوديوس
 الثاني كان عدد دين حلسو على سدة المملكة ثمانية عشر ملكاً الى
 عشرين ملكاً . وجميعهم ماتوا قتلاً . هذا ما عدا الموت الدخلاء وقد
 بلغ عددهم في عهد الملك يوبا يوس الى ثلاثين ملكاً دحياً . وجميعهم
 قد قتل بعضهم بعضاً . نحن نرى انصاع لما يملكه من ان سادة هذه
 الحياة مرمعة ان تنتهي مع هذه الحياة انها قد تنتهي ايضاً قبل انتهاء
 هذه الحياة وتنتاب الى شقاء

الفصل الخامس

في دابة الاشياء بنية وحلافة عن تصام

وفي ان يدور يحرق يصبون عن شجرة عدل

ان ما يبعث على احتقار الاشياء الرمنية ويجعلها حقيقة به ليس
 سرعة رواها وانقلابها فقط بل يدعون به امر حرو هو انها دنية مصرة

مضاده للظلم وهي كذلك لا يانظر الى ذاتها فقط بل بالنظر الى سوء
 اسمها ساياها يسمي مهد وذلك لجمالها اهلاً للاحتضار هذا المقدار حتى
 انه كان يجب سايا ان تردى بها ولو كانت ابدية . قال المديس يوحنا
 البشيري جليانه نه دأى وحشاً مرهاً صاعداً من بحر وكان رأسه كراس
 الاسد وجسده كان مشكل الالوان كحد اعر ورجلاه كانتا كرجلي
 الدب وله سبعة رؤوس وعشرة قرون . وأيا ١٣ ١١ . فهو داما يوجد في
 العالم اعني شهوة اللحم الرمور اليها بالدب الذي هو الوحش الاشد
 ميلا الى اللذات اللحمية . وشهوة العين . اي رغبة الغنى المبرعها ما يمر
 الوحش المشكل الالوان . وفخر الحياه . اي عبة الكرامات الرمور اليها
 بالاسد وهو كثر تكبراً من سائر الوحوش . ولما كان العالم مردهياً
 بالحياة . والكبر . كان لهذا الوحش الرمرى سبعة رؤوس وعشرة قرون .
 فالسبعة الرؤوس هي رموز الى الرذائل السبع الرأسية والعشرة القرون هي
 دلالة على ما يتولد منها من الرذائل التي بها ماطح الشر وصايا الله ويقاوم
 الناموس لاهي . ثم اعتبر السر الرموز اليه بتوزيع أعضاء هذا الوحش .
 فنقول ان رجليه كرجلي الدب . وجسده كجسد الثور . ورأسه كراس
 الاسد وذلك لان كل مقاصد ونبوا العالم متأسسة على الشهوة اللحمية .
 وعلى هذا لاساس قد قام شر لغنى وشر اتفخر المائي . اللذان ليس هما
 شيئاً طبعياً بل شئت فقرة فساد الشر . فاعنى جسده العلم . لانه على
 المعنى تسمى الكبريا كلها الرأس . ثم ان المعنى الرموز اليه بجسده اتمرو

موضوع بين الكبير المرموز اليها برأس الاسد وبين الشهوة اللحمية المرموز اليها بأرجل الدب . لان هاتين الرذيلتين تنفقرن الى لغنى على حد سوى . ولذلك كان الغنى جسدا لهذا الوحش لكي يقوم بما يتطلبه هاتان الرذيلتان اعني بهما كبريا الحياة والشهوة اللحمية . فالعالم حقا يشبه هذا الوحش الخيالي من حيث ليس فيه شيء حقيقي

قال ويلور الفيلسوف اليهودي . ان رأس الامور العلية التي رسمت الامور لاحلها . فاذمالت اشياء هذا العالم عن غايتها الوحيدة باستمالة اياها سوء الاستعمال . فاعتراها حطل في النظام لما أريد فيها غايات كثيرة وقصد فيها اعراض خصوصية . ومن ثم لم يكن للوحش المذكور رأس واحد بل رؤوس كثيرة . فان البش في استعمالهم الاشياء الرمنية لا يتفكرون غاثة ان يرضوا الله ويمجدوه بل عرضهم منها ومرغوبهم فيها ان يرضوا الالمهم وشهواتهم . ولما كانت الشهوات متفتنة مختلفة كانت غاياتهم ونياتهم متنوعة مختلفة . وكل هذا الباعث على تعكير هذه الرؤوس المستقرة . وبمعري لما كان العالم يتبع هذه الغايات المختلفة التي ليست الا غايات كاذبة لمباينتها . انصواب والطبيعة فوجب ان انحرف عن عايتها الحقيقية . ولما كانت كل الاشياء قد خلقت لكي يستخدمها الانسان تحميد الله وعبادته كانت اذا حادت عن هذه الغاية تعود باطلا كلها . كذلك الانسان الماهر في رشق السهام فانه اذا قصت عيناه لا تعود تفيد خبرته في تلك الصناعة ولا ينفع من قوسه وسهامه اصلا . قل لي يا صاح

أكثره الذهب والفضة والمولود والخواهر الكريمة الموصلة بها الثواب
البشر وامتعتهم عاندها لخدمة الله أو ينظر فيها إليها . فدل عن ذلك
القديس الكسيوس هل كان يعمل ذلك لهذه الغاية لما استعمله .
فإن كانت أذهبه الأشياء لا تستعمل لخدمة الله فتكون جميعها باطلة .
اخبرني أيضاً هل كثرة المرات والولائم والملاهي يقصدها رضى الله أو
هل تفيد لذلك . فدل لقديس برزديوس هل اتخذها مدرجة للبلوغ الى
هذه الغاية وهل ينظر في الجاه والتمتع العالي والكرامات الأرضية الى
خدمة الله أم هل تجدي لذلك نفعاً . فاستفهم عنه القديس ايسيدور
ملك الحبشة لدي تنزل عن ملكه الأرضي ابتغاء ملك السماء . فكل
مجد هو باطل وكاذب إن كنا لا ندرك به المجد السماوي

ولعمري إن بطال الأشياء العالوية لا يتضح من انحرافها عن عاينها
الوجهة فقط للحكمة يتبين من جهة أخرى أيضاً . وهي لأنها لا تصحح ما
يقصده فيها شر البشر ولا تنفي به الى عرض ارادة منها لانه ما
عليه يحمل الانسان الى الرغبة في الفنى والكرامات التي يفوز بها .
به لم يقصد في ذلك شيئاً آخر سوى السعادة الأرضية والحل لها
إنما تفيد لذلك افادة دور ليسيرة . بل الاجدر بنا ان نقول انها تكسبه
عداها وشقاء . فما اسأم الشرائع التي سبها العالم مراعاة للسمعة والشهرة
والشرف انها تورد الانسان موارد القلق وتكدر كاس راحته وترمي بحياته
في خطر دائم . فهل من جهل اسلم غباوة وحماقة من ان يعد حيراً

واعتبر في عالم ما من شأنه ان يكون سلة لشروق جديدة متصلة وسريع
الزوال ولقد وعسر الرذومن ما فيسح درعاً على سببه . واداف قد مرة
يستحيل استرداده وما اسوأ شريعة العالم هذه . انه اذا ما افترى عليش
رجل قبح الصيت بقوله عكث انت كذمت فيكون قد شنع صيتك
وثلم عرضك . وان كان افترى ليث كذاباً . وما شرف الصيت الذي
اذا جرح بكلمة سقطت من ذلك لا يقدر ان تعوضه بكلمة اخرى تفوقها
انت . او ليس اجتهد الانسان في اصلاح عينه باظهار الحق عنوة
واعصاباً ضرراً من الفأوه بل سرّاً من الخور لقطع . لانه اولاً ان كان
الانسان شديداً بأساً وبصشاً فليس لذلك افضل صلاحاً وصدفاً . ثانياً ان
هذا مضرّ بالقوم الفضلاء . لانه غالباً من كان باصغريه افضل صلاحاً
يكون بالجسد صعباً دليلاً . واما الغني فقد صيره شرّ البشر كثير الضرر
قليل النفع انكون انفي لا يقسم ولا يرتضي ولا يكف ما دام لا يرى في
بيده ما شاء . فلا يكفيه ان يلبس الثغر كسوة ويترس بالثغر ملبوس . بل
يريد مع ذلك ان تكون حيطان منزله ايضاً مزينة بالثغر زينة . ومن ثم
فمن كان اوفر عني واكثر مالا يكون اشدّ فقراً وعظماً احتياجاً . وذلك
لانه لا يحتاج من حيث شوائ نفسه فقط . بل من حيث ضرورة الاشياء
التي يمتلكها ايضاً

وقد ترى حلالاً عن البقاء في الاشياء الخصوصية ايضاً لني هيئات
سداً لاحياح البشر . فما كان مبيداً بافعاً سار مضرّاً مؤلماً . ومنه المأكل

الذي جعل حفظ الحياة . فقد حوّله مشاهدة لانسان الى امر مضر
 بالحياة . وذلك باستنباط انواع مخلقة واشكال متواترة من طيخ الاطعمة
 فنولد عن ذلك امراض متنوعة كما شهد مار سلوس دوناتوس الطيب
 واخبر يويسوس عن بلاد سكوسيا انه لم يدخل ايها حي وبانية حتى
 دخلت قبها الاطعمة الديدة المتلونة . فاذا لاحظنا بطلان الاشياء
 الارضية الذي ثم اعتبرنا استالايها انشرف فلا نستطيع ان نحمل
 العالم ذاك الوحش الذي له مثل هذه الرؤوس الكثيرة والقرون
 المصرة . فبم يقصدنا به من الجور والظلم وما اكثرت الحيل والاضرار
 والفتنات والاختار التي تتولد منه . لار انجل يبل كل شي . . والرني
 يفسد كل شي . . والفخر العالي يكدر نظام كل شي . . فيا ليتنا
 نرى ما بكه اعم تحت طاهر ختال

قد ذكر عن كاهن فاضل ذي غيرة عظيمة على خلاص اقريب يدعى
 فولكوني . انه عزم يوما على ان يتحدث رجل نبي الى عبادة الله ويهديه الى
 سواء السبل . وراه لذلك ان يأكل عند ذلك الفني وطن ذلك فرصة . فلما
 دخل المنزل سألته قائلا ما لدي اعدته لى اليوم من الطعام . قال انما
 يوجد في هذه المدينة وثلاثة . وفي الحال ادخل الكاهن الى المطبخ مع اناس
 كثيرين . واراها المواكيل المختلفة الالوان المعدة للغذاء . وادايها قد استحالت
 جميعها الى عقارب وحيات وافع وغيرها من حشرات الارض . فاندش
 الفنى من هذا المنظر المحيى المرى وكن ذلك وسيلة لار يسرع ويهتدي لانه

تحقق ان الانهك في المذات مضر ضرر الاعتداء بدبابات سامّة. وان
لدة الحجارة قد ابادت من الناس اكثر مما اباد منهم الاسد والوحوش الضارية

الفصل السادس

في كنه تكون الاشياء ارمية بسيرة قصيرة

فما ان الان نعتبر ان الاشياء العالمية ليست باطلة فقط بل يسيرة
وجيزة ايضا. ولنشرعن باعتبار الطيريات الارضية التي تظهر لنا اوفر عظمت
وفجراً. اعني بها حسن الصيت وشهرة الاسم. فان بي البشر يودون
لو يراع صيتهم في العالم ويشتهر ذكرهم ما بين الملا. ولكن تعلم ما الذي
يكون من امر ذلك. فما هودا الوف وربوات من الناس لا يعرفون
من هو ملك فرنسا او ملك النمسا او ملك اسبانيا. فقبل ولاذتك عبرت
اعوام كثيرة لم يعرفك احد فيها. واذا قصيت احلك تمر ايضا اعوام
اخرى ابدية تكون فيها سياً منسياً فيسبون هم الذين يعرفونك
وانت حي واكثرهم اشراراً. فلم اذ تفرغ كل جهدك وجدك وتتمب
بدنك لكي تفوز بمنزل ذلك مما هو اهل بالاحتقار لدنائه. وماذا اقول
عن جهل من يرهون باحباب والكبر. فيتخذون لنفوسهم اسما شريفة
لنشر صيتهم في العالم. اني لاعتمد انه بين علماء العالم الماهرين قليلون
يرفون الملك فكتادير وراحيو. مع ان هذا الملك كان يظن ان العالم
جميعه يعرفه. وهكذا كان يتوهم اهل ملكه. ولهذا كانوا يدعون مولى
الملوك. ومن جملة افتخاراته كان اذا اراد امراً او كتب رسالة يفتتح الكلام

فيها هكذا . رب الخط الحسن والسعادة . ملك الاقاييم المتسعة . واعظم
 الملوك والهمم . ومولى القوارس المظفر بكل الدين يراهم وحفيط على كل
 من يظفر بهم . المرهوب في اربعة افطار العالم . مبيد مواكب آل
 اسماعيل . فبهذه الاسماء المنجحة كان يفخر فنكتب ادينورا حيو . ولكن من
 ذا الذي كان يعرف اسمه وانه كان ملك نارسينيا ان لم يخبره احد بذلك
 فكما ان هذا الملك وغيره من الملوك المقتدرين هم خاملو الذكر في هذه
 البلاد . هكذا هم بالحري غير معروفين من سكان البلدان البعيدة
 ثم نبا اذا تأملنا فيهم عدم موافقة الاسم المستنى لوجدنا كل ذلك
 باطلا . لانه كم من اناس حقيرين ادبا . نذسهم مستغرقة في لجة الخطية
 التي هي لدناءة . قصوى . قد اتخذوا لاسمهم اسما . شريفة منجحة . وما
 من احد يمكن ان يكون احسن مما هو في عيني الله . والله لا يعتبر احدا
 من حيث شرف نسبه . بل من حيث شرف ايمانه الكاثوليكي . لالانه
 ولد في بلاط ملوكي بل لانه ولد بالساء والروح بسر الاعتماد المقدس .
 فماد اتفع الولادة من حسب شريف واين هي من الولادة من جنب
 يسوع . قد ذكر عن البتول سديا كارتيا القاضلة . انها كل مرة كانت
 تحضر عماد طفل . كانت ترى سيدنا يدوع مسيح على صليبه والطفل
 يخرج من جنبه الاقدس . وكان ذلك دائما على ان هذا المولد الحديد
 ناله باستحقاق دم السيد المسيح . وانه انما اعتبارنا متوط عند الله بشرف هذا
 الدم الالهي . لا بشرف دم اجدادنا الذي هو دم اناس خطاة . فالمولد الاول

يحق ما الهوان . والمولد الثاني يكسب الشرف . لان المولد الاول هو
مولد الخطيئة الميت . اما المولد الثاني فهو مولد القداسة الروحي المانع
الحياة . وبالمولد الاول نصير ابنا الشر . وبالمولد الثاني نصير ابنا الله .
واحيرا اقول انه ميلاد المعمودية نصير ورثة المسكوت السماوي ومحور
النعمة الالهية وعربون المجد الابدي . في اعظم حماقة الانسل الذي
يفتخر بمولده الشرعي الذي يصير به خاطيا اكثر من اقتحامه
بمولده الالهي الذي يصيره قديسا . فحقا ان لعباد العالم هي باصلة . ولهذا
قال ماثايا المسكاني لبنيه . كل محمد بني البشر هو رذل ودودا ١٩١
مكاين ٢ : ١٦٢ . واشما شبه صالي هذا المجد الباطل بالمسكوت الذي
ينسج لنفسه سحاما من احسانه ليعيد بها الدباب اشيا ٥٩ : ١٥ . وهذا
المجد الباطل كالسبيل للحلاك كثيرين وان كان دنيا خبيسا . فان كان
داود الملك والبي لمن جبل جلجوع لانه قتل عليه شاول ويوناثان .
فكم بالحري وباول حمة يحب ان يمن جبل الكرامات العالمية التي منها
وبسببها طرحت اس لا يحصى عددهم في لجج جهنم

فانعتبرن ان ما هو الفنى وهم يتنعم اصحاب الفنى . فالقديس
غريغوريوس الازيزي قد شرف الفنى اذ دعاه زبلا ثينسا . وقد سماه
انطونيوس قيصر القيلوف حماة الارض وزباها . اما الحرير الابريسم
فهو قتل الدود والرياد هو عرق السنابير والعنبر فضلات تحرج على
جلد حوت بحري . والمسك دم حيوان متن . ثم ما هي يد والاقاليم

فانظر اليها من فلك القمر . فمن هناك تحكم مع لوكوبينا المعلم الفلكي
ان ممالك اليونانيين كلها توازي عرض اربع اصابع . وان كرة الارض
جميعها هي شي . حقير جداً . فان كان هيرودس الملك اعطى نصف
ملكه اجرة لرقص صبية فاما يكون ثمن ملكه كله وميمته . ان هاما
وزير احشورش الملك كان على جانب عظيم من الثروة والغنى . وقد
اعترف انه لا يعتبرها ولا مدها خيراً حين يرى مردحاي اليهودي لا
يكرمه ولا يبادره بالسلام

ثم قل لي ما هي لذات اختيرة . فان هي الاشياء حقيرة من
دلتها ومستكرهة . لعمرى انه اذ لم لخطا ما هي الدجاجة . شوق الى
اكلها بالوجدانها ما يسب لنا كراهية واستنكافاً . لانه لو وضع احد
في الطاحن الذي يطحن فيه اخدأدوداً وزبلاً . لقد كان اشأزمنه
الجمع وانوا ان يتناولوا منه اكله . والحال ان الدجاجة ليست الا
ماء مملوءاً دوداً وزبلاً وغير ذلك مما تبيده النفس كالمادة التي يخرج من
الالف واقرف منها . فان كل مجرد تفل الطبخ على الطعام يكره المعدة
على الاستفراغ يذهب بشهوة الاكل بالكلية فكيف لا يشأز
الانسان من مضغ ما يحمل في بطنه من مثل هذه الاشياء المستكرهة .
وقل مثل ذلك عن اكل لحم الخنزير . اما الخنزير والحشيش والماء
ما انف انك ان يقتاتوا به فلا يوجد اتي ولا اظهر منه

كذلك لذة الحواس القصيرة . فاصلاً عن انهما يحصر من جميع اللذات

فهي مملوكة بملقم غذاء كثيرة تتقدمها وترتفعها وتتبعها . فكم من الخوف والصيق وخطر يكابد الرائي قبل ان يبلغ الى سوء مأربه الدس وكم مرة يرتجف قلبه ويتقبض في حين اتمام شهوته . وما أشد النكال الذي تستحيل اليه اللذة الخيالية بعد ذلك . ثم ما أكثر وما أضر الامراض والافواح واليقات النجسة من لذة وقتية

فمن أجل هذه الاشياء الوجيزة لدنية تضر أعظم الخيرات اعني الخيرات الابدية . وتحتقر الاموس الالهية . ونهين مخلصنا الذي يرغب ان يجربا بحسناته لساوية الالهية الحسيسة اذا رذك حيا به تعالى هذه الدنات الارضية الدنية الوجيزة . وقد كان يجب على الدين لا يرفضوها لاجل خالصتها ان يدلوها ويدوسوها تحت ارجلهم لاجل الاخر والثواب المعد منه تعالى للذين يمتون حواسهم وينبذون هذه الدن لاجله من وجل . ويتردد ذلك مما رواه عيساى اموخ . وهو ان ناسكا كان في لدرية من اربعين سنة يجاهد على خلاص نفسه ويمارس رياضات دعوته بنشاط عظيم . فاشتغل ان يعرف هل كان يوجد على الارض من يباريه او يجازيه ثوابا واستحقاقا . فشرع يطلب الى الله ان يعين له حقيقة هذا الامر . فرضي الله عنه واستجاب طلبه . واوحى اليه بان تاودوسيوس الكبير ملك الروم هو مساو له في الثواب . لانه وان ملكا فليس باقل منه اتضاعا وامانة . فبعض الناسك بعد هذا الجواب وهم بالهام ولما كان مشهورا بالقداسة وكل الملك يكرم جدا أهل النسك

والعبادة دونه بسهولة ان يدخل عليه يسأله عن رياضاته انقدسة . غير
ان الملك لم يكشفه لأعض فضائل مأثومة منها صدقت واهرة ولبس
سبح وصيامات شديدة وحفظ عمة الريحة بالتدقيق مع امرأته الملكة
وقصده شعبه وأهل مملكته بالعدل والاصاف . فحب الناسك من
ذلك حدا . ولا سيما اذ كان ملكا متسلطا . لأنه رأى انه قد أنجز هذه
كلها ما عظم كمال اذ قد هجر العالم وكفر بكل شيء حبا باسيد المسيح . وان
هذا لأفضل من توزيع الصدقات . ولم يعرف امرأته في كل زمن حياته
وهذا شيء أفضل من حفظ عمة الريحة . وأنه لم يضر القريب ابدا
وهذا لا أكثر كمالا من صد لاس عن مضرة القريب . وما عدا ذلك
فقد كان لبسه السبع وصومه متصلا وام يدق طعاما للديار فذلك الخ
الناسك بالسؤال متوسلا الى الملك ان لا يكتفه أمرا من شأنه . وقال له
إن الله يريد ذلك ومن قلبنا وفيت ايث . فحينئذ قال له الملك اعلم
ايها الاب القديس ان كل مرة تصير فرح ومتزهات وسباق خيل وما
يضاهي ذلك من الملاهي الملوكية . فاهب عنها بعيدا لئلا تتذخر حواسي
بالنظر اليها . واذا حدث قريبا مني ما يعيل يقلي الى مشاهدته . فاصرف
نظري عنه ميمتا بذلك نفسي . ولا تزال ينساي مفتوحين فيكون حالي
كحال الاعمى الذي لا ينصر شيئا . فبهت الناسك متحما من امارة هذا
الملك المعظم . وعلم حينئذ ان الانصب الملوكي والارجوان لا يعتار الملك
عن اكتساب استحقاقات عظيمة عند الله . وذلك بامارة نفسه وحبسها

عن طلب اللدات حواسه . ثم أعقب الملك قوله بقوله أعلم بها الاب
اني ارجع معاشي بتعب يدي . لاني اكتب كتاباً يحيط بحسن وديمها
وهكذا أحصل بعرقى ما يسد عوزي ونال معيشتي . فاندهل المسك
من مثل هذا القتر بين الكنوز ومن مثل هذا الامساك والقسوع بين
اللدات . ثم تهلل بنفسه واعتقد مخفياً ان هذا ملك اعظم قد ربح بهذه
الاستحقاقات لامية بحسن نفسه عن لدات الخنوة والنظر . وهذه
هي حال شقاء اللدات الارضية . فها وها مكات وحيزة دنية فن
حلت لنا اعوانا عن اكساب استحقاقات عطية وحيرات حسية .
وان حُرمت علينا انتهت بنا الى اضرار جريئة وشرور لا توصف

ففتح مما تقرر انه لا ينبغي ان نستعظم عقمة عالمية ولا ندفي لذة
أرضية . وهذا ما قلناه القديس سيريدون تنبئ به حتما دخل معه الى
بلاط الملك . وكان التنبؤ قليل الخبرة وكان يأخذ منه المحب ويذهب
بعقله كل ما كان يصرفه من عظمة البلاط ومما فيه من الرزية الفاخرة .
وكان يندهش خاصة من الملك الطالس على سبته البوكية بعز لا
يوصف . فادطلع القديس على ضلال تنبذه قصد ان يرد عنه فسأله
قائلاً . أرني من هو الملك لاني لست اميره من غيره ولا ادري هل
اعرفه حقاً . فاما التنبذ الذي لم يعرف سبب هذا السؤال مديده وراه
بها الملك . فحيتي قال له القديس وماله من استحقاق الفضل والايثار
على غيره غير الالبسة الفاخرة فاما يقيد ان يكون متردياً احسن من

بقية الناس .^١ أس مرمعاً يموت كاحد المداكين الخبيثين الذكر
 أليس يدنس في قلب الأرض كمثل جميع الأنعام لا يكره على لوقوف
 امام مبر الديان الرهب ظهير الجميع . عالم تعتبر لاشياء الرنلة ونزدها
 منزلة أبدية

الفصل السابع

في عظمة شقاء الحياة رنية

اذا اعتبرنا ان ماهية الحياة الرنية بداخنا عظيم المحجب ولا نذهال
 من ان مده قصيره من الزمن نحوى بلايا عديده جدا . قال الفيلسوف
 فيلسوف احد العظام الاقدمين . انه لو يعرف احد قبل مولده ما سوف
 يرد عليه من البلايا لم يرفض بانولود . وبما سئل سيلانوس ما هي المادة
 المعطى قال انها عدم الانلاد او الرجوع الى العدم بعد الانلاد حالاً .
 وقال الحكماء جميع ايام الانسان مملوءة اوجاعاً وشقاء . فلا يستريح
 عقله ولا يهدأ قلبه ليلاً ولا نهاراً . ولعمري انه في تعداد بلايا هذه الحياة
 لا يجب ان تقتصر على الامراض فقط بل يجب ان تذكر دويرها
 وعلاجتها ايضاً لان بعضاً من الامراض الاعتيادية تدوي بالكي وقطع
 الاعضاء او شرها او بشق الحوف . وعدا هذا وهذا فان المريض ينهي
 عن الأكل والشرب . واليه اشار كريستوس سالوس اذ قال . ان
 بعضاً بلوا من امراضهم الميتة بامناعهم عن الأكل والشرب فهدوا
 يتضورون من الجوع حتى انهم كلوا زهرهم وشربوها بؤهم . وقد ذكر عن

لبابولونعوس الثاني ملك القسطنطينية أنه ابتلاه مرض المله شديد
 الاوجاع مدة سنة كاملة لم تحمله الاطباء بها علاجاً يشفيه من مرضه فاجمعوا
 على ان الغيط يشفيه فنامت ذلك الملكة امرته وكانت تحبه جداً وترغب
 شفائه فحركت جميع المائتين لديه وجميع الخدام على مخالفتهم ومصادرتهم
 وبذلت هي جهدها في ذلك فلم تجد ضرباً من الازدراء والافتراء
 الاجابته به حتى كاد يموت حرماً وشتم غيظاً فو كانت علاجات
 الامراض هذا عظم مرارتها فما ظنك في الامراض نفسها

خبرونا عن رجل اسمه الخمل بوليسياقو انه اعتراه مرض مؤلم جداً
 اداقه المذاب حتى انه كان يضرب رأسه على الحائط من شدة المله
 وميسيداس الشريف القدير بين الرومانيين الاقدمين منعه مرضه
 العضال عن لذة الوسن مدة سنة كاملة وقد كان مرضه انتوخوس
 الملك سجعاً ومسكرهاً جداً حتى انه لم يعد احد من عسكره يحتمل ثنائه
 جسده المتماهي الذي كان ياكله الدود وهو حي

ومادا أقول عن الامراض الوبائية التي اهلكت سكان المدن
 وافقرت الاقاليم قد ذكر كثير من المؤرخين انه حدث في
 القسطنطينية طاعون كان يجرى به المطعونون ويدخلهم منه خوف هذا
 حده حتى انهم كانوا يموتون من مجرد وهمهم ان جيرانهم يريدون
 قتلهم

وفد اخبر توسيديدوس المؤرخ اليوناني انه في عصره حدث في

بلاد الروم وباء مريع اهلك اناساً لا يحصى عددهم ولم يجد احد له دواء.
واعرب من ذلك ان الذي كان يشي منه كان يعدم حاسة الذكرة تماماً
فيعود لا يعرف والديه ولا ولاده ولا اقرباه. وقد ذكر ايضا ان جود
افيدوس كاسيوس اذ كانوا في سلوكيا مدينة مملكة بابل دخلوا هيكل
ابولو فوجدوا فيه صندوقاً مقفولاً ففتحوه طمأناً بايجاد مال ياحدونه. فما
فتحوه إلا فاحت منه رائحة منقنة افدت بلاد بابل كلها رتل الفساد
مها الى بلاد الروم ومن بلاد الروم الى رومة فتك بكان هذه
الممالك وداقهم من الوباء ما لا يطاق ولم ينج منهم سوى الثلث

واد انتقل الى لارمة القريبة منا فخذ مثل التي ذكرنا من
ابلايا والوباء لان عدل الله لم يل ينقم كما بالبشر لم يرحوا يحطون.
لقد ذكر انه حدث في بلاد اسمسا مرض وباءي كال يميت من يدركه
بمدة اربع وعشرين ساعة وذلك بحروح عرق مسموم من حده. وقد
مات منه كثير سكان اقاليم هذه المملكة حتى انه في بلاد الانكليز
كانت الطيور تبين اوكارها وراحها والوحوش تغادر مقارها. والحيات
والحشرات كانت تخرج من قلب الارض لمحرها عن احتمال فسادها
وتنتابها. وفي سنة الف وخمسة وست وثلاثين للمسيح حدث طاعون
عظيم في اقليم مرسيليا واستقام تسعة اشهر حتى امتلات الصور من الموت
واكثر اطعمونين كانوا يستنجون في اليوم الثاني. فمهم من كانوا يطرحون
انفسهم في الابار ومنهم من كانوا يرمون بذواتهم من اعلى منازلهم.

وقوم كال مخرج الدم من انفسهم مدبراً وكانوا اذا قطعوه عقه الموت .
واذ كان لا يحو احد من اذركم هذا المرض فكان من يشعر بوروده
يكف بالاصناف منه ايضاً انه سوف يموت لاحالة . وقد كان عدد
الذين ماتوا على هذه الحالة ما يزيد على عشرت الاف نفس . فتلك
حال البشر وتلك هي بلاياهم

ومثل ذلك يحق بحياة الانسان من البلايا ومنها الجوع .
روى المؤرخون ان لما حاصر الاريكوس مدينة رومة فاشتدت على اهليها
اشياعه اضطروا الى ان ياكلوا الخيل والكلاب وتقاطا والغيران
بل لحم البشر ايضاً . واد حاصر سديون مدينة نومانتا في بلاد افرقيا
مارح نومانتيون المدينة من شدة الجوع وقاموا يرصدون الرومانسين
ويصطادونهم كوحوش الصيد ويأكلونهم سداً لجوعهم . وقد ذكر في
السفر الرابع من اسفار الملوك انه على زمن اليسع النبي حدثت شحاعة
عظيمة في اسامرة حتى كان رأس الخريباء ثمانين درهماً من الفضة
وربع امكيال من زبد لحم بخمسة دراهم وقد اضطروهم الجوع الى
افتراس بعضهم . قيل ان امرأة من نساء المدينة حضرت امام الملك
شاكياً اليه حاجاتها واخبرته بنها لم تقم بوعدها لها . وذلك لانهما اشدة
جوعهما تعاهدتا على اكل ولديهما . فعند ان ذبحت الشاكية ابها
أكلتها يام فأبت تلك ان تذبح انها واخفته ولم تقم بوعدها
ومثله ذكر يوسفوس المؤرخ اليهودي في الجزء السابع من توار يخو بل

حاء بتاهو شد قداوة منه قال نه اذ حاصر الرومانيون اورشليم وضائقوها
 جداً كان في تلك المدينة امرأة ذات حسب ونسب تتقرب في مال جزيل .
 فلما اشتدت الازاحيف احضت جبراً من اموالها العزيرة وكانت تقتر على
 نفسها وتعيش بماله عظيم . اما الجنود الذين في المدينة فلعنهم بقاها
 اصكلوا وشربوا اموالها شيئاً شيئاً . فلما لم يبق لها منه شيء فصارت في
 غاية الصيق والشفاء . واثت حافها حتى كانت تلمس اليسير مما يند
 حوعها فلم تصل اليه فالتفت الى طفلها كانت ترصعه وشرعت تحطبه
 بحبيب وعويل قائلة يا ايها الابن الشقي انت من امر أشقى منك .
 ماذا اعمل لك وكيف استطيع ان احفظ حياتك . لقد نذ كل ما كان
 لي من الزاد والاموال ومن ابقيتك حياً استأمرك الرومان . ان
 الاولى بك ان تقوم من نمسك باود و لذك وتعينها وتدرأ عنها قداوة
 الجنود الذين احتسوا كل مالها . وتكون للاحدال الالية مثلاً يعيل
 بقلوب الى التراف والرحمة . فانت هذا ولومها دبحت ابها وشقتة
 شقارين فشوت احدهما على النار وحبأت الآخر ليوم الخوح . وفي اناء ذلك
 دخل الخود بيتها فلما اشموا رائحة اللحم المشوي توعدوا المرأة بالموت او
 تحضر لهم مما شوت فاما هي فاذا كانت بعد فتاها ابها قد صغرت نفسها
 واستحوذ على قلبها الرجز والباس ولم تعد تنفي على الارض شيئاً سوى
 ان ترافة بالموت نرعت عنها عذار الحيا والخوف وقالت للجنود انصوا
 يا اصدقاءي واعلموا اني غاملتكم معاملة تحت لاحوتها لاني خصصتكم

ينصب مما كان لي . ثم حضرت لهم فصلات ابنها المشوي . فلما شاهد
الجنود هذا المنظر انشؤم ارتاعوا خوفاً وبهتوا متحيرين . ولما دبسوا بكلمة
لما وفر فيهم من الدهشة والارتعاش ولما كانت تلك الأم اشقى قد
خالطها غمار البحر انقسط صرحت اليهم . ما بالكم تحافون ايها الشجعان
الايسل اليس ما احضر لكم ثمرة احشائي اليس اني اليس ما
حل به من المنية مي لامن الغير . فلم لا تاتون فتر الجنود وتلوا
مدبرين لا يطيقون هذا المنظر المرعب وزكوا الام وما بقي من جنة
ايها وكان ذلك كل ما بقي مما من اموالها لتزيرة

اما الالاي والمصائب التي تحدث من قبل الحروب وهي اعظم
واكثر جداً مما تقدم . فما طلت مثلاً في ما حدث في بلاد انسيا على
رمانا . فما اكثر الشرور التي حلت بها وكانت قد سببتها حرب السويديين
الارائقة اللوترانيين فله ير في جيوش البريرة المظفرين قساوة نظير
قساوتهم او توحش مثل الذي ابدوه . تفضلاً عما احرقوا من الاراضي
في اقدم باقاريا . كانوا يشدون رؤوس ابيض بالحبل الى ان يراق الدم
وتتكسر جماجمهم ويخرج تجمهم . واخرون كانوا يرطون ايديهم وارجلهم
ويلقونهم بالنقاط والكلاب الكلبى لتزق احشائهم . وقوم كانوا يعلقونهم
في الفضاء بايديهم ويضرمون ناراً من تحتهم . وغيرهم كانوا يطعمون
آذانهم ومناخيرهم . ولعنض كانوا يملأون بطونهم من الماء ثم يعصرونهم
الى ان يستخرجوه من افواههم ونوفهم . واخرون كانوا يكشطون

جلودهم أحياء وغيرهم يقطعونهم أرباباً وكانوا يقتضون الأيكار سفاحاً
ثم يشقون ساعديهم حتى ذهب التوحش ببعض الجلود الى ان يقتدوا
من لحوم الاطفال الذين كانوا يشقونهم شطرين . اما الدين اسروهم
في الحرب من الخنود الكاثوليكين فلم يكنوا بار رطوهم بأيديهم
بل كانوا يشقون ساعديهم ويدخلون بها حبالاً ويعاقبون الحبال ما ذناب
لخيل ويسحبونهم على الارض وهم يقتلوا عند ذلك بل كانوا يشقون
بطونهم ايضاً ويملاؤها شمعاً ويحطون بها معالف للدواب

هذا واحترقي على القول بر البلايا التي تصدر من قبل الام
الانساب واميا له المحرقة اعظم من ابلايا المتقدم ذكرها التي تصدر من
قل الطاعون والجوع والحرب . ولهذا قال احد منين في تفسير النجيل
انقيس متى . ان الاسار اعظم الشرور لار كل وحش له شر واحد
مختص به . اما الاسار هو مجموع الشرور كلها . وما يقاسيه الانسان
من قبل الانسان نفسه فلا يسهل على التصديق . فما اكثر ما احتمله
داود النبي بين نبي وجوع وحرب وخطر يمت عليه كامن حسد شاول .
وما اعظم ما قاسى ايها النبي من غضب ازيل . ويحذر الطاعون عن
أن يحمل بالموت على نابوت الازراعي اكثر مما تحمل عليه نجل آخاب
الملك وما من واء انا من البشر ما اباده تكبر هيرودس من الاطفال .
فما اكثر انواع اعدايات التي احترعها عقل البشر وبعث به عليه
الآلام والشهوات . انه من زمن مديد استبسط الناس نخماتة نوع من

السم ولا قد تضاعفت نواعه جداً. لأن معدمين كانوا من المعارف
 ولا حركات بمرحل عن جيبها هذا ليس للانسان من سبيل يحترز
 به من السم وقد تيسر امدوك ان يبيت فيك سماً من دم دا صاحبتها
 سلاما يل اذا سمعته مخاطباً. وقد عسا مورد للاخبار ان يدسم امرؤ
 بالنس وبانظر وبالشم وبدوق ادنى شيء

ال من شيء. اتي الانسان ببلايا وشورر أعظم مما يستعجب
 الانسان على ذاته من قبل الاله. ان التكبر يتألم من كرامة الغير.
 والحدو يذوب عند مشاهدته سعادة الناس. والجميل ينفذ الراحة
 اذا وقد ما لا يحتاجه. والمضوب يُجن من شدة حزنه لامر لا يحديه
 نعماً ولا ضرراً. فما اكثر الذين خسروا أموالهم وراحتهم وحياتهم الزمنية
 والابدية لانهم لم يدلوهم ولم يقهروا نفوسهم كما جرى لهامان وزير
 احشورش الملك الذي اسبب انه رام اكبر ما وخذ اكثر مما يديق
 به خسر كل ماله وكرامته وحياته ومات مشنوقاً. وايث لوم اذا حملته
 الكبرياء على اختلاس ملك ابنه داود هلك مصعاً بشعر رأسه على شجرة
 والسهم مُجن في قبه. وامنور ابن الملك ولسي داود انقاد الى شهوة
 لحميه فافضى به ذلك الى الموت

وقد ذكر عن قنسيلاوس ملك بوميا انه استشاط غيظاً على
 احد شرفاء بلاطه لانه لم يحبره بسجس صار في مدينة راعاء ولاوطا
 غيظه سناً ووثب عليه ليقتله فامسكه لحاضرون ومنهم يمسكه

من قصده فاختلق من شدة حصره وسقط على الأرض ميتاً. وهكذا
 نزل الملك مات من حبه. وذكر ديموس عن ديودورس انه مات
 موت الشجاعة من شدة الحجل الذي استولى عليه اذ لم ينقطع على ان
 يحسن الاحابة على بعض لاسئلة والمشاكل التي اقترحها عليه احد
 الفلاسفة. وكمن من اناس ما توايفته لاجل الم الخوف او الخبز او من قبل
 الم الفرح او المشق. وهالك بشانه خبراً رثى له

ان رجلاً متزوجاً بامرأة أولع بامرأة اجنية وزنى بها. فصدر من
 قلبها شكوك في المدينة. فذلك حرمها الاستف. فتأيت امرأة ورثت
 عن عيها. واما الرجل الذي كانت الشهوة اعمت عقله ومكنت قلبه
 لم يتب بل ثبت على شره. فزار المرأة سرّاً في ذات يوم. فلم تقبله
 بحجة بل قابله بوجه عوس وكنته كلاماً مرأاً. وامرته بالخروج من بيتها
 حالاً وبالا يعود ليها ابداً. فما رأى الرجل ما بدأ منها من نكران المحبة
 وعدم الوفاء. احدىايتها ويلاطفها بصوت اسيف بقلب مميز من الم
 الشهوة قائلاً: أهكذا تكافئين محبتي بكران الجميل ونسيان الحب
 القديم. واد كان يحاطبها بتل ذلك وفسه ينظر من انهم وألم الحب
 دفع الحاطة الى الملا كانه يريد ان يشكو ما به من الغرام والضيق
 فسقط في ساعته على الأرض ميتاً وهلك بخطيئته وبئس الهالك

فحق ان نعظم الايا الانسار هي التي يحلبها على نفسه من قبل
 لئاله والامه والى هذا يشير الحكيم بقوله في مدحت الموقى اكثر

من الاحياء ووجدت من لم يولد ولم ير الشرور التي تحت الشمس اعد
 حالاً من الاثنين اجامعة ١٣٠٤. ولهذا لما تأمل تيمون فيلسوف مدينة اتيبا
 تفاقم شرور الناس الناتجة من الالمهم المنخرقة المتجاوزة حدود الصواب .
 اوغر قلبه بغضاً لهم وصار لهم عدواً مميّناً واختار السكى مع الوحوش
 في البراري افضل من السكنى مع البشر في المدن ولم يدع احداً يفقده
 غير السياد عليه بانه مزعم ان يحارب اهل اتيبا حرباً عواناً . ثم نصب
 بين اشجار بستانه خشبات عالية يشق فيها الناس الاشرار الاندال
 ذواتهم . واد اراد ان يوسع داره ودعت الضرورة الى ان يقطع هذه
 الخشبات ذهب الى اتيبا واخذ يدي في شوارع المدينة بسمع الشعب
 قائلًا اعنوا يا سحكال اتيبا اني لضرورة ما قد عزمتم على اقتلاع
 الاخشاب التي نصبتها لشنق الناس فمن منكم حطت التوبة والعبادة
 في قلبه يريد ان يشق نفسه مليسرع في الخجاز ما عزم عليه والا فانه
 الرمس . ولما فرغ من هذه المأداة عاد حالاً الى منزله وما انت ساعة
 موته رام ان يري الناس بغضه لهم بعد موته ايضاً . فاوصى بالآيدفونه
 في الارض لانه مسكن البشر العاة بعد موتهم بل على شاطئ البحر
 فحقاً ان هذا الفيلسوف الوثني اعد نور الايمان لم يفرق بين شر
 البشر وطبع البشر . ولهذا حاد عن الصواب بغضه طبيعة البشر . الا انه
 ان لنا بفعله كم نكون اميال الانسا منخرقة عن الصواب وكم نكون
 اهلاً لان تبغض وتقت . على انه يجب علينا حقاً ان تبغض هذا العالم

الذي لا يرشد بحسب انداز العقل بل بحسب مرام شهواته العيانية وهذا
 وان لم يجر لتوئين ان يشتهوا مع الفيلسوف المتقدم ذكره ان يروا
 اساس مشوقين فيجب عليهم ان يشتهوا استئصال شأفة الالههم الرديّة

الفصل الثامن

في ان الانسان دني لكونه نعتاً

ان تكلمنا عن الاساس لا بالطر الى نقضه بل بالنظر الى طبيعته
 فقط فما هو . ما الانسان وهو زمني . قال سينيكا الفيلسوف الانسان
 انا . قابل الانكسار سريع العطب . وقد احسن البساسايتوشفسوس في
 كتابه الاول عن احتقار العالم اذ قال اني تأملت في شأن الاساس
 وانا متأسف بالثر لادى مما جيل وما يصنع الان وما سوف يكون فيما
 بعد . فاذا هو قد اخذ من الارض وحبل به بسطينة وولد للعب
 والعباد . ويفعل ما لا يجوز ولا يليق ولا رثيد . فتراه يعمل سوءاً
 وقبحاً ويعتمد الباطل وهو سوف يكون ما كلاً للذود وطعاماً للنار ومادة
 للفساد . (آه)

ولعمري ليس الانسان شيئاً حقيراً من حيث جسده فقط حياً
 كان او ميتاً بل من حيث نفسه اضاً . لانه وان كان النفس جوهرًا
 شريعاً حياً فمن حيث ان اتحادها مع الجسد يخضع للذاتل فتصح
 مهانة ومسكرهة اكثر من الجسد نفسه . وليس فقط حين تكون
 ميتة بالخطية الميتة وتكون في اعين الملائكة اكثر فساداً ونفانة من

جثة بحسوسة في التراب من ثمانية ايام . لان جثة كذا ان كانت مملوءة
دوداً هذه النفس مسكونة من الشياطين . بل حال هذه النفس ان
واكره من حال الجثة المذكورة حينما تكون حية ايضاً متزهة عن
الخطيئة الميئة لان الخطايا العريضة والقانس التي تتدنس بها وان
كانت لا تقيتها فاما تصيرها اكثر ضعفاً وكرهية من حثة . وهذا
الصدق قد ذكر عن المرأة الحزيلة الفضل - انسا كاريليا عروس السيد
المسيح انها بعد ارتقاها الى كمال عجب طلعت الى عروسها الالهية ان
يربها نفسها وكان قصدها بذلك ان تحركها مشاهدتها بما جرة ذنوبها شدة حثاً
على مقبتها . فاجاب رب المجد الى طلبها . وتفق يوماً انها شاهدت شيئاً
ناسكاً مجتازاً امام باب بيتها . فالتفت قائلة ما لدي تطلبه يا ابي . الاب
المكرم . فاجابها الشيخ ارفى طرف رداي فتعالي ما اريد . فاجابته سمعاً
وطاعة وكشفت طرف رداه فرائت طفلة شديدة المنظر ووجهها مغطى
بكثرة الذباب ولديا يرفف على الطملة على ذراعيها وقالت ما هذه
يا ابنا . فاجابها الشيخ نك قد - ألت الله ان يريك نفسك فانظري
الان صورتها في هذه الطملة فهذه حال نفسك قال هذا وغاب
وزالت الرؤيا . اما المرأه العابدة فاستعوز عليها التغير والخوف وخارت
قوتها وتخلت اعضاؤها واحذها التلق من تأمل صورة نفسها في صورة
تلك الطملة . وسببت لها هذه المشاهدة خوفاً عظيماً ووجعاً ايماً مكان
فيها ترقه حراب . فان كانت هذه العابدة الفاضلة رأت نفسها بوحى الله

في حال هذه الشقاوة . فإذا يقدر أن يتخبر به الإنسان الشقي . ولا يجد
في ذاته نظراً إلى حسده ونفسه الأشقاء

الفصل التاسع

في الأشياء رومية ختاة حذرة

فالمحس من كل ما تقدم ذكره إلى الآن كل ما يزول وزوال الزمن
كذب وخداع وإن الأشياء الأرضية ليست دنية لآلة فقط بل مملوءة
خداعاً ومخاطرة . ولهذا ترى المرأة الرائية الرموز بها إلى الشجاع العاني
المقول عنها في الفصل السابع عشر من سفر الرؤيا . إنها صهرت راكبة
على الوحش المعبره عن هذا العالم وكانت ممتلئة بنحاس يحل
للناظر ذهباً . فكما أنه توجد منازل قد شيدت بصناعة واتقان وعلى
حيطائها صور تبين بهيئة إذا أضاع عليها نور من كوة صغيرة وإذا فتحت
طاقاتها وابوابها وشرق فيها انور من كل جهة فحينئذ يحصل كل بهائها
فلا يرى منها إلا أثر خفيف . كذلك الأشياء العامية لأن الدين يعرفون
الأشياء السماوية قليلاً لأجل ضعف النور الروحي الموجود فيهم تظهر
لهم الأشياء العامية عظيمة وبهيّة جداً فيجذبون بها أما الذين يضي لهم
نور الإيمان الحى فلا يجذبون فيها جوهر الهاء والحدودة . بل إنما يجذبون
فيها أثر ذلك وحده . فإشباع العاني يعد بالخيرات ويعطي الشرور . يعد
بالراحة والطمانينة ويعطي التعب والإحس . يعد بالفرح ولتعم ويعطي
الحزن والمخاطر والعداب . وقد يشبه الظل الذي كئنا طال وعلا هرب

من الانتهاء والزوال . فهكذا النخاع العساي كلما تسامى علواً قرب من الزوال أكثر قرباً . فما هو أذا هذا النخاع الذي قل انتهائه لا يحمدي قلب من يمتلكه هدواً وراحة . هل من حال تبين اسعد من حال من يكون ملكاً وفيها قال الملك قسطنطين الكبير انها أشرف من عيشة الرعاة يسيراً واتب منها كثيراً . وقد دعاها المسوس ملك نابولي حياة حمار وذلك لاجل جسامته ثقل حملها . ومن ثم حناً قيل في سفر ايوب ان الحبارة يوحون من تحت المياه . وقد فهم البرتوس الكبير بالحبارة أقويا . الارض الذين تهطل على ظهورهم مياه الاتعاب المتخافة وداود الملك نفسه أقر عن دائه به كبهيمة تنحدر قوتها تحت ثقل الحمل

وقد خبرونا عن انثيمونوس ملك مكدونيا . انه لما أقيم ملكاً حاطب الاكليل قائلاً . يا ايها الاكليل الشريف حقاً انت سعيداً لانه لو تعلم الناس كم تحمل من المخاطر والاتعاب لما كان احد يرفعك من على الارض ويضعك على رأسه كما أطن . ولعمري . امن أحد من الملوك تتمتع بنجرات هذه الحياة وكان يرحوا ان يشبع نفسه بكثرةها نظير سلمان الحكيم . لانه كان له من النساء الحسان الف امرأة منها سبع مائة ملكة وثلاثمائة سرية . وقد عمر قصوراً ونصب رياضاً وساتين للصيد والترف . وكان له أناس يطربونه بالالات الموسيقية والاصوات الرخيمة اشجية . وأما ما كان من خدامه بلاطه فلم ير قط مثل ذلك من الكثرة واللطام

واسطام . حتى ان ملكة سانا اندهشت من ذلك ومن عظمة محمد
بلاطه الذي لم يكن له مثل قط في اسرائيل وكان له من الخيل
اربعمائة الفاً مائة الف فرسية . اما كنوز الفضة والذهب التي خلفها له
داود ابوه فكانت اكثر من كنوز داريوس عشر مرات على حساب
العمم دوداوس . واقول بالاجمال ان ايمان حصل على سعادة عالية
هذا اعظم مقاديرها حتى انه هو عينه اندهل منها فقتل هكذا من غنى
ومتلذذ بالنعم نظيري . ومع هذا جميعه قد قدر هذه السعادة حق
قدرها قال : انها بكايته باطله مملوءة تعباً وشقاء بل خبير منها وكان
يحسد عيشة القلاح واتاعل ويفضل خبزها التامش على كل اطعمة
ولانهم الملوكة . فان كان وفود الغنى والمئات قد حدر مثل هذا الملك
الحكيم فمن تراه لا يتخذه ويقع في حائل غرورها

الفصل العاشر

في حصار لاشاء رمية وضربها

واميري انه لقد كان الامر اقل شراً لو يكون حب الخيرات الرمية
خيراً لا وخداً فقط اعني لو كان لا نصيب منها ما ترغبه ولا ينشأ ما
نخشاه ونهرب منه . غير ان الامر بخلاف ذلك لانه ما عدا انه ليس
في الخيرات الرمية غسل فانه يوجد فيها سم قاتل . فانظر الى ابيشالوم
الفخر بشعره الذهبي تعلم ان ما كان يدهي به صار هو نفسه حبلاً
شقي به . فكم من الناس يحبون الان على هذا النحو غنى سوف يسبب

لهم الموت . فلا يكفي إذا ان تعد الخيرات الرمية باطلا فقط بل ينبغي ان
نحتسبها ختالة قتالة ايضاً . وقد أصاب اشعيا وحرقال النبأ بتشبيههما
مصر المرموز بها الى العالم وخيراتة بالعصبة التي ادا بوكا عليها احدتك .
حالا وتجرح يده . اشعيا ٤٩ . ١٦ . وهذه الخيرات تصير حياة صاحبها موتاً .
وحاله كحال من هو في جهنم لكثرة المم والغم والسجس والنعب
والحزن والضيق والضمح وغير ذلك من الشرور التي تخالط اغبط حال
واعظم سعادة عالميه . ولذلك قيل في سفر الرؤيا ان الموت والحجيم طرُحا
في بحيره ناراً رؤيا ٢٠ . ١٤ . لان حياة الخطي يي يعبر عنها الرسول
الحبيب في هذا النص بموت وحجيم هي زممه ان تاتي في حجيم اخر .
لان الخطي ينتقل من حجيم هذه الحياة الزمي الى حجيم العذاب
الابدي . وحقاً انه امر محسب ان الذي يتمتع بالهدت الارضية لا يشعر
بلذة . وانه في وسط التنعيم يجد الحجيم ويتعذب فيما بين الافراح
لانه ليس بمحب الأيحد الخطي سروراً في جهنم حيث ليس الاشر
وعذاب . ومحجب منه انه لا يجد سروراً في هذه الحياة بين هذه
الخيرات الزمنية . وبالسوء حال هذه الافراح الارضية التي لا تحدي
من ينالها فرحاً والله تعالى يطهر في ذلك حكمة عنايته . لانه كما ان
القديسين الذين احتقروا كل شيء زمي اصابوا افراح اسما في وسط
العذابات كالقديس لورنسيوس الذي وجد فردوس النعيم في وسط
الحمر المتقد . هكذا الخطي الذي لا يحب ولا يستعظم - سوى الخير

الرمني . يحد مرارة الموت في عين لده هذه الحياة

يدان اوفر لامور شرأهور حيراب هذه الحياة تسوءنا شر
العقاب في الحياة مستقبله . وحسب قال القديس ايزونيوس . انه صعب
جدا ان يتجمع الاسل بالخيرات الحاصرة والمستقبله . وان ينتقل من
الافراح الرمية الى الافراح الدائمة الابدية وان يكون معتبرا ومكرما
هنا وهناك . لان الذي جعل سعادته في التعم فلا ريب انه يتحول منه
الى العقاب . والذي تكرمه الناس الان باصلا وبغير استحقاق فانه
سيحقق بعدل . وقد افصح جيدا عن هذا المعنى القديس فينسنيوس
فراريوس في مثل الباشق والدجاجة . لانه ما اعظم الفرق بين حياة
هذين الطائرين وموتهما . كذلك فرق عظيم بين الاغنياء المتعممين
وبين الذين يجدوا الخيرات الرمية حبا باليد اليسرى . والدجاجة تعيش
على المزلة وتفتت مما فيها او من دليل من الحيلة . اما الباشق فانه
يحمل غنى الايدي ويأكل من لحوم الطيور . ولكن بعد موتهما
يمجري الامر بالعكس لان الباشق اذا مات يلقى على ابراب اما الدجاجة
فتوضع على مواثد الملوك . فكما يعقوب اسرائيل المبارك ابرام ومنسى
غير وضع يديه الطيعي فدمتيه على منسى الابن الصغير الواقف من عن
يساره وشاله على ابرام الاس البكر الواقف من عن يمينه مؤثرا
الصغير على كبير ومفضله على النحوا المذكور . وهكذا يغير الله وضع يديه
في ساعة الموت فيصح التقدم الى الصغار لمساكين الهان في هذه

الحياة. ولذلك قال سيدنا يسوع مسيح الويل لكم ايها الانبياء لان فرحكم
سيبدل بالبكاء. الويل لكم ايها الشيوخ لانكم ستخوعون. الويل من اتى
ها وردوسه فانه سيجدها كحجيرة. فانتهب مما قيل لذلك النبي انجيل
انك لقد قبت حيرتك في حياتك. فلانه حار الخيرات الزمنية اذركته
الشروع الابدية. وقد حالف الله مديديه بينه وبين اعازد المسكين اي
بدل حال هذا وذلك. فالفني الذي كل يملأ بشرب الحمرة العطرة لحيدة
لم يجد بعد موته من يقدم له قطرة من الماء. اما العارر المسكين الذي
لم يكن يسأل فئات مائدة الفنى فقد تسمع بعد موته بالملاد على مائدة
سماوية اعني بالحياة والسعاد. الانبياء فان ارميا النبي ان بورردان
القيس سبي اغنياء اسرائيل وساقهم الى ابل وترك الفقراء في اورشليم
(ارميا ٥٢ ١٥). وكذلك يصنع الشيطان فانه يسوق محبي الفنى الى
بابل اعني الى ابابل بلايا المحيم. ويترك المساكين بالروح في اورشليم
التي تاويلها رؤى السلام بمشاهدة الله في السماء.

فقد اتضح من جميع ما اوردنا ان الله يحب علينا حدا ان نحتقر
الخيرات الزمنية بل ان نبغضها ايضاً لكونها خادعة خداعاً جزيل
الضرر ومن ثم مضرة حدا. لانهما تقرينا على خسران حسن سلامة
هذه الحياة بل سعادة الحياة المستقبلية ايضاً فنفقد الله عينه. فاما انفس
امراة فاضلة عتيقة لرجل مغد يايبها منردياً باثواب زوجها ليمريها
بظاهر الخداع على الخنا والنمسا. فباسطهم من هذه البغصا، يجب ان

نبغض ونقصد الخيرات الرمية التي تترأى لنا بشكل خيرات حقيقة
لكي تفقد قلوبنا ونحمننا على ان تبين عروسها وخيرها الحقيقي الذي
هو الله سبحانه وتعالى عن كل نقص



ملقاة الرابعة

في حق من رمي ولا ي
من حيث عساه حات رثير الابه وهي
لنا عشر فصلا

الفصل الاول

في عصاة الاشياء الالهية

انه وان كانت الاشياء الرمية حقيرة وذنیه جداً نظراً الى دانها
كما اوصحنا ذلك بما تقدم فحساسته تظهر جلياً بمقابلتها الى عظمة الاشياء
الابدية اي شرع الان بالخطاب عنها . فاعبر ان عظمة المجد الابدي
جريمة هذا مقدار حتى ان القديس اغسطينوس قال انه لو التزمنا
بان نقاسي شد العذابات . بل لو لما احتمال عذاب جهنم عينه زماناً
مديداً لكي نشاهد سيدنا يسوع المسيح في مجده ونشرك قديسيه في
سماحتهم . كما يجب عليه ان نحمل ذلك لكي نحظى بهذا الخير الجسيم
والمجد الوسيم . فهذه هي عظمة الخيرات الابدية لا بالنظر الى كونه
ابدية فقط بل بالنظر الى عظمتها الغير المحدودة ايضاً . ومن ذلك ينتج ان
التمتع بها ولو قصيراً جداً حقيق ان محار عذاباً عظيماً ونحتمله الف سنة

لكي نفور به ونحظى بالخيرات الابدية ولو يوماً واحداً . وفي هذا قال
 القديس المتقدم ذكره ان جمال العدل وبهجة انوار الادي الخير
 عظيم جداً حتى لو كان لنا ان نتمتع به مدة يوم واحد فقط لوجب علينا
 لذلك ان نؤدري بانتمتع بجميع خيرات هذا العالم ولذاته بأسرها

خير ونا عن القديس يوردوس رئيس رهبية القديس دومينيكوس
 العام أنه اذ كان يوماً يقسم على الشيطان سألته قائلاً اني اريد ان تستغي
 ان تنطلق . واي مكان تؤثره على كل شيء . فاجابه السماء . فقال له
 القديس ولساداتهوى السماء . فاجاب لكي اشاهد وجه الله . فقال له
 القديس . وما الذي كنت تفعله او تحتمله لكي تعان الله . اجابه العاين
 اني ابصرته دقيقة واحدة من الزمن ولكي ابصره دقيقة اخرى فارتضي
 سرور ان اكابد الى يوم الدينونة جميع عذابات رهبائي . فاندهل
 القديس متحيراً . ثم قال له بعد ذلك حسناً ما قلت واني اريد منك ان
 تورد لنا رسم لبها . الالهى بشبه ما . فاجابه الشقي قائلاً ان سؤالك هذا
 هو عين الحمل . لانه لو جمعت كل مياه الخلاق . وكان يور كل نحم
 كنور الشمس . ويور الشمس كنور جميع النجوم جملة . ثم جمعت هذا
 النور والبها جميعه . لكان ذلك بالنسبة الى جمال الله كناية مدلهمة بالنسبة
 الى النهار الاوفر ضياء . وهذا ما قرّبه الرجيم معترفاً . مع انه يجب ان
 تعلم ان الشيطان لم يبصر الله قط بالنوع الذي به ندية الان الملكة
 في المجد الابدي . بل انما شاهد الله مشاهدة غير كاملة . وذلك بدقيقة

وحدة كمن يذوق يسيراً من شيء على سبيل الاختبار . ومع هذا فقد نفي ان يقاسي عذابات جهنم بحدّة هذا عظم مقدارها يتتبع بمشاهدته تعالى بدقيقة اخرى من الرمن على ذلك لتوع . اغير اسكامل . فإذا تكون اذا مشاهدته تعالى بكمال الوضوح الى ابد الابد

ثم يجب ان نعتبر ما قد لحظه القديس السرس . وهو ان خيرات هذه الحياة وشروطها تختلف عن خيرات الحياة المستقبلية وشروطها . وذلك لان الخيرات واشروط الحاضرة ليست بخيرات محضة ولا شروط محضة من حيث ان خيرات هذه الحياة ماقصة ممتزجة بشروط كثيرة وشروط هذه الحياة حقيقة لاسها ممتزجة بخير ما . اما خيرات المجد الالهي في الحياة المستقبلية فهي خيرات محضة عظيمة غير ممتزجة شراً ما . ومن ثم لا يمكن احداً ان يضحك منها . وكذلك الشرور الالدية في جهنم هي شرور محضة غير ممتزجة بخير وليس لها من علاج ومن ثم فلا تطابق . قال المرتل ان الله ابعد عنا سيئاتنا كبعد المشرق من المغرب وقد يمكننا ان نقول ايضاً ان الله ابعد عن القديسين الالم والعذاب كبعد المشرق من المغرب . ولعمري ان هذا البعد الروحي بعد الخيرات الالدية هو اوسع غير قياس من البعد الجسمي الذي بين السماء والارض . الا انه لكي نتصور ذلك ونفهمه على نوع من الانواع فنكلم قليلاً عن هذا البعد الجسمي لكي نعلم اني مقدار تفوق خيرات السماء خيرات الارض قال المعلم الفلبي الجليل كلافوس اليسوعي . ان فلك القمر الذي هو

أوطأ لأفلاك جميعها مسافة بعد عن كرة الأرض مائة وثلاثين ألف ميل .
 وانه لو يلي حجر الرحي من الفلك الثامن الذي هو أعلى الأفلاك ودون
 السماء العليا مسكن الملائكة والقديسين لا يصل الى الأرض . لا بعد
 تسعين سنة . مع ان الحجر ينصع في كل ساعة مائتي ميل . وقد زعم آخرون
 من العلماء الفلكيين واللاهوتيين ان بعد لأرض عن الفلك الثامن هو
 أقل كثيرًا من بعد هذه السماء عن السماء العليا مسكن الطوبانيين .
 ومن ذلك يتحور انه لو يعيش احد في سنة وثلاثي كل يوم مائة ميل لم
 يصل بعد الى سنة الى أدنى سماء النجوم . وادامشي هكذا في سنة
 أخرى لم يقطع سلك هدد اسماء وادامشي بعد ذلك على النحو المذكور
 اربعة الاف سنة أخرى لم يصل الى أدنى سماء الملائكة والقديسين .
 فيا لقدرة الهما ومخلصا يسوع المسيح الذي يدبرنا هذه المسافة الشاسعة
 دقيقة واحدة من الزمن

فهذه الفكر عيبه كان يعزي وشجع تلك المرأة الشريفة التي
 استشهدت في بلاد الانكايزه لانه بعد ان وضعوها على حجر رفيع
 وجعلوا فوق صدرها حجراً ثَقِيلاً جداً ورأت قومًا من الحاضرين
 يرثون لها قات لهم . لم تحزنون عليّ وانا زمعة بعد زمن وجيز ان ارتقي
 فوق القمر والشمس وادوس برجلي النجوم ولح سماء السموات وصن الملائكة
 والقديسين . هذا تقرر ذلك تقول : انه بقدر هذا البعد الكاش بين السماء
 والأرض يكون بعد الخيرات السماوية عن الخيرات الارضية . فيا لغاوة

لدين يبدلون تساع لواء الغير الموصوف شر من الارض . ومن
أجل خير جبرتي وقتي يعمدون لدات عطية ابدية
وهكذا داما قابلا شرور هذا العالم وبلاياه مع عظمة الخيرات
الابدية فتحدها كلاشي . . . حبرنا القديس الطونيوس اسقف مدينة
فلورنسا عن رجل شرير افعده الله ترص مستطيل ليرده به الى طريق
الخلاص . فاستغل الرجل المذكور اصابه مرضه ووجد غير محتمل
ولذلك بعد تقدمه التوبة عن خطاياه طالب من الله مرات كثيرة ان
يخرجه من سجن حسده . فترأى له ملك وخيره من لدن الله بين شعبين
يتبقى منهما ما يشاء اما ان يمكث سنتين ايضا في هذا الارض واما ان
يموت حالا ويأت في المطهر ثلثة ايام . فاخذ المريض التائب يقابل ثلثة
ايام في المطهر مع سنتين في حال مرضه الأليم الذي كان قد ضحى منه
جدا فرأى ان يختار الثلثة الايام في المطهر ولا يبقى سنتين طويلا على
فراشه متملا على ما رآه او جاعه . فتوفي حالا وانحدرت روحه الى المطهر .
فما انقضت عليه ساعه واحدة ظهر له ملك الرب يعزيه . ثم بعد التعزية
قال له اما تعرفني فاجابه ذاك كئلا لست اعرفك . فقال له الملك اأنت
انا الملك الذي أرسل اليك من الله لتختار بين ان تتعذب هنا ثلثة ايام
او تبقى على فراشك في حال اوجاعك سنتين فاجابه ذلك الحزين
المسكين انه لمن المستحيل ان تكون انت ملكا سموايا لال الملك لا يكذب
وانت قد كذبت بقولك لي اني لا امكث في هذا السجن سوى ثلثة

يام فقط . وها ان لي في هذا لعذاب اكثر من سنة ولم ينته : فقال له
 الملك . اعلم انه ليس لك ها هنا اكثر من ساعة واحدة وجسدك لم يبرد
 بعد ولم يقبر . فحينئذ اخذ يتوسل اليه الرجل المعضب قائلاً . هل اذا
 يا مولاي الله ان يصحح عن جهلي الذي به اخترت هذه الحال واستمع لي
 من مراحمة ان يرديني الى الحياة لاحتمل مرضي لامدة سنتين فقط بل
 طالما يشاء هو عز وجل . فقبل الله طلبته وبثته من موته واعاده حياً .
 فصار يرى جميع اوحاع الحياة خفيفة يسيرة بالنسبة الى ما احتبزه من
 عذاب المطهر ولم يكن يحتملها بصر فقط بل بسرور وابتهاج ايضاً . فان
 كانت هذه حال عذاب المطهر فماذا يكون عذاب جهنم . وان كانت
 ساعة واحدة من عذاب المطهر تبين كسه تحوي اكثر من ثمانية الاف
 ساعة . فلا شك في ان ابدية عذاب جهنم تبين كثمانية الاف ابدية
 واما على لدات هذا العالم الحسية الوحيزة التي توارى هذا العذاب
 المستطيل وما أحف العذابات الارضية واقصرها فهي كالأشئ
 بالنسبة الى العذاب الابدية

الفصل الثاني

في علمه شرف القديسين وكرامهم الالهي

لنعتبر الآن على وجه الخصوص عظمة خيرات الحياة المستقبلية
 التي تتناول كل نوع من النعم والكرامات واللذات اللائقة بالنفس
 والحسد . ولتدتن بالحطاب عن الاكرام الذي كثير اما ترغبه

الخالق الناصقة والذي وعده السيد اسحق الذين يحبون الان الانتصاع
 قائلاً من يطلب فانا أعطيه المن الحني وأعطيه حصاً أبيض مكتوباً فيه
 اسم جديد لا يعرفه الا من يأخذه (رؤيا ٢ ١٧). فإله من مجيد عظيم
 قد ذكر عن سابور ملك الفرس انه كان يميل الى الشرف والاكرام
 بأهراط الحب حتى انه دعا نفسه اخا القمرين وسليل الكواكب. وشاد
 له قصرًا ربيعاً من بلور بشكل كرة عاكمة فيها من دقيق الصناعة والفن
 حتى اذا جلس على هذه الكرة كانت الشمس والقمر والكواكب
 المصورة هناك تبرز من تحت رجليه وتستدير حول رأسه شبه كليل
 ميره. وقد احتسب هذا الكليل المصنوع من صورة السماء كراماً
 عظيماً ومجداً جسيماً. فاذا يكون اذا اكرام القديسين لتعبدن ان يجلسوا
 حقاً على الشمس والكواكب بل على منبر ابن الله عينه ويمدحون لامن
 البشر فقط بل من الملكة ورب الملكة ايضاً

خبرنا اكينتضوس الاسكندري انه كان في بلاد الفرس ثلاثة جبال فمن
 كان يبلغ الى الجبل الاول يسمع صوت ففحة سلاح الناس محاربين. ومن
 يبلغ الى الجبل الثاني كان يسمع ذلك ما وضع بيان. اما الذي يصل الى
 الجبل الثالث فلم يكن يسمع سوى اصوات الابهاح وترايل نشاند
 الالهراج وتهاوي الانتصار. فهذا ما يجري في شان الاراد لاهم يحورون
 ثلاثة جبال سرية دمرية اعني بها العقل التطقي والنعمة والمجد السموي.
 فالذي يبلغ الادراك يشعر بحرب لدائل فيهمها بالنعمة ويظفر بها. وادا

بلغ المجد السموي ويسمع صوات الفرح وتزأب لنهائي والانتصار ويتوح
 باكمل ثمين جريل الاعتبار . ولعمري ان الخلوس مع الملك على مائدته
 شرف عظيم ومحد جسيم غير انه لم يسمع قط ان ملكا حدم عبده . بل
 لم يخطر هذا لشربال . ولذلك حسنا قال اميرتل ان اصدق الرب
 مكرموب جدا . مز ١٣٨ . ١١٧ . وهذا النبي والملك نفسه قد ظن بانه قد
 شرف مفيبوشت شرفا عظيما اذ اجبسه على مائدته . مع ان مفيبوشت كان
 من نسب ملوكي وابن يوبانان الذي به كان قد نجا داود من الموت .
 وهامان الذي لم ير على الارض اكثر منه تكبرا قد ظن انه لا يمكن ان
 يشرفه احشورش الملك بشي اعظم من ان يأمر الاكبر قدرا في
 اهل دوانته بان يملك بخام فرسه حينما يركب ويمشي امامه هكذا
 في مدينة وهو ركب على حواد الملك . الا انه لم يحظر بباله ان يملك
 الملك نفسه بلحام جواده . اما الاكرام الذي به يشرف الله قديسيه
 فيفوق عقل كل بشر لانه بعد تكليبه اياهم بمجد لاهوته . وبعد ان يكون
 منهم ذاته ليخطوا به عز وحل يكره ايضا محاسنهم وانتصاراتهم باكرام
 هائق

فقد ذكر المعلم توما الكانتير في عن اسكندرس ملك نيكوسيا .
 انه ظهر لراهب متوجا تاجين فمائل عن سب ذلك احاب ان التاج
 الذي على رأسي هو التاج المشاع لكل من القديسين . اما التاج الاخر
 الذي في يدي فهو ثواب تركي ملكي الرمني لاجل السيد المسيح .

هكذا الشهداء والعذارى والعموم فانهم يهرون باسكايل خصوصية
والاعضاء التي بها يمجدون الله بعبادة خصوصية تتشرف بمجد خصوصي .
فباي مجد يهرجسد القديس استفانوس الذي نعت من كل جزء من
احرانه التي رجعت بالخمارة اشعة نور خصوصي يدهش العقول . وما
امجد ما يكون النور الذي يتردى به القديس رومانوس الرسول لاجل
سخر حله حباً بالسيد المسيح . وباي نور ساطع ترق اعضاء القديس
يعقوب الذي قطع جسده ارباً ارباً بل المعروف ايضا ستغني اعضاؤهم
التي مارسوا بها تفشقات خصوصية

قد ذكر عن القديسة متيلدا من القديس يوحنا الانجيلي
ظهر لها وعيناه بيتان مزهرتان نور وبها عجيب . وذلك لانه لم يحسر
قط ان يرفع نظره الى وجه الحليمة مريم الحزيلة احترامه اياها . واَعْظَمُك
يا ايها الكرامات الغير الممرضة للخطر ولا الرمس والغير المتعلقة بارادة
البشر انك ستدومين غير محوكة الى الابد . والذي يمجّد هنا اجداد
القديسين مجداً عظيماً ترى كيف يمجّد انفسهم في السماء . ما اكثر المحررات
التي صنعها وصنعها بواسطة ذخائرهم

خبرنا القديس يوحنا لدهبي القم عن القديسين يوفنسبوس
ومكسيموس . انه كان ينعت من ذخائرهما نور عجيب لم يقدر احد ان
يحتمل مشاهدته . وقد احبر القديس سوليبيوس عن القديس مريتيوس
ان جسده بعد موته حصل على حال حيد موجد لان لحمه ظهر مضياً

كالبلور وافضل يا صا من الشج . وما كثر الحجاب التي صنعها الله
 بمحمد القديس ادواردوس والقديس فرنسيس كسافاريوس اللذين
 حفظهما من الفساد . فان كان الله يصنع هكذا مع احساد عبيده
 الموضوعه تحت الثرى فماذا يفعل بانفسهم التي ادخلها الى السماء . وما
 سوف يصنع مع اجسادهم وانفسهم معا حينما يتحد في يوم الدينونة
 وتدخل منتصرة الى مدينة الله المقدسة الالدية

الفصل الثالث

في غنى السماء وملكه الالدي

ان غنى الملكوت السموي يضاهي مجده . وقد افصح لنا عنه السيد
 المسيح بامثال وتشابيه كثيرة . لانه حل ذكره دعاه ككرا خفيا ولولوا
 كثير الثمن ومبغيا عظيما من مال . وعمرى انه ان كانت سمادة القديسين
 قايمة بالتمتع بالله الى الابد . فلا ريب انه امن كنز يضاهي هذا الكنز
 ولا امتلاك اعظم واعنى من هذا الامتلاك ي من امتلاك الانسار الله
 سبحانه . لانه اية وراثه اكثر ثمنا من ميراث اسما . ويمسا ذهب اتقى من
 خالق الذهب وهو يقدم لا كل غنى ذاته لتمتلكه وذلك لئلا نعكف
 على امتلاك خيرات الارض الدنية المضنية السريعة الروال

ثم ما عدا هذا الغنى العظيم الذي هو الله . فتنى الملكوت عيه لعظيم
 حدا حتى انه به وحده يصح كل قديس ملكا عظيما . وقد قال العلاء
 افلكيور عن اتساع السماء انه لو يعطي الله كل قديس حزا منها يساوي

اتساع الارض كلها التي منها ما يكي لغيرهم كثيرين . وقد زعم بعض المعين
 اللاهوتيين . انه لو جعل الله كلاً من حبوب لؤلؤ الذي على شاطئ
 البحار عظيمه ككره الارض لم يكن هذا الرمل كله كافياً لآل عيالاً وسع
 السماء الذي تسعه المندية البعيدة العليا ابية ككها من ذهب
 وجواهر كريمة . وابوابها جميعها من لؤلؤ عجب ومادة اسوارها من حجر
 ليصب وياقوت الازرق والبخادي والزررد والعتيق والياقوت الاحمر
 والمها والبلور والياقوت الاصفر والررجد والاسم نخوفي والكر كهن . كما
 قيل في الكتاب المقدس ارميا ٢١ ٢٠ .

خبرونا عن القديس فرسيس انه اعتراف وحج عظيم في عنيده حره
 لذة النوم . واصاف الشيطان الى الاله تحاربه له فانه اماً لا حبرته فاراً . اما
 القديس فكان يشكر الله على ذلك بعد عجب لانه تعالى ارتقى ل
 سبوه برحمته قال . يا سبدي يسوع المسبح في مستحق عذاباً اعظم من
 هذا . فلذلك اسالك شيئاً واحداً لا غير وهو لا تسحب من تعدي التجربة
 عنك . فحينئذ سمع صوتاً من السماء يقول له يا فرسيس . انه لو تكون
 الارض كلها ذهباً صافياً والابر جميعها بسماء والحبال والقصور ياسرها
 ماساً . اما كنت تحسب هذا كثيراً عظيماً . فاعلم ان المكنز المذخر
 عندي في السماء يفصل على ذلك كما يفصل الذهب على الطين والبلغم
 على الماء والماس على التراب . وقد اصاب ادا القديس فوليوس الذي
 لما دخل رومة وتمرس بعضاتها وجلال بها انها صرخ قائلاً ان كانت

رومة الارضية شكداً نعمة سية . فاذا يكون حسن بها . جمال اورشليم
السموية

فهذا الغنى الذي ليس له نظير ولا مثيل يصير لكل قديس مسكاً .
ولا تكون اسما . ملكاً لجميع القديسين معاً قط بل كل منهم يمتلكها
كلها ايضاً . وذلك كما ان الشمس التي تسخن كل ما تحتها معاً تسخن كلاً
مها على حدة حتى كانتها لاجل واحد . اما مفعولات الغنى السموي
فانها اجل واشرف حذاً من مفعولات الغنى الارضي . لان الغنى الارضي
لا يهد الا لكتاب الاقتدار والهدات والكرامات . والحال ان
كل الذهب الموحود على الارض لا يتقدر ان يعصم هذه الاشياء عن
الضعف والاهانة والتمب الحريل

قال واحد لفيلبوس الثاني ملك اسبانيا اذا امرت حضرتك قوم
مرؤسيك بشي . فاجابت الجميع قائلين لانطعك ولا ندعن لاوامرك .
وما الذي كنت تعمله . قال هذا مشيراً به الى ان اقتدار الملك متعلق بإرادة
الغير . فاما اقتدار القديسين في السماء فليس متعلق بتقدرة اخر . وهو عظيم
بهذا المقدار حتى قال القديس السلس انه ما من مضاد يقوى على مقاومته
فلو اراد احد القديسين السمويين ان يقل جبلاً من مكان الى اخر
لفعل ذلك باوفر سهولة واكثر سرعة مما تحرك نحن حذقة عينا . ثم ان
كرامة القديسين عظيمة حذاً حتى ان اشاطين انفسهم يكرموهم .
اما لذاتهم فلا يشوبها نقص من عمة او هم ومن المحقق عندنا ان

ان الكرامة والنفع واللذة لا يجمع بينها الا في ما ندرجده . بل ينبغي ان تنافي
احداها الاخرى فالدوام بعيد نجاهه مرأا واللذة تسبب الهوان والكد
الكلي يقترون الاكراه بالنفع . اما في السماء فالامر بخلاف ذلك .
حيث ان القنى الابدى يحوى هذه كلها ويجمع بينها فيجعل ما يفيد لذة
تتولد منه الكرامة وما يسبب كرامة مفيدا واما

الفصل الرابع

في عطمة القرح الدنية

اعلم ان فرح القديسين الطوباويين الاخص هو الحظوى بالله
لانه كما ان النفع والكرامة في السماء لا ينفصل بعضها من بعض
بل تكون مقترنة على الدوام . فهكذا النفس الطوباوية لها ثلث صفات
غير قابلة للانفصال بعضها من بعض . وقد تقتضيها حال هذه النفس
اقتضاء لازما . وهذه الصفات تصامى الثلاثة الخيرات المتقدم ذكرها .
فالصفة الاولى هي مشاهدة الله عيانا وبها يكمل الله استحقاقات ابراره .
ولعمري ان تكايل فضائل الاراء الذي يكون امم الملكة ونيهم هذا
الثواب الحسيم الذي يساوي ثمة عطمة الله . هو اكرام لاحد له ولا قياس .
والصفة الثانية هي حظوة النفس السعيدة بالله كانه غماها وميراثها .
والصفة الثالثة هي القرح العير المدرك المقترن بهذه المشاهدة وهذا
الامتلاك وهذا القرح لصادق في النفس من المشاهدة الالهية يمتد
الى الجسد ويرينه بصفات شريفة بهية حذاء قيايت جسد احد القديسين

الطوباويين يظهر لنا صفات تخدم العظيم

فإننا نعلم بوجع ما نور النفس التي تزين الحد بثقل هذا اليها .
العظيم وحر بل سرورها وفرحها . أنه ليس في العالم شيء إلا يميل
إلى السكال وكذا كان السكال أوفر عطمة أسدى املاكه أوفر
سروراً . والحال أن السكال الإلهي هو السكال الأعظم وهو عين ما
أحب سبحانه الله الغير المتساوي أن يشرك فيه منكه وانفس اختارين
وان كانت طبيعتهم لا تتقضي ذلك . ثم بقدر ما يكون الموضوع المذ
المختلج بقوة الماسكة ياء أشد اتحاداً . بقدر ذلك تكون اللذة الصادرة
عنه أوفر عطمة . والحال أن الله في السماء يتحد بالنفس اتحاد التلاثم
والاعتناق الأشد عزماً . ويكون الله الموضوع لا فصل لذة . فمن
ثم يكون السرور الخارج عنه يفوق كل ادراك مخلوق بما لا يحذ ولا
يقدر . فترى ماذا يكون سرور النفس المتحمة بمجال الخلق وبحجم
كجلاته . فإن كان يعقوب اب الایاء قد أعد رق خدمته مدة أربع
عشرة سنة شيئاً يسيراً لحصوله بها على جمال راحيل . فاي تعب
يتبين أن عظمياً أن كنا نبلغ أن الحفوى بالله الذي ينو لجماله أعظم
حاله مخلوق بل ليس إلا شاعة شنة

فقد كان ابشاً لوم وادوباً حسني المنظر وكان من يشاهدهما
يمرج صدره ويتعري قلبه بمظهرهما . ولكن لو امتثل أمام الناصر
اليها شخص آخر يفوقهما حسناً وبهاء بعثرة أضعاف أما كان

الناظر يحول نظره حالاً عنها ليعاين من هو أبهى واحل منهما . ثم
 إذا طهر له شخص آخر أوفر حسناً بمائة ضعف عن سابق أما
 كل يصرف نظره ثانية عن ذلك ويصدق به الى هذا ويتضاعف فيه
 سروره بقدر تضاعف بهاء الموضوع . والحال ان الله يفوق جماله
 على هذه كلها تالاجد . وجماله متروك بالحكمة والعقدرة والقداسة
 والسبحا . والحدود وغير ذلك من الكمالات الالهية الغير المحدودة
 عظمها . فمن ذا الذي يشاهد هذا الموصوف الألهي ولا تسر نفسه
 وتتهب بحبه ذات عذوبة غير موصوفة . فلو عين على أحد بان يشاهد
 نوادر الدنيا السع . او يحضر وليمة أشجوروش الملك وغيره من الملوك
 المعظمين ويتمتع بتمرحات الرومانيس ويلد بسماع الانغام الموسيقية
 ويستنشق اشهى الروائح الزكية ويملك كنوزاً اعظم من كنوز داود .
 اما كل يحب نفسه سعيداً اذا علم انه يتمتع بجميع هذه الخيرات مدة
 مائة سنة . واذا أضيف الى ذلك ان يكون اكثر حكمة من سليمان واعلم
 من اريسطونائيس . واذا كان أياس وافصح من شيشرون واغوى من
 شمشون واجمل من ابيشالوم فما كان أعظم ابتهاجه وعراة . مع ان هذه
 جميعها اذا ما قارلناها مع المشاهدة الالهية فلا تكون الا بمكانة الرصاص
 والتراب من الذهب والانس . اذا تالاهذه المشاهدة الالهية فملك جميع
 خيرات الخلائق وعظائنها . فنحمد فيه تعالى على نوع اكمل جداً كل
 غنى الذهب وضياء الشمس وحلاوة العسل وبذة الانغام الموسيقية

الفصل الخامس

في شرف اجساد القديسين وكمالها

في الحياه الالهيه

انه لما شاء هيرودس اعربيا ان يظهر عره ويقتربها بحجب لمس ثوبا فاخرًا
م صعبا بالذهب والجواهر الكريمه . غير انه لكي يظهر روثقه ولمعانه احتاج
الى شعاع لشمس ولاجل هذا النعان اليسير دعاه اشعب الهاء . فكيف
ذ يكرم البار في الحياه المزمعه حين يكون لابسا ثوبا ذهبيا بل
متوشحا بالشمس بل بما هو اكثر منها نوراً ومعاناه . والذي يحمل خاتم اس
في يده بعد ذلك شرقاً غنياً . فما اعظم شرف جسد الصديق المتلالي
بلعان غير مستعار بل خاص بجسده ويموق بها كل حجر كريم . ولا
يحتاج الى الشمس التي تنقر الان اليها حياتنا افتقاراً ضرورياً لانه لا
يظلم ليل على البار بل يكون هو نهاراً بذاته . فهل من عزه اعظم من ان
يكون انسان افضل لمعاناً من الشمس عينها سبع مرات يحمل في ذاته نوراً
لا يعادله نور مصابيح يحملها كل من افراد البشر وهم يراققونه

ان القديس بولس الرسول لما لح بارق نور متبعث من السيد
المسيح عدم البصر واستوى اعشى بعض ايام اعمال ٩ : ٨ . والقديس
يوحنا الانجيلي لما رأى نور وجهه تعالى سقط على الارض صمماً كبت
(رؤيا ١ : ١٧) . ولم يكن جسده القابل الموت يطبق مشاهده نور
تلك العرة المظليه . والقديس بطرس هامة الرسل اذا بصير شعاعاً واحداً

منبعثاً من جسده تعالى يوم التحلى استعظم ذلك جداً وعذ ذلك المكان
سعيداً حتى أتى لهو دمه . لأنه ليس يحب أن يظهر هذه الصفة
المجيدة في جسد السيد المسيح . بعد أن ظهرت في وجه موسى القابل
الموت اد على النور وجهه حتى لم يفكر الشعب الاسرائيلي ان ينظر
اليه

حبرنا كيسانوس عن رجل من علماء مدرسة باريس . انه نادى
ساعة موته صق بامل في كيف يستطيع الله ان يصير جسده الخفير
ميراً الامماً مثل الشمس . فاحب الله ان يعزي عبده ويحقق اعناده في
حقيقة قيامة الاحاد فافاض من رجليه نوراً عجيباً حتى عاد لا يقدر ان
يحمل النظر اليه . وهذا عجيب حقاً في اجساد قابلة الموت . وهو
اعجب جداً في اجساد مية . ففي هذه عينا ظهر هذا النور السوي على
نوع يدهش العقول كما ظهر في جسد القديسة مرغريتا ابنة ملك انغاريا
وفي جسد غيرها ايضاً . فان كان قد ظهر مثل هذا النور والها في اجساد
مجردة من انفس فما اعظم . ان يكون ذلك في اجساد القديسين بعد
القيامة حينما تكون متحدة بنفس مجيدة ومنعفة بحياة مؤبدة . فما يكون
نور السماء المركب من جميع هذه الانوار بل من جميع هذه الشمس .
وان كان السرور الحاصل من النظر يرد في كل واحد من القديسين
بمقدار عدد الاحساد المنترة . فما قدر القرح الواصل اليهم من هذا
النظر البهي

ثم ان القديسين المتوسمين بهذا النور العجيب والمثلين منه
 يشركونه ايضا في خواصه . ومن جملة خواص النور الا يقبل التضاد
 وهو لذلك غير قابل الالام والقاد . وهكذا تكون اجساد لقديسين
 المحيطة اعني غير قابلة التسالم ولا متعرضة الى ما يؤذيها ومن خواص
 النور الخفة والسرعة . فليس شي اكثر منه خفة وسرعة . ولهذا ترى
 الاجرام الاكثري صيا . اكثر حبه وسرعة . فالمنصر ذو المرم الشديد
 في جريه هو عصر النار المركب من النور وري الشمس والكواكب
 النيرة أسرع مما في العالم . والنور عينه هو سريع جداً حتى انه في دقيقة
 واحدة من الزمن يمتد ويبلغ الى أقصى حدود دائرته . وهكذا تكون خفة
 الاجساد المحيطة وسرعتها بل تتحرك بسرعة أعظم من سرعة حركة
 الكواكب . ومن خواص النور ان يحرق الاحسام وليس شي ينصفه
 عن ذلك ولذلك تكون رقة الاجساد المحيطة ودقتها واطاقتها أعظم منه .
 فتخترق وتنفذ أشدة الاجرام صلابة وكثافة

فتلك الصفات الخاصة بالاجساد المحيطة تنافي شروط هذه
 الحياة جميعها . لان الصمة التي تتركه الجسد عن التالم تدرأ كل ما
 يؤلمها ويعدسها . اعني برد الشتاء وحر الصيف وجميع الامراض والافواج
 والاحزان واليكاء واحتياحات الحياة كافة . ولا ريب ان هذا الخير عظيم
 لانه يجر دار ترفع اضطرارها الى الاكل تدفع عنا هموم عديدة . فكم
 يتعب الانسان لاجل حفظ الحياة . فالتلاح يكذب ويتعب في خدمة الارض

والراعي يضطر الى ان يعيش في التباي عرصة للحرق والبرد والخدم والمساخر
 يحوجها الامر الى الخدمة والخضوع للناس والفتي الى تدبير اموره بهم
 وخوف . فما اكثر الاخطار والاعاب التي يعانها الانسان في كل امر لكي
 يدرك القوت الضروري . اما البار فيجوز من هذه كلها بتلك الصفة السعيدة
 التي تجعله غير قابل التالم . وهكذا الحاجة الى الكسوة والعافية
 الخاصة لحوادث كثيرة وكوارث متعددة قد يتولد منها هموم واعاب
 جزئية . وقد نجماها جميعها من هو غير قابل التالم . حتى لو دخل
 الجسد المجيد همهم نفسها لم تحترق منه شعرة واحدة

وهكذا صفة الحفة خير عظيم ويمكن ان نفهم ذلك من جزيل
 اعاب من يسافر سراً متطيلاً . فأكثر ما يكابد من المخاطر وما
 أعظم ما يحتمل من الاعاب في كل مسافة وما انزرا الاشياء التي يحتاج
 اليها لحفظ صحته من المرض . والجسد المجيد يصل بمحظة عين الى حيث
 يشاء . ويكون لديه قطع ربوات ربوات من المراحل كقطع مسافة صغيرة
 او خطوة واحدة . انا لنسحب مما ذكر عن القديس انطونيوس البادواني .
 انه بساعات قليلة انتقل من بلاد ايطاليا الى مملكة برتوغاليا لينقذ اباه
 الذي كان قد حكم عليه بالموت . ولقد كنا نعد سعادة عظمى ان يمكننا
 في مدة ساعة واحدة ان نصر كل عظامهم مدينة رومة وفي ساعة أخرى
 ان نصل الى القسطنطينية وفي ساعة أخرى الى مصر ومن هناك الى
 الهند بعدة ساعة ايضاً . فنشهد كل عظامهم المكونة بزمن وجيز . فاذا

تكون اذا سعادة القديسين الذين يقدرور بمدة ما وحيزة من الزمن
ان يجتاروا كل فضاء اسموات ويطوفوا الارض كلها ويتسوا بكل
ما فيها

قد ذكر القديس غريغوريوس في تحاويه رجالاً جنداً بهم
على شقي مجرداً سيفه بشفه . قادر رفع يده بضربة ورأى دت نفسه في
خطر الموت صرخ متسماً امور الالهى قائلاً يا ماريو حنا ماست يده .
وفي تلك الدقيقة . مك يد الحدى ولم يقدر ان يخرج كها . في اعجب
هذه السرعة في استماع الاسفانه وسير القديس مساعدته . سرعه
الاجساد المجيدة توارى سرعه الارواح . لقد تعجب الناس من ان القديس
كيريوس والقديس مورس والقديس فرانس بولاً ساروا على
الامهر والبحار بغير قارب ولا سفينه . والحال ان الاحداد المجيدة تجتار
البحار وتطير في الجو وتغد في النار بغير خطر ولا ضرر

الفصل السادس

في رحوب طلب لتكوت سترى ونعصبه على جميع

الحيات الارضية

فليقاسن المؤمن شقاوة هذه الحياة مع سعادة الحياة الاخرى وليثبه
ضعف طيعتنا في هذه الحال القابلة الموت بتموتها وخواصها في الحال
المستقبله الغير القابلة الموت . وليتناهلن لاكمساب سعادة محمد لدينه
ابدي بتعب خفيف وحيزه . ذكر عن كورش ملك الفرس انه لما خرج مع

حيثه ليحارب المدايين . أمر جنوده القارسيين كلهم بان يأثروا بنفوس
مشعودة ويقطعوا اشجار حرش عظيم أشار اليهم بقطعه . فاصروا في
هذا العمل يومهم ذاك جميعه بكثرة وكدح جزيلين . ولما كان اليوم الثاني
اصطنع لهم وليمة لذيذة فاخرة . وبعدها سألهم اي هدين اليومين أحب
اليهم فاجابه الجميع بصوت واحد آثر لدينا يوم الوليمة . هــ . واذا نادى
متادي الحرب والحملة على المدايين . أخذ يشعهم ويمدهم بأنه اذا انتهت
الحروب يضيفهم وليمة فاخرة نظير الاولى . فكذاهم هذا الوعد ليثبوا على
المدايين لا يهابوا يحطروا الموت فجاروا فور النصر عليهم واستولوا مملكتهم .
وهكذا يجب ان نقابل نحن ايضا عطمة مذكوت الله ودناءة اعماله . خيرات
السما . وخيرات الارض فمجد كل تب راحه وكل عا . آحاً

ليت شعري ما هو مجد هذه الحافة الكاذب الوحيز الذي الحقيق
قبالة مجد السما . ما التى الزائل المتلي خضراً وهماً بالنسبة الى
العنى الذي لا يفتى ولا يروى . ابن سرور امالم ولداته المستومه والمصره
بالصحة والمبددة الاموال والمهسه من يتتبع سبها من سرور المجد الابدي
الحاوي كل ما يحدي اكراماً ونعماً ولذة . ابن حال حصدنا هذا القابل
الموت من صفات الجسد المجيد بعد النيامه

خبرونا انه في ابتدا حرب نابوس الرومانى لدرومانيين نادى
أسنوس قنصل المدينه العظمى قال ان كل من ياتيه برأس غايوس
ياخذ مثقال ورنه دهماً . فلما سمع هذا واحد من أهل المدينه يدعى

ستيمولسيوس . ذهب لقتل غايوس ولم يبال به فيه من الخطر والنعمة . بل افرغ وسمه في ذلك ولم يدع سيلاً ولا حيلة الا اتخذها حتى ظفر بغايوس ونال الجراء الذي تقدم الوعد به . فلا تكون نحن اقل شجاعة ورغبة واجتهاداً في اكتساب ملك السماء باسمه مما كان هذا الجدي في ربح يسير من تراب اصفر . وكل ما فعله او نعطيه لاجل اكتساب هذا الملك لا يعدل مثقال درهم تبارك هدا الخير العظيم . ولذلك قد رأى القديس اغستينوس ان احتمال جميع العذابات الجسمية طمعاً مادراك هذا الملك السموي زماناً يسيراً أمر يسير جداً . والحق اننا لو درينا ما عظمة هذا السرور لاستحققنا تشفيات القديس سمعان العمودي وصيانات القديس روموالدوس وقر القديس فرسيس واهانات القديس اعنايوس ولراينا ان هذه جميعها كتب من رفيع من على وجه الارض فتنة من التبن لكي يحظى بملك العالم باسمه .

وقد كشف الله عن فاعلية هذه الاعبارات الحرفية فيه لما اراده اربع حيوانات مختلفة جداً بالطبع الا انها متفقة سيراً وعملاً لانه رأى النبي في الحو نسرأ وثوراً واسداً واسباناً يتطايرون كل واحد منهم ناربعة اجنحة . ويبيرون بسرعة البرق . فما ذا قوى هكذا طبيعة الثور وصيرة نظير النسر صائراً . وما الذي قهر تكبر الاسد ووحشيته حتى آس الاسبان وصار رفيقاً له . فقد اوضح ذلك النبي بقوله ان الحيوانات المرمية كانت تحمل حدة السماء على رؤوسها

فلو كنا ممن فكرنا في الملك السوى لكنا نأمرس اعظم الامور واصعبها
 برعبه وسهولة وقد كان يمكن للانسان الهيبولي ان يصير نظير ملاك .
 ولكان قد اعتمد تهذيب نفسه واصلاحها من كان على جانب من
 البداوة والوحشية ورايت من كان بيذا كسلانا كالثور يطير باربعة
 اجنحة ويرتفع من على الارض التي يدوسها وشاهدت آخر يكفر غلامه
 العارية الرائلة املا بادراكه التي لا تزول

الفصل السابع

في شروا الدنيا وعلى الخصوص في ممرها بين دنياهم

ولعمري انه يجب علينا ليس فقط ان نتزل خيرات هذا العالم
 من خيرات السماء منزلة الادلال والاحتقار . بل ينبغي لنا ايضا ان
 نستصغر شرو هذه الحياة . لنسبة الى شروور جهنم . وذلك لان الشروور
 الختمية شروور حقيقة لانها خير بثة . قد ذكر اليسانوس المؤرخ انه
 في أقصى حدود بلاد ميروني مكان يدعى اوسيتي تاويله مكان لا يرجع
 منه . وكان هذا مكان وهداة عطية عميمه جدا يجري فيها نهران احدهما
 يدعى نهر الفرح والآخر نهر الحزن وعلى صفة هذين النهرين اشجار
 شائعة ذات اثمار مختلفة . فمن كان يأكل من اثمار نهر الفرح كان ينسى
 كل أمر حزن . ومن كان يأكل من اثمار نهر الحزن كان يشعر في قلبه
 يحزن هذا احد مرارته . حتى انه لم يرجع باكيا متحيا الى ساعة موته .
 على ما يدلان هذان النهران . فالنهر الاول يدل على فيض النعمة والشروور

الجاري في مدينة الله . والهر لا يريد على افراط الشقاء الجاري في
سجن جهنم . ولهذا ارى الله ارميا النبي سلتين مملوتين تيباً . وقد كان التين
الذي في احدى السلتين ردياً . وليس ردياً على اطلاق الله ط فقط . بل ردياً
جداً حسبما يقول النبي (ارميا ٢٤ ١٢) . وذلك لانه كان رمزاً الى شقاء
المالكين الذين تحقق بهم جميع الشرور الابدية ولا علاج لها . ولعمري
ليس هذا امرأ عريباً عند من يتأمل عظمة الخطيئة لميته . وقال القديس
اعستينوس ان كان الكافر الوثني يستحق بالخطيئة جهنماً واحدة فالؤمن
بالمسيح يستحق جهنمين . لانه أقدم على ان يحظى . مع الله واعتقاده
بان ابن الله تمسده وصلب حياً به فحقاً ان الخطيئة شر عظيم جداً لانها
شر غير متناه ومن ثم يعاقب عليها عدلاً عقاباً ابدياً . ولما كانت أعظم
الشرور معاً استوحشت ان تعاقب بجميع الشرور معاً . انه من عظمة قيمة
الدواء يستدل على عظمه الداء والحل ان الخطيئة قد استلزمت نجس ان
الله وموته دواء لها . فإذا يكون ادأ عظم شرها . فان كان الله خيراً
وفيه كل خير فلا جرم ان الخطيئة التي هي اقتران عليه تعالى شر
يستوجب كل شر

فاعتبر الان افراط ما في جهنم من كل نوع من انواع العذابات .
قال القديس الكبير ان العذابات الشرعية ثمانية . عذاب الحسرة
وعذاب النار وعذاب النقي وعذاب السمى وعذاب الاسر وعذاب
الجلد وعذاب الموت والعذاب المساوي الدن . والى هذه الانواع

الثمانية مرجع بقية أنواع العذابات . هذه جميعها يحرمها العدل الالهي على الذين أبوا في زمن حياتهم أن يستغيثوا من رحمته .
 فاعتبر أولاً عذاب الحسارة لعظيم وصارم جداً في جهنم . فإن الخاطئ بدقيقة من الزمن يخسر الله إلى الأبد . فالتأقلم فقر من يحسره ربه وأنه إلى الأبد . الذي يحكم ما به موجب شريعة عالية يخسر أمواله يستطيع أن يبيع غيرها ما دام حياً . وأعظم مشقة في ذلك أنه يرحل إلى بلاد أخرى عربية يطلب فيها يساراً . أما الذي يحسره الله تعالى فلا يجد له لاهاً آخر ولا يمكنه الفرار من جهنم والله هو الخير الأعظم فحسرة ربه هو شر أعظم .
 و . كان خسرت الله بداية في جهنم كان عذاب الحسارة أعظم من جميع العذابات . فإن كان فئت عضو من الاعضاء . يسبب المأخر محتمل لأن العضو يخرج عن مركزه . في ذلك ان اتصال خليقة ناطقة إلى الأبد عن الغاية التي خلقت لأجلها وذلك فضلاً عن أن أملاك يحسره كل خير بل يحسره أيضاً كل دماء خير معاً . ما تسرب فقر ايوب الصديق مسدهين من أن دماً غنياً تطرد صطراً إلى الخلوس على مرلة ولم يبق من جميع أمواله غير قطعة من الخروف كان يجردها الفج عن جراحاته .
 ونما هذا العلاج عيه ليس للهالك في جهنم الذي لو كانت المزللة فراسة لكان احتسب ذلك تعبيراً عظيماً فقراشه هو الحمر المتعد . فانظر إلى ما حصل عليه ذلك انفي بقول عنه في الانجيل المقدس أنه كان يأكل ويشرب في الآنية القضييه والذهبيه وبس نفخ الايوب الحزينة .

فما عظم من صار على ما عظم من المسكنة والفقر في جهنم حتى غدا يطاب
 لا الخمرة اللذيذة بل قليلاً من ماء ولم يعطه . ولا يئسى أن يشرب ذلك
 في ثاء من ذهب او يلور بل يمتصه من اصبع لعازر الابرص ولم ينله .
 هيا لعظم اشقاء . امعد لا غنيا . هذا العالم الدين يعاقب فلو بهم في عناهم
 وسليه يجملون اتكالهم

اعتبر ثانياً انه يتدار هذا الفقر الكلي وقد كل خبر في الحطاط .
 الممالك عار عظيم ايضا . وفي هذا قال القديس يوحنا الذهبي فمه حقاً
 ان جهنم شر لا يصدق وعذابها عذيف مرعب جداً . غير انه لو اراني احد
 الف جهنم لم اشفق خوفاً من ذلك ولا ارتعب كما اخزع وارهب من
 فقد امجد الايدي واستماع صوت اسيد اسبح التامل لي بوجه عضوب
 لت اعرفك . وتوخفه ايدي لاني لم اضمعه في حين احتياجه وحوعه
 ولم اسقه في حين عطشه . وينسر لنا فهم حساسة هذا العار من مثل
 ملك مقتدر يس له ان يرث ملكه . فسي طغلاً عربياً حسناً . وحمل
 امر ربيته وتنقيبه الى اناس يهدونه تهذيباً يليق بملي املاك كانه ابن له .
 ثم اوصى قبل وفاته انه اذا شا ذلك الطفل وتخلو باحلاق حميدة له
 حق باحلاس على كرسى ملكه والقام مقامه في ولايته والا فان بقي
 على ما هو عليه من البذرة وفساطحة الطبع فيطرد كذكر الجميل
 وعديم الوفاء . ومذنب ايضاً ويؤخر به ان يرحل الى بلاد غريبة بعناية
 العار والهموم . فادهم نجد جد امهذين صدراً بل ذهب سدى ولم

يقتس بحسن تربيتهم بل كل السامع يرأى أمياً الأدب وغير متمك
ببرى الفضيلة حكم عليه من ارباب الدولة بتوجب وصية الملك فخط عن
الكرسي اسوي ورجل عن وطنه يتضي حياته في نوى عربة

فهل من عار افظع واهانة اقصى من هذا العار والاهانة اعني به فقد
الملكة والامر في القرية . ان عار اسجي المحكوم عليه بالخلود في
جهنم لا عظم من ذلك وافظع جداً لان الله نسله من هاوية الموت
وصيره ابناً له بالدخيرة وعقد معه ميثاقاً وأوعز اليه ان يحفظ وصاياه
تلك ملكي السماوي ولا فان كنت ميثاقك وخانت اوامري
اخضت ميثاقي وحكمت عليك بمتاع جهنمي . فابالي بهذا ولا عبا بل
تعدى شرائع الملك احسن اليه وارادى تعذيبه ومرشديه اعني بهم ملاكه
الحارس والسبعين الروحانيين الرسوليين . فمن احل ذلك يحكم عليه في
ساعة الموت ان يحط عن الملك اسوي ويلقى دحوراً في هاوية جهنم
خالداً فيها . وهل من عار اعظم من هذا

ولما كل هذا العار لجسم ادياً على الابد تحتقره الشياطين وكل
سكان السماء والحجيم . محتسبه رجلاً عاصياً متمرداً على ملكه وخالفه
ومخلصه وعلى وجه انواع هذا العار القطيع وسياه كما كان يصنع قديماً
بالعبد الالاق من بيت سيده . والى هذا اشار اشعيا النبي بقوله وجوههم
وجوه محرقة (اشعيا ١٣ : ٨)

الفصل الثامن

في عدائي الحكيم الثالث رابع وهم الذين من السماء
والسجين في العجيم

اعتبر الآن عذاباً آخر مؤلماً جداً بتعذب به الهالك وهو عذاب
الذي وقد كان الرومان يعدون انبي عذاباً بهظاً وكان لا يتدب به الا
من انتم اثماً ثقيلاً . ولدنك ما دام اوميد يوس اشاعر منفياً من رومة لم
يرل حزناً ياكياً . وشيشرون حين رجع من نفيه احتسب يوم رجوعه
الى وطنه كيوم دخوله الاول في العالم . وكان فرحة في ذلك اليوم
يضاهي فرح من تسلط على العالم بأسره ولترط سرورده هتف قائلاً
ما أعظم بها . رومة وتملكة ايديها اكثر شعبا ما انهيح اراضيها
ما انخر مدنها ما اكس نفس الرومانيين وأرق أخلاقهم . فان كان
الانسان يجد مثل هذا الفرق بين مدينة ومدينة وبين سكان وسكان
ويحصل على ما علمت من الضيق والتوجع فيسألفه ما هو أحب لديه
واشهى لسكنائه . فكم بتعذب الهالكون اذا علموا ما بين السماء والعجيم
من البؤس والخلاف . وخبروا ما الفرق بين اسكني في وطن الاحياء
مسكن القديسين حيث يدوم السلام والمحبة والسرور حيث كل شيء
يسبح وينبج حيث تدوي سرمد اصوات التهليل وبين اسكني في
مقر الهلاك الاندي مسكن الشياطين حيث المذاب والرجز والحر
والتمصر والمويل . اب اليي والملاك داود كان يحزن حزناً مر الشحوص .

عن وطنه واقامته بين البربرة وتلانيه عن تابوت العهد (١١٩ ١٥).
وهكذا الشعب الاسرائيلي لما نفي الى بابل لم يرج مدفا الدموع نحيبة.
وقد حكم اسكندر الملك على كاي سيدوس افرط الصرامة واشد العقاب
واقساوة لما امر بان تقطع اذناه وانه وشقناه ونجس مع كلب في قفص.
فلقد كل يمتني اهل الكور ان يسحقوا مع كلاب فقط بل مع الاسد
والمحورة ايضاً. وقد استبسط اهل مملكة البابون في القرب عابر سداً
نسيجين لم ير ولم يسمع بمثله قط. فاهم كانوا يعدوهم بحشب من
ارجلهم منكسين محذرين الى نصف اجسادهم في مهادوية نفوح منها
ثلاثة كريمة مميته وضمها كل نوع من اصفادع والمقارب وما صاهاها من
الحشرات. والسكى بين هذه الحيوانات لا يوازي عذاب لسكى بين
التنانين الجهنمية. وبما اكثر الدين هم في هذه المهادوية احمية عارفين
لا الى نصف اجسادهم فقط بل بكل اجسادهم. ان لرومان كانوا
يعذبون من قتل والديه عذاباً رهيباً يرهبوا به الاولاد الحملة ويصدوهم
عن هذا الاثم الجسيم. فكانوا يضمون من قتل اباه او امه في حوالق
مع ديك وسعدا وحية. فمن ذا لا يرتحف فرحاً من جهنم. حيث
يسخن الخاطئ مع جميع الارواح الشريرة. والحال انه ما من احد يطبق
السكى في مكان يظهر فيه شع غيب الى مفرج. فهاذ تكون السكى في
الحفرة الجهنمية حيث كل الارواح الخبيثة. وليس من يرضى بان
يسكن في محلة فيها ممتو بضاعون وتحقق بهما جيران اشرار. وهذا اذا

دام تيمستوكليس الفيلسوف ان يبيع داره اوصى السادي ان يمدح
 حيرته باهم الناس فضلاً صالحون. وكيف تشتري نحن جهنم ثم جريل
 نحن انفسنا الناطقة نمسكن بين جيران اردياء اشرار. حتى ان الالباء ان
 وجدوا هناك مع ولادهم هربوا من السكنى معهم نفوراً كما سيتصح
 من خبر الاتي

قد ذكر في كتاب الباتير يكون ان رجلاً كان له ابنان. وكان يدين
 في الربا. مع ولديه. فاتفق يوماً ان سمع أحد ابنيه عظة نفيسة في بيار شر
 خطيئة الربا. فانتبه لذاته وتاب تائباً عن خطيئته. واخذ يصيح أمه واخاه
 ويختمها على التوبة وترك هذا الامر المهلك. وان يردا لناس ما ربحاه
 ظناً. فلم يتصحوا ولا ارتدعا عن هذه الخطيئة. فذلك بايهما وذهب
 الى البرية فانضوى تحت راية رهبان صالحين. وبعد مدة مات ابوه
 واخوه ولم يتوبا عن خطيئتهما. فاذا علم بذلك الراهب البار. استخوز
 عليه حرب عظيم خوفاً عليهما من الهلاك لعدم توبتهما. فاحد يطلب الى
 السيد المسيح ان يكشف له عن حالهما. وفيما كان مرة يصلي ويتوسل الى
 الله بذلك ظهر له ملاك اقتاده بيده الى قمة جبل عالٍ وراه هاوية
 عميقة جداً مملوءة نارا فسمع صراخاً مريعاً منبعثاً منها. ففكرسها وادأ ابوه
 ملق في هذه النار يتلظى وقوداً فيها. ثم رأى اخاه بحال من غرق في
 البحر يطفو نارة على وجه ذلك البحر الناري ويفرق اخرى. وسمعه يقول
 لايه لتكن ملعوناً الى الابد يا باسقى لانك هبكتي باكتسابك لي مالا

كان محرماً علينا. اما ابوه فكان يحبه فائلاً بل لكن انت ملعوناً يا بها
الابن الخبيث. لانني من اجلك ولكي اصيرك عبداً علمت ما افنيتني في الى
الهلاك. فبعد ان سمع الراهب هذا جيداً وابصر حالها حلياً توارت الرؤيا
فرجع الى دير خائفاً. وفاق فيه ممارساً اعمال التوبة الشاقة الى يوم
وفاته. (اه)

لمري ان هذا مخالف جداً لحال مني العاني لانه في كل منفي
بعيد عن الوطن اذا التقى الاقرباء تهادوا واجبات السلام وشعار
التزيات الوافرة وسر بعضهم بشاهدة نص. بل ان الاعداء انفسهم
يسلم بعضهم بعضاً في المنفى ويصطحبون كما جرت عادة. فاما في المنفى
الجهنمي فان الاعداء والافارب ينقض بعضهم بعضاً ويحاصر كل
مهم من قبل قريبه ورفيقه حراً مميت

وضع الى ذلك ان المنفيين في المنفى الجهنمي لا حيلة لهم ولا
حرية ولا سبيل الى ان يعملوا ما يريدون وفي هذا العالم في مدة نفيم
وغرتهم فلم ان يفعلوا ما شاؤوا. لان هذا المنفى اعني به المنفى الجهنمي
سجن ايضاً. ومضلاً عن انه سجن سفلي نحن متن في الغاية فلهاكون
فيه ملتصقون باحساد ملتبة وصورهم بشعة مرهبة بقدر خطاياهم. ثم
عقوب الديونة العامة تحزم اجسادهم بعضها ببعض ويلتقون هكذا
بعضهم على بعض ويداسون ويمصرون كالغلب في المعصرة. فحقاً ان
العذاب الذي به عذب ثلاثة زهاد يسوعيون في مدينة ماستريك

الحزب بل المساواة اذ ان الاذاتقة شدوا ايديهم وارجلهم بأ-اور من دسها
 ابر حديدته مرهبة اذا تحركوا انحسرتهم نحاً حاداً. ثم صرموا نار احوهم
 ليحترقوا. فكان حالهم في استيلاهم هذا حال من اذا تحرك ترقق
 واداسكن تحرق. ودا يسكر اذا عذب الله الكيين في جهنم حيث
 يحترقون ويستحيل عليهم الحرك. ومادا يقول عن تناله اسحق الفير
 خمسة المدة منه ومن الاله اذ السكاه فيه

قد ذكر في التورنجه في احدى مدن فرنسا قُر رجل في دوس
 بشكل معارة ووسع على بانه محرم ثم بعد ايام قليلة دفعوا ذلك المحر يدفوا
 رجلاً آخر قوي حديثاً فاعذر الى معاره رجل يقبل جنة لمدفون. فم
 يقتنم راسحه الخنة حتى سقط على الارض ميتاً. ون كانت جنة واحدة
 تبعث مثل هذه الرنحة الخينة وية تناله تبعث من اجساد في اسوا
 حال منها ولا يحصى عددها. وذكر عن عارلين لظالم الحائر انه شاد
 حبوساً مختلفة صور يعذب فيها المسجونين بفسور العذاب منها ضيق
 اسكان وثقل الاوثاق وتنونه الخشب المرمية هلك. حتى قيل عن ذلك
 المسكان ان الموتى فيه يقتلون الاحياء

وقد احترف فيكتور اموخ في رويته عن العذابات التي عذب بها بنديون
 الارويسون الشهداء. لقديسين قال وكان أشد هذه العذابات جمعها
 ثمانية اسكن وكان عدد المسجونين فيه اربعة الاف وتسع مائة وتسعين رجلاً.
 وكانوا الضيقة السجن يلتوهم فيه بعضاً على بعض ويضططوهم صعط القمع

في الكيل . فمن ثم كان يصدر عنهم وعما تقذفه لطيفة وعن حشث الذين
يموتون هناك ثمانية حيثة تقوى كل عقاب . ولما مال احر في سخن في بلاد
ارابون موقعة على هه جبل وعرضه ستة عشر قدماً في علواً اثني عشر قدماً
وطول اربعة وعشرين قدماً . وشكله شكل قنص لان حيطانه من احشاب
متفرق بعضها عن بعض بعرض اصعين وسقعه من قريميد فيقاسي
اسجوبون فيه حر الصيف وبرد الشتاء . ففي الصيف يذوبون من حر
شمس وفي الشتاء ييبسون من شدة البرد . لان الحراس المحيطين
بهذا السجن لا يأذون لسجونيين باثواب تقيمهم شر البرد . فيه طرح الانبا
كارلوس سنيولا الراهب اليسوعي الشريف الاصل وغيره من رهباننا
ومن رهبانية القديس دومينيكوس واقديس فرنسيس . وكانوا زهاء
ثلثين راهباً ومكثوا فيه اربع سنين عراة مضيقاً عليهم لم يكن لهم
حيث يمدون ارجلهم وكان صومهم متصلاً وصارماً جداً . وكانوا لا
يعطون الا ما يدرأ عنهم شر الموت لا ما يسد جوعهم . وقد كان ما اكلمهم
الاعتيادي قليلاً من الارز الاسود العتيق العفن مطبوخاً بالماء فقط
ومشرهم ماء مغلي بالحشائش المرة المالحه . الا ان عذابهم الاعظم كان
افراط نسيان السجن وكان الحراس لا يدعون هؤلاء الشهداء ان يخرجوا
من السجن لاجل قضاء حاجاتهم ولا ان يزعوا عنهم قصاصهم وثيابهم
حتى يهاؤا قتلًا يرعى احسادهم . وكثر في السجن القمل والدود والحشرات
المتنوعة . فكان هؤلاء الشهداء يطبقون بعذاب شديد والم قاس ما

تطبيقه الاموات بغير ألم . وكانت اجسادهم مرعى الديد والحشرات .
 في طينك يا صاح في ما فاساه عبيد الله في هذا السجن مدة اربع سنين .
 محققاً لقد تم فيهم قول الرسول اني اموت كل يوم (١ كور ١٥ : ٣١) .
 لانهم كانوا يموتون كل يوم شيئاً شيناً موتاً متصلاً مستطيلاً من الحر
 والبرد والجوع والمرض والتآفة وغير ذلك . الى ان اخرجوا من السجن
 ودمعوا طعاماً للنار واحرقوا رويداً رويداً في سب الف وست مائة واثنين
 وعشرين

وليس هذا السجن شيئاً في سجن الهاالكين فيس فيه نار محرقة .
 اما السجن الجهنمي فار ملتبة دواماً . هنا يرجو المسجونون الخلاص
 والنجاة . وثم وليس رجاء . هنا يعطى المسجونون قليلاً من الماء كل والمشراب .
 وثم لا يسد جوع الهاالكين الكلي بكسرة خبز ولا يطفأ عطشهم امديب
 بقطرة ماء . مهده حال شقاء الارض السقطة الأسفة التي لا تنبت الا
 شوك الاوجاع وتحفظ البلايا والالام

الفصل التاسع

في عداي الهاالكين الخامس وسادس وهم عذاب الاسر

وعذاب الجسد في الجحيم

كان الاسر عند الرومان عذاباً شديداً . لانه كان عندهم عصابة
 الموت نفسه . ولذلك كان ارميا النبي ينوح على اورشليم بعويل مذرئاً
 دمعاً هتوتاً . لان هذه المدينة التي كانت أم المدن والاقابيم اضمحت تحت

وق الاسر تؤدي الخرح . وبأي نوح وبكاء يحجب ان نرقي اسر المسيحي
 الذي بعد ان كان وريثا للملك السموي أمسى أسيرا للشيطان وأهلاً
 بالعذابات الجهنمية المؤبدة . ملتمساً بان يؤدي جزية اسره بكل اعضاء
 جسده وحواشيه وقواه . فلتأملن يسيراً ما أشرس الشيطان واصرمه نحو
 الذين ليسوا تحت اسره . كيف استعمل ما باح له الله من الادن في بلا .
 ايوب ابار . فرى انه ضربه ضربة شديدة أصبح بها جسده جرحاً
 واحداً داد وتقوح . وجعل فرشه مزيلة منته كل الصديق جالساً
 عليها مجرد عن جسده الدود والتعب مخرفة . حتى لم يبق له من لحمه
 الا قليل في شفته ليكنه اطلق بهما . وكان يريد على الامه واوجاعه
 ألماً اخر فانه كان يمثل له في الدليل الذي اتما جعل لراحة الانسان من
 الاشباع ما يربح ويخيف . وبلغ في الثانة وخبث الرائحة مبيتاً عظيماً
 حتى عادت امرته لا تستطيع ان تحمل الرائحة الصادرة من احشائه بنفثه
 ونفثه . ولما عاده ثلثة من اصدقائه يفتقدونه ويمرّونه في بلواه وشاهدوا
 ما شاهدوا من حاله شملهم التحير والانهال واللسوا غماً لا يستطيعون
 ان يفوهوا بكلمة (ايوب ٢ ١٣) . فوجد في ذلك اولاً ما يدل على انه
 ان كان الله سمح بان يدرك مثل هذا العذاب الاليم ايوب البار القديس
 زيادة لبره وخزياً للكلاب الرجيم . فعذاب المهالكين بعد الدينونة باذن
 الله عقاباً لانهم اعظم منه جداً . ورى ثانياً ما يثبت انه ان سام الشيطان
 ايوب الصديق شر العذاب حتى مناه بالبرص والخنه بالجراح . وغدا

حده جنة مستكرهة لم ير تطيرها قط . ودعا ذلك الكتاب المقدس
ضربة الهية ونسب الى الله ما فعله الشيطان كما سبب تعذيب الخلالد
للحماكم . فما اعظم ما يكون عذاب الخاطئ المأسور في جهنم اذا ارسل
الله عليه ثقل يده فيجس حساً من رحمة

هات الان تكلم عن عذاب الجلد . ونعني بذلك كل انواع
الضربات التي يتعذب بها المهالك في المحجم . وهذا قد كشفه الرب
لارميا النبي لما اراد قضياً من القضايا التي كان يضرب بها قديماً المذنبين
فابصر النبي يقرب هذا القضيبة قدراً موهودة . دليلاً على ان ضربات
العدل الالهى تأخذ ملأها في نار جهنم الابدية . غير ان هذه الضربات
لا تكون كضربات قضبان من خشب . بل تكون اقوى واثقل من
ضربات المطارق الحديدية . ولهذا قال الحكميم الحكم معد
للسهرئين والمطارق تطرق اجساد الجهال (أمثال ١٩ : ٢٩) . واحسن
اذ دعا المهالكين جهالاً . لانهم لم يشتروا السماء المسومة لهم من الله
بثمن رخيص . بل تساقطوا في دركات جهنم الخالدة من اجل لذة وقتية .
ولا يهطل على المهالك طوفان العذابات فقط . بل يتعذب كل حص
عذاباً خصوصياً ايضاً . فالعين تتعذب بنار تحرق حدقتها والقوة الباصرة
تعاقب بالاشباح المريضة والحالات المفرقة

وفي هذا ذكر عن راهب انه لما ناهز الموت ابصر شياطين سمحين
يرعي المنظر فتأثر في نفسه من الخوف ما افقده الصواب فصرخ

قائلاً لكن ملعونة تلك الساعة التي فيها دخلت الرهبانية . ثم سكت قليلاً
ثم قال بوجه شوش وصوت خافت . لئلا يمكن مباركة الساعة التي دخلت
فيها هذه الرهبانية ولئلا يمكن مباركة مريم العذراء التي احببتها دائماً من كل
قلبي . فانه هش الرهبان المحققين به . وشرعوا يتكرون في سبب ذلك
ويصلون عليه . فقال لهم الراهب لا تتجربوا يا اخوتي من سحبي لان
المنظر الذي رايته لم أعب جداً . حتى انني اختار القرار في نار ملهبة مستغرقاً
في رصاص مذاب الى انتهاء العالم ولا ابصر ما ابصرته ايضاً . فان كان
منظر شيطانين اراع رجلاً فاصلاً فما يكون جزع من يبصر الوفاً وربوات
من الشياطين كل مهم ادهب وارعب من رفيقه وجميعهم مستعدون
برجر كلبي الى عذاب الخطاة

انه لما قامل القديس غريغور يوس قول ايوب الصديق هذاه ارض
الشقاء . حيث الخوف الدائم قال هكذا كيف يمكن ان يوجد خوف
حيث تقامي اعظم الأوجاع لان الوجع يصدر من شيء حاضر والخوف
خاص بالمستقبل . فما الذي يخاف منه من قد حصل على اقصى حدود
الشقاء . الا انه لسبب ان حال من يكون حصل على شقاء عظيم جداً
حتى يشافي كل خوف . يكون بعد حاصلاً على خير ما ولاه ليس في
همهم خيراً اصلاً فلهذا كل شقاء لها كين لا ينفي الخوف . لكن كما
ان الموت الابدي يمت الهاكين مع بقائهم احياء لذوقوا مرارة الموت
في حياتهم المؤبدة كذلك العذاب يؤتهم ويرعبهم معاً . ثم ان عقاب

النظر يكون مؤلماً جداً لأن الأب يرى ابنه معذباً والابن أمه والابن اخته
والصديق صديقه

خبرنا يوسفوس المؤرخ عن اسكندر بن يركانوس . انه رام يوماً
ان يعذب قوماً من الخرمين عذاباً صارماً ثم افسر منهم ثمانئة رجل على
خشب ثم قيل ان يموتوا شق ولأدهم ونساءهم امام اعينهم وكان
قصده بذلك الايعيتهم موتاً واحداً بل ان يميت كلاً منهم الف مائة
بمشاهدتهم هذا المنظر الميئ . وقد يتعذب بأربع نوع من قبل هذه
المشاهدة أولئك الذين كل بعضهم لبعض سبب الخطيئة وحجر العثرة
والشك وصف الى ذلك الظلام المريع الذي تقتر به هذه المشاهدة
المحرقة قال المعلم نيقولاوس الليراي ان الظلام المصري دعي في
الكتاب لمقدس مخيفاً لأن المصريين كانوا يبصرون في هذا الظلام
خيالات واشباحاً مرعبة فتلك هي طينة جهنم . فإها تعذب اعين الهالكين
بمناظر مرعبة وادلهام ليلية أبدية

فاما الآذان فما حلا عذاب النار التي تنفذها تعذب ايضاً بأصوات
رعود مهيبة وضجج صراخ الهالكين وانتهابهم وندبهم ولعناتهم
وتجاذيفهم . قد ذكر عن سيلا والي رومة انه أمر يوماً بقتل ستة الاف رجل
على النوع الاتي . وهو انه أمر بان يأوئهم الى ميدان قرب من ديوانه
وان تلتئم جميع القضاة والاعوان في هيكل قريب من ذلك الميدان لكي
يسكلم معهم . وقد كان أوصى جنوده أن اذا أوشكت أن افتتح الخطاب

فأهجموا حالاً بسرعة عظيمة على أولئك المجتمعين في الميدان واقتلواهم جميعاً شرقتلهم . ففما فعلوا حينئذ امرهم وكان هو يخاطب اهل الدولة لم يكن احد يسمع من خطابه كلمة واحدة وذلك لاجل شدة صراخ الشعب الذي وثت عليه الحنود والجزيل بكانهم وعويهم . فإذ يكون اذا عويل المالكين ونوحهم

هكذا حاسة الشتم تتعذب تعذيباً خصوصياً بواسطة الروائح الممتلئة . ولعمري ان مكسنتيوس الملك قد اخترع عذاباً جزيل القساوة جداً . لانه كما ذكر هيرجيليوس كان يربط جسد انسان ميت متين مع جسد انسان حي ويتركهما هكذا الى ان يموت الحي من ثناء جسد الميت . والحال ان القديس بوناونتورا يقول . انه لو أخرج من جهنم جسد واحد من أجساد المالكين ووضع على وجه الارض لفست البسيطة بأسرها من ثناء رائحته . فإذ يكون اذا عذاب المالك المتحد الى الان بجسده المتصف بهذه الثناء والموجود فيما بين اجساد أخر كثيرة منتنة نظيره . قال اشعيا النبي قتلاهم مطرحون يقوح النار من جيفهم (اشعيا ٣٤ . ٣)

وماد الاقول عن عذاب الناس الذي به مخطئ . على انواع عديدة بالتخليق والتحرير والبيعة والكذب وغير ذلك . فذلك تكون حجة التناين وسم الافاعي الذي لا شفاء له خمر المالكين . ولعمري ان عذاب الجوع والعطش الذي يعذب به هذا العضو عظيم جداً . قال كينثيانياوس

النصيح ان الجوع هو عذاب عظيم جداً حتى ان بلية الحرب او الطاعون بالنسبة اليه هي سعادة لابلية . وقد رأينا جوع ايام قليلة قد كره الناس على اكل لحوم الكلاب والقطط والخيول والحيت والضفادع حتى الرمل ايضا . بل اضطر الالهات الى اكل لحم اولادهن . فإذا يكون اذا الجوع والعطش الابدي

ثم ان النبي بما انه اكثر استمالة من بقية الخواس . فيتعذب اكثر منها بالنار التي تاكل دائماً ولا تنفي ابداً . فمن لا يرتجف فرقا من مجرد ذكر ما صنع فالريس وغيره من المفتصين الذين كانوا يلقون الناسا احياء عرة في بطن ثور من نحاس محمي ليحترقوا فيه . لان هذا العذاب لا اعتدله بالعسبة الى النار الهيمية التي تحرق حتى ما في الباطل وظهر ما في الخارج على حد سواء . وفي هذا خبرنا الانبا بطرس المكرم رئيس دير كلوبي عن كاهن شرير . انه لما اشرف على الموت طهر له شيطان شراب حذاوين ايسيهما مقلاة وق لاله انا سنقليك بهذه في جهنم . واذا كان يحاطبانه هذا الكلام نظارت نقطة من الزيت الذي في المقلاة ووقعت على يد نفس المريض وفي الحال تذنت اللحم الى العظام . وشلت يده وتذنت من اللحم فاندهل الحاضرون من قوة التماس الهيمية . ولما قال يقول لاوس نصص انه لو يكوم كل ما في العالم من الحطب واضرمت فيه ليران حتى يصير جذوة واحدة لم تكن شدة حرارته توارى شرارة واحدة من نار جهنم

وقد كتب ايضا الانبا كيصاريوس . انه كان لثاء دوريكوس
اسقف مدينة ماستريات حادم يدعى يبيرباش بلغ متعاً عظيماً من
الحبث وعانى في اختلاف السيئات حتى عهد الى الشيطان في نفسه اذا
ساعدهُ النعمين في ادراك ثأره من عدوه . فلم تقض سنين قلائل حتى
ادركه مرض اذنه وادياه من موت فعرض له بحرا فحبل له انه مات .
لانه في هذه الحال خطف بالروح وغرق في بحيرة نار متاججة . فاناه
ملك وقال له انظر ما اعد الله لذين يخدمون الشيطان . فان رحمتك وردك
حيّاً فهل تصرف بقية ايامك في اعمال التوبة الشاقة . فاحاه المسكين
ونابا ابي ارضى . حتمال اشق ما في عالم لا نحو من حال هذا الشقا .
وراف الله به وبعثه من عشيه وانه من مرصه فشرع يمارس اصعب
التقشفات فكان يعيش حافياً على الاشوك والحجارة الخدة والدم يحري
من افداه على لدوام . وكان يقتصر على اليسير من الخبز والخمر ووع
كل ماله على المساكين . فاستغرب كثيرون صرامة هذه اسيرة
واشاروا اليه بان ينتهي عنه قليلاً . اما هو فاحلهم لا تسبحوا من صرامة
توبتي لاني فاسيت اكثر من ذلك في جهنم ولو احترتم ما اختبرته لما
استمرتم شدة قوسي . ثم كان يقص عليهم عن عظيمة نار جهنم فانابا
انه لو قطعت كل اشجار العالم وحطب واصرم نارا واحدة لا اخترت
ان احترق في هذه امار الى يوم لديونة ولا ان احترق ساعة واحدة في
نار جهنم التي قد احيرت شديداً . فليتأمل هذا المؤمن الذي اجترح منكراً

وليقل في كل ضيقة وبلية اني لقد استحققت هذا اشد من ذلك
وليس لي ان اشكو مما اصابني

ولان الكتاب المقدس يدعوهم بحيرة مملوءة نارا فلنوردها حبرا
دوي عن القديس طرس دامياوس نفهم به على نوع ما عظيمة هذا
العذاب قال كان في بلاد لومبارديا رجل درب في سلوكه مع الناس
حسن الخطاب يحب ان يتعرف الى الجميع ويصادق كل احد ويدخل
في كل امر. وكانت تدابير واموره سمح غائبا بحسن درة عقله وان اتفق
الا يتم امر على مراده فكان يصحبه بسهولة وسرعة. واقول على الاصلاق
والاجمال انه كان خبيرا بامور السياسة والدراية وكان مخرجا فيها
نتهى اليه. وابن بلمت به حكمته وافضت به درايته انه مات اخيرا
ونشبت فيه برأش لنور ولم تقه منها دربه ولم تكفه شر غائلتها. فدفن
جسده في الكنيسة ونفسه انتقلت الى حيث اراد الله. غير انه اتفق
يوما ان راهبا ورعا كان مائلا امام الله يصلي فرأى بالروح بحيرة نار كان
لهيها يبلغ الى السماء وشرارها يتطاير بكثرة مع صراخ وصيح حتى ان من
كان يرى او يسمع ذلك ياخذ الخوف والروع. فاعين الراهب القديس
النظر في تلك الحيرة واداد له الخطيب القصص والعلل الدرب يعوم
فيها شرقا وغربا وحيات وتنانين مرهة على حافة هذه الحيرة تحرق بها
من كل جهة وتحول منه وبين الخروح. فكان ذلك المكود حفظه
بولول ويسوح بين تلك الحيوانات السامة وفي وسط تلك النار الاكلة

ممرعاً جهده بالوصول الى حافة البحيرة لانه اذ كل يدنو منها يشرب
اليه ثنين عظيم فانغراً فاه ليتلعه . فيرتد في الحال متقهقراً ويذهب الى
حافة اخرى وددنا صده عنها ناكساً لما اصابه أولاً . فلي هذه الحال كان
يجول في البحيرة المحرقة ذاهباً من حافة الى اخرى متمماً له منجى فلم
يجد كذلك لاصد له عن نيرانها ولا براح كذلك يكون الى الابد .
وبعدل 'حكم عليه كما يقول القديس المذكور وبمدل القضاء على من كان
في زمن حياته يحسن درابته وحيله العالمية ينحو من كل مصيبة ولا حرج
على ان تسد دونه سبل الفرار من هذه البحيرة المحرقة

ثم اعتزمكم يتعذب لها لكون في قوى نفسها . واولاً في مخيلتهم
التي تسعى في تعذيب بقية الحواس . فقد اخبرنا اسكندر ترليانوس عن
امرأة كانت تظوي ليلها ونهارها حريته ناكية لاسها توهمت وخيل اليها انها
ابتلعت حية وكان يصور لها وهمها ان الحية تنزق احشاءها . فمادايكون
تصور انها الكين الحقيقي ونحو الضمير المقطع قلوبهم . وبلايا قوى النفس
فتكون أشد وأمر . وكان الاداة تميز من البغضاء الاندية لذاتها وللخلاق
ولخالقها ايضاً . وتشر بغيره ورجز لا يطاق وتتنحس كل عواطفها . لاسها
تطاب ما لا يتيسر والله ويدركها اليأس من جيل مرغوباتها . قال القديس
رزقونوس هل من عذاب أعظم من عذاب من يشتهي ما لا يصير ابداً .
ولا يريد اويكره ما سوف يكون دائماً . فالامل الذي من شأنه ان يسهل
على الفلاح احتمال الحر وبرد ويخفف على الحدي تمب اسهر والم

المحارحات وعلى المعترفين والشهداء الصوم والتميز وضربات
الجلادين وبقصارى الكلام الرجا الذي يذل صعب الامور ويرد العسير
يسيراً تفقده اهل الكون الى الابد . فيالغذيب من يحتمل هذه الاوجاع
القادحة من غير نفع ما اعظمه . وهو يعلم انه كان يقدر ان يرجع السعادة
الابدية باحتمال ما هو اقل منها جداً . لان الانسان يستطيع الان ان يرجع
بقرة صدر سعادة ابدية . اما في الحياة الاخرى فنش قالم بكل اعصائه
بالدار التي تحرق حتى اللب واعتراه جوع كلبي وعطش مذيبي ومسه
من اوجاع النفس والجسد ما يكابده في جهنم فلا ينفع بذلك شيئاً
ولا يخفي نفعاً . ولا يكون هذا جميعه كافياً لان يخفف عذاب الهالك ولو
تحويله من حمة الى اخرى لكنه يستمر على الدوام معذباً على حد سوى
والموت يهرب منه حياً بقول الكتاب المقدس . فهذا اما اليأس العظيم
الذي يكون اخر الخطاة المتحارين الحاحدين الان رحمة الله . ان جهنم
لمملوءة من الذين كانوا يترجون في حياتهم الا يسيطوا في دركاتها ومن
الذين قد قطع عنهم رحا . الخروح منها رحاهم السابق باهم لا يموتون في
حال الخطية . فماد الان رحاؤهم باطلاً ولحق بهم يأس مؤبد
وتكون اقوة الذاكرة داعية لعذاب الهالك عذاباً شديداً . لان كل
ما عمله من الخير او الشر فعله عقاب منه . اما عقاب الخير الذي صنع فمن
حصراته ثوابه واما الشر الذي عمل فلانه يكافأ عليه . سوف يذكر المثلث
الشقاوه انه كان يقدر ان يرجع السماء مراراً ولم يشاء بل اختار جهنم .

فيقول لنفسه كم مرة كان في طافتي ان أصلي ووصلت عليه الملائكة الباطلة
 ولذلك انا تعذب الان . كم مرة وحب علي ان اصوم ورعيتي شهوة الخمر
 الى المآكل ولذلك انا تعذب الان . كم مرة بذرت في سبيل الله ما
 كان يجب ان اصرفه في سبيل الصدقة وكان ذلك داعية لعذابي الان .
 كم حرصني اساس على مصالحه عدوي ومسائته وبقيت مصراً على الانتقام
 منه حافظاً له الصفات ومن اجل ذلك أقاسي مر العذاب . كم وجدت
 سبيلاً الى الصبر فملت عنه الى بث سم الحلق وانضب بعث في الى
 حيث انا من العذاب . كم تيسر لي ان امارس افعال الانضاع واظهر القربي
 حبي وأخلص له ودي . واستحبت عليه التكبر والتشاغرها . نداء الجوع
 كاس العقوبة والالام . كم تمكنت من محاولة الاسرار المبررة فأبيت ان
 اتحرل عن خطر الخطاء . فوقعت في موقع العذاب لم تعوزني قط وسيلة
 لاعبد ربي ولم تعطني فرصة ولم افرصها ولذلك انا تعذب الان . ثم
 يقول الهالك في نفسه تعلم الان ايها الشقي الملعون انك خسرت السماء
 لانك آثرت التعم ولو أردت لربحت السمادة الابدية وكنت الان بين
 أجواق الملكة وحررت فوز الافرح الدائمة ومخلصك خيرك فيها ورغبك
 اليها وخصصك الى اكتسابها . وانت ايها القبي الملعون فصدت
 عن السماء وتخيرت خضرة الدمن بل المزبلة . فالعذاب فيك ولك لان
 عذاب أبد تكفر به عن حريمتك

اما العقل فيتعذب بافكار مؤلمة محزنة جداً . فلا يلقى حينئذ

ارسطو تاليس في حكمته لده ولا سيكا في فلسفته وكاهة ولا
جالينوس في عذوبة طيبه ولا يستحسن من سواهم من العلماء في علومهم
ومعارفهم طرفة . وقد جاء في الاخبار انه ظهر لاسقف من اساقفة
باريس معلم ماهر كان قد هلك في جهنم . فسأله الاسقف هل بقي
لك شيء من العلوم في جهنم فاجابه اشقي اني لست اعلم الا ان غير ثلاثة
اشياء . اولها انه قد قضى علي حتماً بالهلاك الالدي . ثانيها ان هذا الحكم
لا يرد ولا يرجع فيه . ثالثها اني خرت مشاهدة الله الى الابد طمأناني
ملذات العالم والجسد

ويتولد في هذه القوة العقلية شيء يعرف بدود الضمير ويكون
تغذيه اشد واقسى من عذاب النار . وقد ذكره سيدنا يسوع المسيح
ثلاث مرات في اواخر احدى عطاياه معنأ ان دودهم اي دود الهالكين
لا يموت ونارهم لا تنفأ . قال القديس اعقينيوس عن الضمير في هذه
الحياه انه مما يحرق النفس ويؤلمها ما يسومها شر العذاب وهو ضمير من
تدنس بالخطية . لان لذات نفسه محبة لعذاب شديد لو اكره أب
على الحضور حيث يشق ابنه لكان ذلك عذاباً عظيماً له . واعظم منه
ان يكون جلاده واراً واقصى من هذا وذلك ان اضطر الى ان يشق على
باب بيته ويبقى هكذا امامه مشوقاً لكي يشهد هذا المنظر المحزن الميت
كلما دخل وخرج . ويكون هذا الحكم في غاية من القساوة المقرطة
لو اضطر الاب الى ان يشق نفسه او يمزق لحائه باسنانه او يميزها

بأضارِهِ . فهذا إشارٌ الضيّر أشدّ لآل به تترقى الخطاة ذواتهم في النيران
المؤبدة . ويد المهم هذا حشدُهم الذين اكتسبوا الملك السّموي
بتعب وحيز بياهم قد خسروه لأجل حير ارضي دني اولدة وقتية .
هذه ذكر في السفر الالهى عن عبسوانه لما عرف ان يعقوب اخاه حارب كنه
ختلاً صاح صراحاً عظيماً وحمل رآر كالاسد من شدة ألم يأله . فإدا
يكون اذاً تخرج اها الكين ورجر يأسهم اذاروا ان الصديقين احسوا منهم
البركة وهم خسروها الى الابد لأجل مجرد عباونهم

الفصل العاشر

في عدائي هاتكين اساع وشمن ومم ثوت لآدي
والعذاب العادل للف

اعلم ان الكتاب المقدس يسمي اهلاك الابدي موتاً ثانياً . لان
هذا الموت الروحي يكون بعد الموت الاول الجسدي . وهذا الموت
الثاني يدرك النفس بعد فناء حياة الجسد وهو موت وحياة معاً وضعف
الاول لان فيه عذاب الموت آتد لا يروى . فكما انه ما من شر أعظم من
الموت كذلك ما من موت شر من هذا الموت الذي قال عنه القديس
اعستينوس . انه لا موت شر من موت لا يموت . وقال القديس
غريغوريوس ان موت الهالكين في جهنم لا يدركه موت . والانهاء
لديهم خالي عن الانتهاء . لان الموت هناك حي والانهاء يبتدى دائماً
ثم موت جهنم ضعف الاول لوجود موت المساة وموت العذاب

لأنه لا موت أشنع من موت النفس . وهو الخطيئة التي لا يغتفر إلا بشيئا .
 المالكون مضحين بها إلى الأبد وهم بالغور من الشر أشد مبيع ومن
 إشاعه أعظمها ما لا مثيل له وهو شاة مساة . لعمرى إن هذا الحال
 شر من عقاب النار . ثم بعد شر الخطيئة إن من ضروب العقاب ما هو
 أشد من جميعها وهو عقاب الخطيئة وما كانت جهنم عقاب الخطيئة
 كانت عقاباً أعظم من الموت بل هي الموت الأعظم والأشرف . فإلّا لعظم
 ارتفاع العدل الإلهي على العدل البشري . فإن عقاب الموت أعظم
 عقاب يوقه العدل البشري على بحر من . وإنما هذا أجل ما يتوق إليه
 المالكون ومعظم ما يتمناه من شجب خالد في جهنم . لأنه إن كان الخبير
 عن عقاب لا انتها له ولا روال لمن عوقب به يذهب السامع ويرعبه
 فما يكون مخبرته إلى الأبد

قد ذكر في خبر القديسة يديفيا المتول أنه اعتقدها في حين
 مرضها المستطيل الحبيب رجل كانسها ثانياً في نفسه من المساوى . والاثام
 ولما لم تكن ندامته كفاره عن ذنوبه فعمدت إليه القديسة بالوفاء عنه
 للعدل الإلهي بشرط أن يسخر ليلة واحدة كاملة راقداً على فراشه على
 جنبه الواحد من دون أن يتقلب إلى الآخر فتبسم ذلك وقال لها إن
 كانت هذه عقوبة خفاياي فإني فأنم فيها سرياً وباءً بفرح إلى يتيه .
 فلما كان المساء وحان وقت الرقاد أعذ فراشه ومهدته ثم اصمغ عليه كما شاء
 على جنبه فقامت مدة من الزمن حتى سؤلت له نفسه التحول من

جانب من آخر وحال له أنه لم يضطجع قط على فراش أخشن من ذلك
 فراش . فسأته جداً هذه الحال وضجر من المكث على جانب واحد .
 فأحد يخاطب دته قائلاً ما رب أعرجي هذا وما داعيه قلبي ولم
 يشق علي الرفاد على هذا فراش بغير نقاب فاللهاد وتير ناعم وأنا تسجج
 الحسم . ولا يوزني إلا التحول من جهة إلى أخرى . وهو دور كل الأمور
 فأدراكك كل سحس وأصبر على هذه الحالة إلى بعد . فتطير عن جفنه
 أساس فأحد يذكر الأبدية متروياً في أمها محطياً نفسه قائلاً ما هذا
 الأمر ألا تقدر أن تضجع على فراش بين ليلة واحدة ساكناً بل بعد صار
 الرفاد والراحة لذيث عذاباً . وكيف تكون ذلك إذا اضطرت إليه
 بيلتين أو ثلث ليال . لقد كنت تعدد موثابيل شر منه . فما أوهن قوتي وأقل
 اضطرابي فأنني اضطرب واتفق من أمر دور الطفيف . فماذا أصير إليه
 إذا عدت النوم أسابيع كثيرة أو بليت بدء المفاصل والحال اني
 عارف ومتحقق أنه قد أعد لي عذاب أعظم من ذلك عما لا يحد في جهنم
 وإليها تعضي في خطاياي العديدة هي فراش يهد لي هنالك وسوف
 ألتطى على حجر ملتهب ويكون لحافي الكبريت المتقد واستمر ملق هنالك على
 بساط من حجر متقد غير ليلة مدى الأبدية . ولا أقدر أن أنقلب جنباً
 لجنب إلى الأبد . فحي يا نفسي على إحسان سيرتي وإصلاح سيرتي
 وهما نعمة الله خالقي كذلك تروى وإطال الفكرة فتجت له رويته وقال
 ما قال وأصبح سيرته

وعدا العذابات المتقدم ذكرها عذاب يعادل الدب . ولهذا قيل في سفر الرؤيا (١٨ ١٧) . بقدر ما عجدت نفسها وتعمت كفاؤها عذاباً ونوحاً . وتسبباً لهما فيه نورد خبراً جريلاً الاعتبار مآله ان الله يعاقب بالدنوب في جهنم قدر جسامتها . انه قد ذكر الانبياء كالتبيراقي . انه في نواحي مملكة امسا كان هندي شجاع باسل وكان مولعاً في ركوب الخيل وكلفاً بسباقها في مضمار المباراة وكان متمرعاً في حماة الفسق والتهور . فبات موتاً شقياً وكان له امرأة سالكة في سواء السبيل سائرة في طريق التقوى والتورع فقتل بالروح يوماً الى حيث رأت زوجها كأنه لم يزل حياً في جسده . ومن ثم استدلت على شقاء حاله . لانها انصرت حوله جماً غفيراً من الشياطين وقد امرهم اركوبهم بان يلبسوا صيغهم الجديد ثوباً من حديد داخله اشواك حديدية مستنونة وحداك حاد . ثم بعد ذلك امرهم بان يضعوا على راسه خوذة حديدية ويستمروا بها بمسار طويل ينفذه من راسه الى رجليه . ثم يلقوا بفتقه رماً حديدياً ثقيلاً يرضض عظامه . فانحر الشياطين او امر اركوبهم بتدقيق واسراع . ثم قال لهم الاركون . ان هذا الرجل كان كلفاً يلهم ركوب الخيل والقراسة والاستحمام بحميم الماء واستنشاق الروائح الزكية والرقاد على الفرش الباعمة والتنعيم بالمعدات الدنسة فآتوه بما عندكم مما يناسب ذلك . فامسكته الشياطين وطرحوه في وسط لهب متقد . ثم بعد ان احترق هناك مدة اضخموه على فراش من حديد محمى عليه ضفدعة لها عين مرعبة جداً فامتدت

عليه وضمت اليها ضمًا شديدًا . فهذا ما رآته امرأته الفاصلة وما تأملته بحزن
لا يوصف طول أيام حياتها . فتخافن أذا من العدل الالهي ولتحققن
غاية التحقق ان ما اخطأنا به ها باعظم استداذ تعاقب به هناك باشد
عذاب

الفصل الحادي عشر

في القوائد النشئة عن تامل المذابات الالدية

ان جميع ما اوضحناه عن المذابات الجهنمية لاقل جدًا مما هي عليه
حقيقة لان بين الخير والاختبار تفاوتًا وشتان ما بين الخير والمحبة . انه لما
بلغ المكابيين خبر تدنيس الهيكل وهدمه حزنوا وبكوا وازدادوا حزنًا
ونوحًا وبكاء لما عاينوه مهدومًا حاويًا على عروش ومذبحة مدنس وابوابه
مكسرة جذأء . فاخذوا يمزقون ثوابهم وينفقون شموهم ويذرون الرماد
على رؤوسهم وانظر حوا على الارض يتهدون الرفرات ويتنفسون الصعداء
وياننون انينا لا يقطعهم عراء . ويمكننا ان نجتني نفعًا جزيلًا من مجرد اعتبار
الامر اعتبارًا دقيقًا . فننحذر مشورة القديس برزردوس اسوة بعلنا ونحذر
الى جهنم ونحن احياء أخرى من ان نحذر اليها ونحن اموات . اما القوائد
التي يجب ان نجتنيها من تأمل هذه المذابات الحالدة فمحس على
الخصوص

واولاهما حجة عظمى لله تعالى واسداء الشكر الجزيل له عز وجل
بانه لم يبقا وقودًا في عذابات جهنم وان استوجباه مرارًا . قل لي يا صاح

ما فضلك على ربك وقد أخطأت اليه أضعاف ما أخطأ اليه كثير من
المهلكين وما مريتك عليهم حتى قصدك بحسن المعاملة والرحمة وعامل
أولئك بصرامة العدل . طوئش الله من وهذه جهنم أحد أولئك الأشقياء
المهلكين . ترى كيف كل يشكر احسان ربه ويبيعه موده له ويبرح حاله
ويحسن سيرته ما استطاع ويمارس رياضات التوبة الكثفة بنشاط جريئ .
وكيف كان يستخف باصمبها ويستعذب امرها . فان يفتك الله شر الهبوط
في جهنم ذلك مئة مئة أعظم جداً من ان تصادك منها بعد ان سقطت .
ودليله ان الدائن اذ اراعى مدينه ولم يلحق به هواناً ولم يودعه سجيناً وذهب
له ما له عليه رحمة رحمة جليلة . وان الحق به وعلاه بالقيود واداقه مر الجوع
وغليل العطش وسمع له بدينه قصده بحسن المعاملة ايضاً والرحمة الاولى
اعظم

القائدة الثانية التي تجنبها من تأمل المذابات الابدية هي الصبر
على مفض بلايا هذه الحياة احترازاً من أروا بلايا الحياة الاخرى
وعذاباتها . وهذا اشار اليه التمد الحبيب في الاصحاح الرابع عشر من جيبانه .
بعد ان قال ان دخار عذاب المهالكين يصعد الى دهر الداهرين
قال ها هنا صبر القديسين . وذلك لانهم اذ يتاملون ان جميع ضيقات
هذه الحياة تزول مع الزمن وان عذاب الحياة الزمعة يدوم الى دهر
الداهرين . لا يبالون بمشقات العالم بل يحترقون كل شدة زمية . وعليه
يحتنا الذهبي فنه على ان لا نشكو من الم بلوى زمية صبراً . والسبيل

اليه التامل في الرزية الآبدة واستشر ما تبلوه من حدير الشرور يصدقك
خبرك خبراً عن عظيمها . فان دخلت الحمام تستحم ووجدته في غاية من
الحرارة فاذكر حينئذ حرارة نار جهنم . واذا دهمتك حمى شديدة فوجه
فكرك الى اللهب السفلي وقل متاملاً ان كانت حرارة حمام او سخونة حمى
تضائقي هكذا فماذا تكون حالي اذا هبطت وقوداً في جهنم

الفائدة الثالثة الواجب تحصيلها من ذكر بلايا الحياة المارعة انما
الازدراء بجميع خيرات هذه الحياة . لانه ان دفعنا بعد موتنا ذكوة
للنيران المؤبدة فلا يعود لدينا كل ما في هذه الحياة الاًخياراً فأت ولا
غناها . لا زبلاً ولا كراماتها الاً هواناً ولا لذاتها الاً مرارة . طودريت
كيف انقضت حياة موريكيوس الملك وشهدت نبيه وامرأته قد دبجوا
نحراً انصب عينيه ثم دبج هو طوعاً لامر رجل خان شرير كان من لقيف
صدامه . انكث بلا ريب تقول هو ان كل ما ناله هذا الملك من العز
والمجد في مدة عشرين سنة باطل طلاً وان كان عذابه هذا رمزاً فقط
اد مات موت الصالحين . فان كان سموم يوم واحد يذهب بمتاع سعادة
عظمى استمرت عشرين عاماً فاي امر في حرز من سموم ابدية لا زول لعذابها
ولا حد لاتساعها . طو كنت ترى اليفابولس قتيلاً منخبطاً من فراش تنعماته
الرفيع الى اقدار بالوعة خائضاً في دمها اما كنت تعد سعادته شقاء
وغبطته بلاء . فما قولك اذا شاهدته الان ملقاً في جهنم غريقاً في بحيرة
كبريت تضيؤه ناره الى ابد الدهور تسومه الشياطين شر العذاب

وقابل نيك السفين اللتين قضاهما على سرير الملك بالابدية التي يعذب بها
والقائدة الرابعة ان ناملنا في العذابات الابدية نكتب باعن اسراف
الزمن عينا لانهلوا منه بطائل . فان في نامل ما يكابده الهالكون من
العذاب في جهنم بلا نفع داعيا اليه وباعثا عليه ومحرضا على الانتفاع من
الزمن . خبرنا بطرس رجينا لدوس عن راهب ورع كان يصلي واذا بعويل
ونواح طرق اذنيه فقال من الباكي هنا فقيل احد الهالكين . فقال
الراهب وما سبب عويلك وبكائك . قال الشقي ما يبكيني ويوغر قلبي
حرزا انما ذكر الزمن الذي اضعته سدى . واعلم ان مثل هذا الذكر
مجلبة للدمع المتور عندنا قوم الهالكين . فما اشقى حال الذين خسروا ابدية
سعيدة لاجل تضييعهم زما وجيزا . فلا تظن الان بفساد اللذة ما لا تقدر
فما بعد ان نصيحه بكفارة النوح والبكاء بل فاسقوا على ما فات واطرعو
السن ندما على ما اجترحت من السيئات انما الندم نافع الان حرزا ان
ان تندبوها في عذاب جهنم ضياعا وخسرا

خامسا ومن اخص النافع التي تعود علينا من ناملنا في العذابات
الجهنمية ان عقت الينا الخطيئة ونمقتها أشد المقت لانها مدرجة لداك
العذاب الجهني ومؤدية اليه . لست شعري هل من شر أعظم من شر
خطيئة وان خفيفة اذ ان احتمال عذاب ابد في نار مؤبدة لا يصح كفارة
عنها . ولما كان هذا المضمون لا يستوفي بقصير العبارة ولا يقتصر به على
الاجاز بل يستلزم قولاً مسهباً قصدنا ايراده في الفصل التالي

الفصل الثاني عشر

في عظم شر الخطية للميتة الميراثي الذي يهلك عن نعم السماء الأبدى
الى عذاب جهنم ليرمدي

فانعم يا صاحب النظر واعلم ان شر خطية مميتة تقترحها باسرع من
طرفة عين وتشتري بها شقاء ابداً لغاية في الشر وانقوت اذ انه يستوجب
عذاب جهنم المماثل الى ابد الابد . بل اجمع علما اللاهوت على ان هذه
العذابات الابدية نفسها ليست كهوى العقاب الحاطي ، ملياً بما اجتريح
وعلاوة بان وزر الخطية لاثقل من هذه الشرور الميراثية المحدودة فكان
عذاب الخطية طلالاً لها والخطية منزلة الجسم . ولذلك كان بين الخطية
الميتة وما يلحق صاحبها من المحن في جهنم تفاوت كما بين الانسان
وظله من التفاوت والتباعد . فالخطية اذا وحدها شر محض والاراء الجهنمية
بالنسبة اليها ليست الا بمنزلة ظل لضوء . ولما كانت هذه النار تحرق قضاء العدل
الالهى فلا سبيل الى تسببها شرّاً بل لنا ان ندعوها خيراً . وكما يستدل
على عظمة الاحقاد من ظلالها كذلك شر العذاب الجهنمي الذي هو كظل
الخطية يُشعر بعظم شرها . فان الخطية تلحق بالله عظيم الموان وقبح
الاحتقار ولا يخفى ان الاهانة بقدر فصل المهاب وسوءه فما تسمى المهاب
وتعالى شأنه تتحاسن الاهانة وبسبح الافتراء . فما كانت العزة الالهية
اللاحق بها احتقار الخطية غير متناهية كان الاحتقار اللاحق بها غير
متناه

ولعمري ان الالهة التي تخلق اقترافاً تقع عند الجميع أشدّ موقع
من الكرامة التي تحقق وتلتزم. طوّأقدم أنكار على شريف وأطعم خذّه ضربة
بغير عدل لحقّ له ان يلتهب عليه غيظاً فوق ما يحاربه من السرور والفرح
عند تكريم الشعب واحترامهم له. ومن ثم فلا عرو من ان خطيئة مميّة
احتلتها خليفة الى الله لا يتباهى جلال عزته تكوّن اعظم في نوعها من كل
اكرام المنسكة والتدسين كافة. وعليه فشر الخطيئة ثمانية في العظام حتى
يستحيل على خليفة ان يتي عنه باستحقاقها وفاء تاماً وتسال عنه انصفه.
ولو لم تكن خطيئة ادم تمنو في كل نسبه مفسدة ولم يحطى داود النبي
ولا اساء فعلاً يولس الرسول ولا انتم انما القديس اعشيتوس ولا احترحت
جرماً مريم المجدلية ولا حاتم نكراً مرم مصرية بل ولو استقر عن
وجه البسيطة كل اثم تخلق من الشر والمناسكة ولم يف من اورد
الخطايا المميّة الا خطيئة فكر سوء ارضى به ادنى الناس سكان شر هذه
الخطيئة عظيماً جداً حتى لا يستطيع خليفة من الخلائق ان يعطي عنه للعدل
الالهى كذارة وافية موازية. ولولاه الله لقاء هذه الخطيئة امر بان
تتشقق السموات وتتناطح الكواكب وتزلزل الارض والاهل وتجف
البحار وتغلب الماصر وتذك رايات الجبل وترع البشر وتحوّل الى
رماد وتحط المنسكة عن كراسيهم ويعود كل شيء الى العدم لمسا توف
عدل الله حقّه. ذلك لان تهدم السموات واصحلال البشر واعادة المنسكة
الى العدم لا يحترق حدّ المساهيات. والله انهار فوق كل محدود وذوّه

كل متاه ولا قياس ولا مناسبة بين غير المتناهي والمتناهي وتصدع به
 ادلة القياس وبالتالي انه لا مناسبة ولا شبه بين عذابات جميع الخلائق
 والاسية الى الخالق . فلو تكلف الشهداء اوجاعهم الحادة وتحمل ليعترفون
 صعبات تشقاتهم وادرفت ولدة الله المحيدة دمعاً هتوتاً حياتها كلها
 كعادة عن هذه الخطية ونذرت لله ما لها عنده من الاستحقاق تبرعاً
 وتطوعاً بقصر كل ذلك عن زيل مغفرتها ولا وى به ولا وراه فاستحل
 التكفير عنها على غير ابن الله . فلك مسآتك وهذه مقدرت على ان
 ترم شامها ايها الانسان ذلك فعل آسآته وهذه كمارتت عنه فسبيكت
 ان ترتعد ورعاً عند ذكرك انه لا يستحيل عليك ان تحتج اثماً مثل الذي
 اجترحت

وكي تضع لك جلياً . الجسم شر الافتراء على الله فاعلم وتر ولا في
 كنه القمل فتعدل في اعراضه ايضاً وهي سعة كما رواه القديس توما
 اللاهوتي وجمع عليه جمهور النصارى الملاهوتيين . قالوا يتكيف كل فعل
 خطية بممة سبعة اعراض تعرف بظروف الحدوث فكل فعل حادث
 لا يحلوا يتحقق بها . والاول هو ما يحق القمل الميت من قبل فاعله .
 والثاني ما ينحته من قبل الشيء المقبول . والثالث ما ينحته من قبل
 المكان الذي يفعل فيه . والرابع ما ينحته من قبل الوسائط التي يفعل بها .
 والخامس ما ينحته من قبل الغاية التي يفعل لاحتها . والسادس ما ينحته
 من قبل الموع الذي يتم به الفعل . والسابع ما ينحته من قبل الزمن الذي

يكمل فيه الفعل . وصاف اريسطو تاليس اليها عرضاً اخر وهو ما يتحقق بالفعل
من قبل الشخص المتمول صده ذلك الفعل

واذ تقرر ذلك نقول ان الظروف المذكورة تكسب الخطية جرماً
ومقتاً . واولاً من يرتكب الخطية فان هو الا انسان مظنة الاحتقار ومائف
الازدراء يبارز بمصيته الله ربه ويجترئ فيصيح فمهاله على باريه فلو اقدم
على ذلك اله مثل الله لكان فعله نكراً او جاً اذاً . فإ اذا اقدم عليه من
اخذ من حماة وجعل من طين

ثانياً فلنعتبر ما يفعل الحاطي . اذا اخطأ . قال القديس انيس ان
فعل من يخطئ كفعل من يريد ان ينزع عن الله تاج ربوبيته فينتوح به
وعند القديس بزرقدوس انه كمن يروم ان يقتل الله . اما الرسول الالهى
فينزله منزلة من يحاول ان يطرح ابن الله تحت رجله ليدوسه او يصلبه
ثانية اعب ١٠ ١٢٩ . طواحتراً احد بثل ذلك على بعض الملوك اما كان
ذلك كافياً لان ترصص عظامه وتزق احشائه وتهدم بيوتهم وتستاصل
دريته . هذا عين ما يهر به الحاطي . بمخطيته على الله الضابط الكل ورب
الارباب وملك الملوك فلا ريب ان مجرد التفكير في هذا الامر يوجب
المتأمل خوفاً ورعباً . ايها الاله القدوس من ذا يستطيع ان يفسر ما
يجترئه الحاطي عليك وعلى نفسه ايضاً انه يتساهى في احتقار عرثك الالهية
ويدوس ناموسك الاقدس ويستهري بعدك ويصحك من مواعيدك
ويجأهر رذل مجدك المعد له فيصدحك ويستأسر لشيطان الى الابد .

فيتوحي رضى عدوك وعدوه الالد ولا يترضاك ايها المحب السماوي الخلوص
 فيرعب الى مهلكه عنك ياموتل الخلاص ويحدد كل حير فكأنما أثر لديه
 ان يموت بش ميتة في جهنم وساء القرار من ان يحيا حياة ابدية في
 السماء بمجدمته عزتك وطاعته لواميك

ثالثا فلنعتبر ابن لا ينصح الخاطي . يهدم بل يخون ربه انه
 ياتي نكره هذا في عالم الله تعالى ويبرأى منه عز وجل ويحيط علما بان
 ربه وخالفه الذي يخطئ . اليه بجرأة شاهد لما يجترح فهو عليم بذات
 الصدور ولا تخفى عليه خافية . فان امكن الانسان ان ياتم حيث لا يبصره
 الله لكات مع ذلك خطيئته عظيمة جدا فاذا ركب اثما في منزله تعالى
 وعمرأى منه . فاية جهنم لا يستوجب مثل هذا الكبر القطيع ومن ثم
 ها كان يذرف النى من الدموع السحينة ويشمر به من الم دونه رشق
 القلب بحاد اسهام لم يكن عن غير داع فكان يقول لله ثابا هائدا . اليه
 الشرفدامك صنعت . بل لا يخلتق الخاطي . شرا في بيت الله ونصب
 عليه قحط بل يحترته عليه والله بحمته على ذراعيه ايضا ويحفظه بقدرته
 الضابطة . فلو قام عقوق يلطم امه ويحدش وجهها ويهش ذراعيها ويطلعها
 بسكين سيما هي تلاطمة وقصه الى صدرها مما وقر فيها من حبه اما
 نزل عند الناس منزلة شيطان متحدي بل شرمة . وتلك حالة الانسان
 ودالك شانه اذا اساء الى الله بينا هو رفيه يخطا عليه ويخفضه بين
 ذراعي عنايته الضابطة

رابعاً فاعتبر كيف يخلق الانسان الخطية وسم انه يسد
 محو خالقه أسمة اهائه له فانه يقسط نعم ربه ويتخذ احساناته مدرجة
 لاحقاره ويرد عليه افضاله تعالى عن كل وصم . فان كان المجود بالنعم
 والكفران بها عند الناس شيئاً وشائبة وعدم وفاء يمينه الجميع ويأباه فما
 ظنك فيما اذارد الاحسان على المحسن واساء اليه استعماله وما ظنك بحياة
 جندي يشرع على قائد سنانة ويجرد عليه سيفه الذي قلده به فهذا انما
 يعله الانسان ويكون على ربه ضداً لان النطق الذي رزقنا الله عزت
 قدرته وباقي قوى الحسد وانفس يستعملها الخاطي . لافتراء المعصية ولا
 يقف عنده بل يغالي في اجترائه واتقاه الى ان يستنجد الله في فعل سوء
 كبر الله عن كل سوء . ويستظهر به عليه وهذا ما يشكو منه تعالى بلسان
 اشعيا نبيه قائلاً . انك استخدمتني في خطاياك اش ٤٣ . ٧٤ . فان
 الانسان لا يقدر ان يحرك يده او يباشر عملاً مادياً طبعياً الا بمعاونه عز
 وجل وتوقيفه فاذا هو حرك لسانه بالترمر او يده للسرقة اذا هو يستعمل
 الله في اسائه الى الله اجارها الله من كل امر منكر

حامساً والفاية التي يقصدها الخاطي . بخطيته تزيد اثمه اثماً وخطيته
 قباحة . فاعتبر لم يجترح الخاطي . اثماً فيحرك عليه حفاظ ربه وما يبعث به
 على احتقار خالقه وخيانة ربه ومالك ارفق العاد وما يحمله على ان
 يدوس ابن الله رجله ويصلبه ثانية وما يوسوس اليه ذلك العمل ما
 يحركه الى هذا الكر الفظيع قصده ان يلاشي العالم او ينقد بشراً

من الهلاك ويطوقه مئة الخلاص او ينعذ قبح فعله مدرجة لتأله كـألا
ثم كلاً . بل انما زرعه الى ذلك لدة دنة وما سوله له غرض ائني .
وعلى الاطلاق انه يعمل ذلك لانه يشاء لا لداعية اخرى . فيسأله من
احتراء قطع وانقاج قبح بليغ . يا له من رفاق ردي وممقوت فكيف لا
ترجم السموات من بين الله خالقه بصواعقها . وتلاشي من على وجه
الارض يتحاصر مثل هذه الحارة على بارها جلت عزته

سادساً فلنعتبر نوع ارتكاب الخطيئة الذي يريد لها ثقلاً . فان
الانسان يحطى بعد ان سمع وشهد شدة انتقام الله من الخطيئة بعد ان
عرف ان اهل الملازمة الذين كانوا في السماء قد استحالوا الى جمر
اسود جهنمي انهكر واحد ردي . وان والديا الاولين طردا من فردوس
التعم ودُحرا في هذا الوادي وادي الدموع لمجرد تناول ثمرة قدسها
عها . وبعد ان رأى السموات هائلة طوفاناً عرمرماً على الارض كلها
ومترلة ناراً محرقة على مدن كثيرة لاجل الخطيئة لا غير . وبعد ان ابصر
الارض فتحت فاها وابتلعت اناساً كثيرين مع كل ما يمكنه لتتردهم على
موسى . وبعد هذا وهذا كيف يجاسر النبي الوقح على ان يحطى . وذلك
لامر يليق ان يذكر بل لمراسة ساطاناييل واثيره على الله ربه وبصر الرجيم
على السيد المسيح الذي يود اتملك على انفسنا

سابعاً فلنعتبر الرمن الذي ترتكب فيه الخطيئة . فالسحيون الان
يحطون بعد ان رأوا سيدنا يسوع المسيح مسجراً على الصليب دماً للحصينة

عنهم يخطون بعد ان رسم تقدس اسمه الاسرار المقدسة دواء
 هم ولا سيما سر جسده ودمه الاقدسين وذلك لم يعمله تعالى لاجل
 الشيطان بل ان يخطي . . اظننا ان ذلك اثر من الشياطين انفسهم .
 اما كان يجب كما قال القديس اعتيقوس ان الله يخلق جهنماً اخرى
 لاجلنا . اذ انتا حزنا من الخلود الالهي نعماً اوفر من تلك التي حارثها
 وتحوزها الالم في الباموس الطيعي . افسا لذلك نستوجب عقاباً اعظم
 من عقابهم

وقد قرره بما حرى للقديس مكاريوس وهو انه اتفق يوماً ان هذا
 القديس كان داهياً في البرية فوجد في طريقه جمجمة محوّلها من
 الطريق بطرف عصاه . فطقت الجمجمة تتكلم فساءها حينئذ القديس
 قائلاً من انت فاجابه صوت خرج منها . اني كنت كاهناً للوثنيين
 الذين كانوا قد ما يقطون هذه الامكة والآن انا معهم في قلب نار
 محرقة فقال لها القديس : هل ثم من مكان اكثر عذاباً من الذي انتم فيه
 قالت اعلم ان في جهنم تحنا مكاناً اكثر عذاباً من مكاننا عما لا يوصف .
 وفيه يعذب الذين عرفوا الله ومجدوه وأبوا الرضوخ لاولامه . اخيراً
 تقول ان الخطيئة تزداد ثقلاً وساحة من قبل الشخص المفعولة ضده .
 والحال انه فضلاً عن ان الله كامل وحكيم وهي وقادر عما لا يتساهى
 فاننا مع ذلك نسي . له وهو يحبنا حباً غير متناه ويحتسنا ويسع علينا
 نعمه البكيرة . ولعمري ان الوحوش بمنزل عن ان تحقق أدنى بمن

بحبها ويحس اليها وطار يا هدا ما الذي تعلمه اذا اسأت الى من انت
 احب اليه من حياته وعظمت من يمن عليك بكل حير لكيلا تسي فعلاً
 فتح اذا هدا الرب العظيم واحترم عزة الالهية واجيب جوده القاسق
 ولا تغضه الخطيئة ولا تتخلق عليه نكراً

ولقد يجب ان نعلم ايضاً ان الخطيئة من حيث ذاتها امر شنيع
 مكروه وفي مكانة من السجاسة حتى لو فرض اعدم وجود الله وهو فوق كل
 كمال لوجب ان تغضها نفساً لا يحد وهذا ما اجمع عليه الفلاسفة
 الوثنيون . ومهم سينيكا وشيرون وارسطو تاليس الذي تفوه هذه
 الكلمات المسجدية قال حير لنا ان موت من ان نقدم على امر يضرب
 بالفضيلة . ويثبت هدا القديس اعنيوس بقوله لو كان في وسعنا
 ان نبطل يوم الدينونة للزمن مع ذلك ان نعيد عن الشر ونصنع الخير .
 وقد كشف الله على نوع عن شناعة الخطيئة بمحادثة نادرة الوجود

خبرنا فيلانكوس المؤرخ انه لما كانت سنة الـب ومائتين وثمان
 وتسعين حرق كاسانوس ملك التروثني على بلاد سورية بحيش جزار
 وكانوا زها . مائتي الـب خيال . فاستولى على البلاد المذكورة وعظمت
 صولته ودئت منه في قلوب الملوك الرعية حتى اضطر ملك ارمينية الى
 ان يرف له ابنته روجة وان مسيحية . فلم تمض مدة حتى حبلى الملكة
 فولدت ولم يكن على مولودها لوائح بشر لما افرغ فيه من السجاسة
 والقباحة فحار الملك في امره ثم غضب على الملكة . وانكر ان المولود من

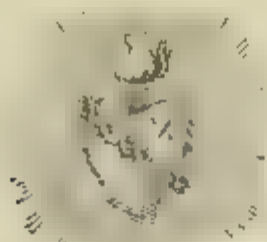
زدعه وظن بها اربابيه محكم عليها لموت . اما ملكة السارة فرفعت
 الى الله اكف الضراعة وعادت به من هذه المحنة فوعد الله اليها ان
 استأدي ملك بتعبيد المولود مثقل ان تقوى فادبها الملك به فلما عمد
 لمولود حتى تحول من حال امحاحة الى حال الجمال واسمها فدهش
 الملك من هذه الامحوة وامر بالسيد المسيح الذي اطهر بهذه الاية
 حمل الصلة وقاحه الخطيئة . ولم يكن هذا طائفي الذي ولد بهذه
 البشاعة المستكرهة منمخا بادار حصنة عليه بل مشيئا ثالثة الخطيئة
 الاصلية ليس غير . فلما حال الدين ما تيارازاتهم يرتكون خطيئة ممتة
 وما بشاعتهم . لمد دهل ليندوس الفيلسوف من ان بعض الصواعق
 تدب السيف في غمده ولا تنلم الغد اصلا بل يبقى سائما متحججا
 كذلك الخطيئة فلهما تناف النفس المحبوبة تحت ستار الجسد ولا يمس
 الجسد منها اذى فكأنها صاعقة من جهنم بل اضرت من جهنم نفسها
 وماذا قول عن الشرور التي تتولد من الخطيئة فلو كانت الخطيئة
 افضل ما في العالم لو حب لما يفرع عليها ان بعضها اكثر من الموت
 وذلك لاسها تعدنا النعمة وتبعدنا عن الروح القدس وتسلبنا حقا في
 المورث السموي وتنزع عنا جميع استحقاقاتنا وتصيرنا غير اهل للمعون الالهي
 وتدحرنا بعد اموت في دركات الحميم وقودا لمار آبدة . وفي هذه الحياة
 تجلب علينا ملايا لا تحصى . فلما من طاعون ولا حرب ولا جوع ولا مرض
 الا سببته الخطيئة . ومن ثم يجب على الذين يحربون ويكون مما احق

بهم من المصائب الزمنية ان يحزنوا ويكوا على مصدرها وعلتها اي على الخطيئة وانما من هذه الشكوى لان تلك لان هذه ولو وحدة لحديرة ان ندرك عليها كل دموعا بل دموع اهل المكنة يسرهم . والبكاء على غيرها ضرب من الحدقة

ولعمري ان ما يهد الطريق لهذا الوحش الشنيع اعني به الخطيئة انما محبة الاشياء الارضية . كما ان ما يسد دونه الطريق انما الارتياح الى الاشياء الابدية

فيظنون اذا الانس الى امة حمة يجب عليه ان يميل بعواطف قلبه ولبضع الى مشورة الحكميم القائل قلب الحكميم من عن يمينه وقلب انبي من عن يساره احا ١٠ ٢٠ . فان لرجل الحكميم يعلق قلبه وعواطفه بالاشياء الاندية ونهي الجاهل ينبطها بالامور الزمنية . وعليه كما قال القديس ابرونيوس في تفسيره نص هذه الآية سوف تحزن الجهال محو العالم في يوم الدين اذ يكرهون على الوقوف من عن يسار الله ويحكم عليهم باهلاك الابد . فاما الحكماء محبو السماء فيفرحون اذ يقيمون من عن يمين بن الله ليفوزوا بالحد الابد . فلنستأصلن اذا من قلبنا محبة الخيرات الزمنية اتى من شأنها ان تعهدا طريق للخطيئة . انه لما انقذ المسكايون مدينة اورشليم من ايدي الامم ودخلوا الهيكل المقدس وجدوا مذبح المحرقات مذبأ فحاروا في ما يجب عليهم فعله وترددوا بين ان يقيموا الخدمة لله على هذا المذبح او خصوا بعبادته وبين

أن يهدموه لأنه قد تدنس بعد ذلك تا ضحني عليه من الذابح للشيطان
 قال الكتاب المقدس فاختاروا بين الأمرين أحسها وهو الثاني فهدموا
 المذبح المقدس وشادوا مذبحاً آخر من حجاره جديدة (١ مك ٤: ٤٧).
 فنفتنهم إذا بهم تستمك بالذي هو أحسن ونقم بمخاذه من أسباب
 الخطيئة بل والمتأصل شأفتها . لأنه أن كفى اسكانيين لهدم المذبح
 وإقامة مذبح غيره خص بالله أن يكون ناس غيرهم أخطأوا وفسدوا فلم
 لا نتجنب الأسباب التي أضرب بها لاعتدنا إلى الخطيئة . ولا جرم من أن
 محنتنا الأشياء الزمنية أو متعاررات في ورصه الخطيئة فيزمننا إذا أن
 نزيل من قلوبنا كل انعطاف لا نلجج إلى ما هو إلهي . ولا يكون أن
 نقتلع عن كل ميل إلى الخيرات الأرضية فقط بل يجب علينا أن نحذر
 من هذه الخيرات الخداعة الختالة ونكون معها إلى محاذ واجتباب إلى
 الدوام



المقالة الخامسة

في ما بين الازمي والابدي من الفرق من حيث الوسائل
التي يحدها الله تعالى لاكتساب خيرت لانيته
والشهود حاشا الي قدسها لا لاحد
الاشياء الزمنية

وهي تسعة فصول

الفصل الاول

في ما بين الازمي والابدي من الفرق من حيث ما لادى
هو تسعة ازمي هو واسطة بوجلة ايها وفي غاية
التقديري في حق الانسان لاحادها

فلتكم الام قد لا عما بين الابددي والزمي من عظيم النون
من ككور الابددي عايه والزمي واسطة مؤديه اليه. فاعلم ان الله
جعل الابددي عايه الانسان وحصل الانسان عايه لكل زمي. وقد
خلق الانسان لاجل الابددي لكي يرجع كاله الفاني ويرموز بفضته
السرمدية. وخلق الزمي من اجل الانسان لكي يستعمله بقدر ما
يسر له ربح الابددي. فامعن اذا انظر جيدا ايها الانسان واعقل حسنا
الغاية التي خلقت لاجلها واياك ولحيد عنها. تعلم ان اجد الابددي ليس
امرا يحق لك صاعا لان الله انما خلقك برحمته الغير المتناهية لكي تفور
بهذا الشجد وما كان تعالى قادرا ان يبدعك لاجل كمال طبعي ام يفصل

بل دعت رحمة العظيمة الى ان يحملك لاجل سعادة ابدية ولاجلك ذراً
بقية الخلائق . واما انت فلم يحذرك الا لاجل ذاته فقط . فمن حيث
هذه الغاية ما من احد من اسنكه والشاروسم والداروسم يذوقك شرفاً
فلا تشمت اذا ما يحب عليك . فان الله حدث فانت له تعالى كلياتك
وكل ما عمله فعليك ان تنمله لاجله عز وجل فان الزارع اذا عرس شجرة
فله حق التصرف بكل اثمارها . ثم ما من سلطة اعظم من سلطة لغاية
على كل ما هو منظم اليها ومرسوم لاحلها كما ارآه المعبود الالهويون
نفلاسة . فان كنت انت مديناً لله بكل ما لك . من حيث كوكبك
وداك لانه تعالى هو علة وجودك وكل ما انت حاصل عليه فانت تحت
دين له يفوق ذلك باصعاف اكونه كنت غائبه لالك بالعله الاولى
اتخذت كوناً محدوداً وباعلة الثانية اهلك الله الى كون الهي غير متسام
ومكثك من امتلاكه .

والحال تنازى كل شي . يميل طمعا الى عايتيه ويطلب ما استطاع
الوصول الى مركزه كالتار والحجر مثلاً . فمذا العزم والاجتهاد بل شدة
منه جداً كان ينبغي ان تلتبس الهك واليه وحده يجب ان تراج وايه
يجب ان تبغى بكل قوى نفسك وقدره جسديك وعواطف قلبك .
ان الحجر اذا سقط كاد لا يبالى بالوقوع في الماء ام في النار او لا يعيها
بالانكار والتمسحق وكأن حسبه لسوغ الى محوره ومركزه كذلك انت
اذا اثر الوصول الى الله غايتك فلا يجب ان تبالي بخسارة المال او

تكثر بالكرامة والشان أو ثياباً ببعض أعضاءك أيضاً. وإذا قد تحقق
 أن الأشياء المحنوقة لا تجديها راحة ولا قراراً طبعياً إلا في مركزها. فلا
 يتخذ عن إذا قلب الإنسان برجاء أنه يجد راحة وسلامةً خارجاً عن الله
 حاقه

فكل عمل لا يطابق عاينه عمل إنسان جاهل عبي لأنه إن أراد
 أحد أن يتحرز من البرد في أيام الشتاء فيخلع عنه ثيابه ويتعمد من الماء
 كنت تعدّه إنساناً عيباً حقاً. وحال إن هذه الحال حالتك أنت
 الذي تلمي خيرك بالانتماء عن الله وعدم صدك إياه في كل شيء.
 فهذا هو الصلال القطيع الموعول فيه من البشر كما لحط اشدس
 اعستسوس. انهم يشتهون السعادة ويحصلون اشقياء لانهم يجهلون نوع
 التماسها

إن قوة العلة العظيمة جداً حتى أن الأشياء المنظومة اليها
 تكتسب منها اعظم ثمن ولو كانت تلك علة ذنية حقيرة. ولم تكن تحصل
 على تلك القيمة لو نظمت الى شيء آخر ليس بغايتها وإن حزبل اشمن.
 كسكة الملاحة مثلاً فهي شيء معتبر عند الفلاح وبشرتها بدرهم
 منقودة فاد وهتها المصور يستعملها في صنعة التصوير فيأناها ويلقيها عنه
 بعيداً. كذلك الدو، مهما كان مرأهوشي، معتبر عند المريض وبشرته
 ثمن. اما اذا كان متعافياً صحياً فيحترقه ويبيده كارهأبل الاناء الدس
 المتعمل لخدمة الحسد اذا وضع في مكان خفي مختص له فهو شيء.

نافع وتطلبه الناس الا انه اذا ما وضع في موضع ظاهر وبهر آية فاخرة
فتشأ الناس منه وتحمقه. والاشياء اذا يجب ان تقع طبقاً لغايتها وان تكون
منتظمة اليها. ان الاشياء الخبيثة تكتسب اعتباراً من غايتها وان فلتها
هذا الانتظام والمطابقة تكون محترمة ولو تسامت الى سحب السماء.
فانعم اذا النظر اليها المسمى وتامل انك منظوم الى غاية سامية جداً واسمى
ما يمكن ان يكون وهي محمد الله جل جلاله فلو حدثك الله لكي تخدمه
بدور ان يمدك بمجده لوحب عليك ان تعتبر ذلك اعتباراً عظيماً. الا انه
تعالى بجوده الغير المتناهي احب ان تكون غايتنا لا خدمته فقط بل التمتع
به ايضاً والاشتراك بمجده. وبهذه الغاية السامية قد اشبهنا لا الملكة
فقط بل الله نفسه ايضاً فكما انه تعالى ليس له سعادة ولا غاية سوى
ذاته الغير المتناهي فضاها هكذا اراد الا تكون غايتنا وسعادتنا غير غايته
تقدس اسمه وسعادته

ومن ثم فاعلم كم يجب عليك ان تعتبر الايدي اعتباراً سامياً من
حيث انه متعلق بعائتك. وعكس ذلك فتعلم كيف لا يجوز لك ان
تعتبر الزماني لذاته بل من حيث هذا الاعتبار فقط وهو لانه يمكن ان
ياول بك الى اكتساب الايدي. فلا شيء اذا في الرمني يستحق ان
يجب ويرغب من الناس الا من جهة اتصاله الى الله وخلا هذه
فهو بذاته دور لطيف. فكما ان المسافر استقصى الوصول الى مكان
لا يبالي بتشمب الطرق واختلافها بل يسلك سبلاً يؤديه الى المكان

المقصود ولا نفيه ان يكون الطريق نعمة او يسرة سهلاً او جبالاً وعراً او
ودياناً هكذا يجب ان نتصرف بالزمنيات ونقلب فيها نقلب متجرد من
كل ميل اليها فلا نجب ولا نكره شيئاً زمنياً الا بقدر ما يتقرب به الى
الله او يبعد به عنه سبحانه . فان كان الفقر يقودك الى الله فاعتقه بكل
عزم قوتك واجبه فوق كل شيء . وان كان الغنى او انحر العالمى يبعدك
عنه تعالى فاحترقه وارذله . واقه عك بعيداً وان كان تفاؤل الناس عنك
واحتقارهم اياك بسديك الخلاص فافرح به . وان كانت الكرامات العالمية
تصلك عن خدمة حائلك او تحول دون مرضاته فابغضها اصكتر من
بنصك الموت . وان كانت الاتعاب والالام تلبك الى معرفة محصلك
فهنيئاً لها نفسك . وان كانت اللذات تصيرك عديم الوفاء نحو ربك
المحسن اياك . فباين جميع تمنيات هذه الحياة ولداتها كيلا تقدم تنعم
الحياة البعيدة . فن هذا يعهم ما رواه القديس اغستينوس وجمهور المعينين
اللاهوتيين من الخلاف بين الاشياء . وهو ان بعضها يجب ان نشتم بها
وبعضها ينبغي ان نستعملها فقط . فالاشياء التي ينبغي ان نشتم بها هي
ابدية . واما الاشياء التي يلزمنا ان نستعملها فقط ولا يجوز لنا ان نشتم
بها على وجه ما هي زمنية . فيسبب الانسان تصرفاً في حياته كما قال
القديس المتقدم ذكره اذا استعمل الاشياء استعمالاً رديئاً ونشتمت
رديئاً . وبخلاف ذلك يحسن الانسان تصرفاً في حياته اذا استعمل
هذا العالم استعمالاً جيداً وفتح بالله شتاً حسناً

وقد يجب ان نعتبر هذا الامر جيداً وهو ان استعمال الخلائق
المنتهي بنا الى الخالق هو اختقارنا اياها . لان الله رام ان يسهل لنا
الوصول الى غايتنا تسهيلاً هذا حتى انه لا يمكن ان تعودنا واسطة
لبوعها فموز كل شي . يقدر ان يعيننا على الوصول الى غايتنا . فما هي اذا
المصيبة والضرورة التي تقدر ان نحرثنا ان كان لا يمكن ان تعودنا واسطة
موصلة بنا الى الخلاص حينما يعوزنا كل شي . ولمعري ان يكون الشي .
واسطة موصلة الى الخلاص الابدي فحرث عظيم جداً حتى ان رثنا والهناء
الذي هو ابد . والغاية لكل شي . مخلوق احب ان يكون لنا واسطة
لنيل الخلاص . وذلك بتخذه وموته وسر جسده ودمه الاقدسين .
فان كل الله احتار هذه الواسطة العظيمة الامينة لكي تلغسها غايته
فكم يجب ان نحذر من ان نزل واسطة مفيدة للوصول الى هذه
الغاية ولو كانت شيئاً مستصعباً تنفر منه الطبيعة . لانه يكفي ان يكون
هذا الشي . مما يسهل لك الخلاص ولو قليلاً وزيده ثباتاً ولو يسيراً
فان كل هذا الشي . مرضاً او اهانة وما يشبه ذلك فبمستحق ان نعتبره
وتقله لاجل رب الملك السموي

ان الذي يسافر في البحر الى الهند يختار لنفسه سفينة جديدة
امينة لاعتيقة خطرة . فانت الذي تطلب الوصول الى السماء ينبغي لك
ان تسير في الطريق الايمن وان تعتقد ان هذا الطريق الايمن الموصل
الى السماء هو طريق صليب سيدنا يسوع المسيح واتضاعه وميتوته .

وإدكنت في كل شيء تنتهي الأفضل فاعلم أن فضل الأمور صلاح
السيرة . فاصحح ذات سيرتك وردد لها صلاحاً . واعتقد أنك لا تستطيع أن
تريد لها صلاحاً إلا بالاقصد . بحياة مخلصك أي باحتقارك لأمور الرمية .
ضع نصب عينيك عانيتك على الدوام لأنك كل مرة تصرف عنها نظرك
تضل وتزل قدمك

ولعمري أن الجميع أفي هذا الخطر . لأن هذه الحياة تشبه حسراً
عالياً ضيقاً ليس عرصه أكثر من قدمين وتحتة وإد عميق جداً مملوءاً
تسكين وحيات وأفاعي فاتحة افوها لتبتلع من يسقط فيه . وفي آخر هذا
الجسر مغارة صغيرة ينبعث منها قليل من الضياء من خلال لطلام الدامس .
فمن يعيش على جسر كذا يبلا وليس له من يتودده . كل يحذر جداً من
أن يعرف نظره دقيقة واحدة من ابرص عن ذلك الضياء اليسير الذي
به يرشد ويقل خطواته . فهو عرف أنه يتحويل بصره لحظه واحدة يحصل
على كنوز الأرض كلها . فهل يفعل ذلك ويخطو خطوة واحدة لأحدفاً
إلى ذلك الضياء الطامف . وهذه حائلنا لأن حياتنا حصر ضيق جداً ونختاره
في ظلام أيلة هذا العالم . فلا يمكن أن نخرج من خطر الزلل والسقوط إلا
بالإزمة النظر إلى عانيتنا أي هي النور الإلهي الذي يضيئ لنا في ظلام
هذه الحياة . واعتقد أن راحتنا وسلامتنا تتوقف على أن لا نطلب
شيئاً آخر سوى الله أو لأجل الله وبه فائتة حربة بني الله الحسنة . على
أن احتقار ما هم هو راحة النفس والعظمة الحقيقية هي المطابقة الإرادة

الالهية. واخيراً ان اس كل فضيلة هو ذكر هذه الحقيقة بلا انقطاع وهي
اننا خلقنا لكي نعبد الله خالقنا وليس غير

الفصل الثاني

في - الاناس بمعرفة ذاته بمعرفة يعرف

كيف يجب عليه - لتسعمل الاشياء

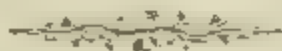
الرؤىة حقيقة ، لا زورا

ان الطيب الحكيم لا اكتفي ان يعقل صفات الادوية وغايتها
فقط بل يجهد في ان يعرف طبيعة المريض ومزاجه ايضا . وهكذا يجب
على الانسان الا يكتفي بمعرفة ماهية الاشياء ، الرؤىة وغايتها فقط بل
يلزمه ان يعرف ذاته ايضا ولهذا قال الذهبي فانه ان من لا يعرف ذاته
لا يستطيع ان يتصرف بذاته تصرفا واجبا . فبحسب اذا ان نتعريف الانسان
ما هو له من ذاته وما هو له من الله . فالذي له من الله جيد كله الا
انه ليس للانسان ان يتخبر به لانه قد قلته من الجود الالهى . اما
الذي للانسان من ذاته فقد وزده مجمع اورانج قائلا اننا سنا شيئا
بالذات غير الكذب والخطيئة فهذا هو العدم لدى كفايه فيما تقدم .
هذا هو الشر الذي نحن حاصلون عليه الا قد عنتك جانا كل ما اقتبلته
من الله فترى انه لا يبق لك سوى الكذب اي العدم . وانك قد كنت
هذا العدم والذي باه الله على ذلك فليس هو من قبلك بل قد قلته
منه وهو يصليه له تعالى . ومن ثم لا يجوز لك - تسعمله بحسب

فرضك بل تكسب مسرة الله . فانظر ما اكثر ما يجب عليك ان تتضع
 من اجل انه ليس لك شيء بالذات سوى العدم . قالت الفلاسفة ان
 ما بين العدم والوجود بعداً غير متساو . فاذ كسبت انت عدماً لم يكن
 لك بالذات امكان الوجود لان هذا الامكان اعني امكان وجودك هو
 شيء يختص بقدرة الله . فلك اذاً لها وسيلة عظيمة للاتضاع . لان كونك
 عدماً هو شر عميقة جداً مع ان هذا كلاً شيء . بالنسبة الى كونك خاطئاً .
 وهذا اذا تأمله القديسون جحد دهم في مفاسلهم وقوم منهم اذ اراهم
 السيد المسيح حال كونهم في الخطيئة فكادوا ان يموتوا من امراض رعبهم
 وخوفهم لو لم تعلمهم يد الله القوية

فاعلم اذاً انك بعد فعل الخطيئة تكون قد صرت شرّاً نظير شر
 الخطيئة . فتنحصر في دهر شر الخطيئة الغير المتناهي الذي تكلم الله
 في ماسبق وكل ما تنحويه من لعب والسماحة والقباحة فان هذا جميعه
 في مرتكها . فكما ان النسي . الاسود يورثي سواده سواد ما صيره اسود
 هكذا الخاطئ . يكون سخياً فخماً شاماً نظراً شناعة الخطيئة . فليتأمل
 الانسان الخاطئ . هل يليق به ان يستعمل الاشياء المخلوقة كما كان
 يجوز له ان يستعملها لو كان في حال البر نظير من لم يرتكب خطيئة
 ابداً . فليعلم من ذلك هل يجوز له الان وهو على حال هذه الخبيثة
 واشراً ان يستعمل الاشياء المخلوقة لاجل لذته وحاهه وافتخاره . هل يليق
 للخاطئ . الاكرام . فكيف يسوع ابن خا ربّه وحالقه وقد استحق

عذاباً ابدياً ان يطلب كرامة وتعملاً وكيف لا يحتمل بصبر مرضاً وجيزاً
 يمكنه ان يربح خلاصاً مؤبداً . تأمل ما فعله ابن الله نفسه فانه اذ تردى
 بظاهر الحاطي . مع كونه القداسة بالذات لم يستعمل خيرات هذه الحياة
 وملا ذمها . لكنه اعتق كل ما وجد فيها من المرار والانتساب . وكيف
 يجوز لمن هو حاطي . حقاً ان يبتغي الكرامات والملاذات . فتعلم الابرار
 الوسائط التي يلزمك ان تستعملها وقد رسمها السيد المسيح وهي التوبة
 والامانة والصلب . ان القديس فرسيس بوجيا الذي احتقر العالم
 ونفسه ايضاً احتقراً عظيماً كان يلقي في هذه الاعتبارات سروراً وافرأ
 ما بين اتعاب هذه الحياة ومرارها . وكان يهرب من كل راحة وملذة
 ولتمس ما يؤثم الحسد ويضيق عليه . حتى ان كل من كان يشاهد جزيل
 تمب هذا القديس ونصيه من الفقر في سفره كان يأخذهُ التعير والدهول .
 وسأله يوماً احد اشراف دولة اسبانيا قائلاً كيف يمكنك ايها الاب ان
 تحمل هذه الاتعاب . فاجابه البار لا يمنعني قلقك علي لاني في سفر
 ارسل امامي دنماً الى المكان المقصود مني واحداً مني لي كل شيء
 حساً . وهذا المرسل المتقدم امامي هو معرفتي ذاتي التي تصير لي كل
 صيقة وضرورة تعماً ولذة



الفصل الثالث

في توحيد الله بوضع . كبحر

هذه الاشياء الالهية

ان ما بين الالهي والزمي من عظيم الخلاف توضح له اجدياً من
توحيد الله ايضاً . فان اكتساب الالهي واحترار الزماني هما شيان
جريلا الاعتبار والضرورة ولذلك احب الله ان يتجسد وتالم . ولعمري
بالاخذ شيئاً بوضع لما عظمة الالهي وحساسة الزماني نظير هذين
اميلين لالهيين . ولذلك يجب ان نكلم عنهما قليلاً . واولاء من سر
التجسد الذي يجب ان نأمل فيه ربه شيئاً . وهذا عظمة العمل ثانياً
كيفية تكمله ثانياً الشرود التي صدرت منا رايها الخيرات التي تنقذ به

هبل يريد عظمة العمل يجب ان تعلم ان الحسن البشري الذي
كان لسبب الخطيئة سيراً للشيطان ومهاناً ومداناً ومحكوماً عليه بالعذاب
الالهي ومبغوضاً من الله . كان قد بلغ قصي عاية من اشقاء . ولم يعد
له رجاء . النجاة من ذلك . لانه لو مات سوا البشر جميعهم الف مرة وقدمت
الملئكة باسرههم دواتهم لله ذبيحة واختاروا ان يحملوا جميع العذابات
الالهية ما استطاعوا بهذا كله ان يكفروا عن خطيئة واحدة مئة تكفيراً
اماً . فم تمكن اذا خطيئة قط من الوفاء عن الخطيئة وكذلك لم يكن ممكناً
ان يرجو ذلك من الخالق لانه تعالى كان لا يقرى عليه والمهان . فلو يكون
ما لا يمكن وجوده وما رحوم من الله ان يأذن لنا بانقراضه لكي نفهم على

وجه ما عطية هذا السر الغير الموصوف . اي لو يكون حفظ حياة الله
 ولاهوته ممعناً بعمل اتخذه لكان يمكن ان رجوته تعالى ان يتخذ
 لاجل خلاص البشر . مع ان ذلك شيء حمير وان يتخذ الله لاجل حفظ
 عبد جان ولاجل محدوده . فمن ذا الذي كان يرجو ذلك ولو كان
 الانسان حرم الله كمسرا من عالي نفسه في حال هذا الشقا الذي هو عليه
 وذلك لاجل حفظ محدوده تعالى وكرامته ان كان ربما يجوز لنا ان نعد من
 خارج فكره هذا الظن المتخوف من الصواب . وهو ان الله تحفة حمية
 الود ، ومعرفة الحميل على ان يتخذ كل احتياطات يقدر به الانسان من
 حال شأنه . ولما احب تعالى ان يتسع وبلاشي بصيرورة انسانا وذلك
 من اجل لاسان الذي احتاس محده واحتره . حال امر الاخطار بشر
 ببال وان يحلج فكر السال . وهذا هو الخود لاهي الذي يحزير احسانه
 يفوق كل ما رجوه . ويسمع لاجلنا ما لو فعله لاجل نفسه لما يمكن ان
 يفعله بنوع اعظم من الذي فعل . وبالحمة الله محببة وباسحاثة الغير
 الموصوف اذ اراد ان يبي عن عدوه شئ غير محدود . وان يحسن بتكليف
 لا يوصف وباعظم الخيرات الى من كان فعل اليه اعظم شرور والحق
 به افصح الاهانات

فتأمل الان اولاً عطية هذا العمل الالهي الذي قال عنه القديس
 اغسطينوس ان الله لم يقدر ان يصنع اعظم منه ولا ان يخترع احسن منه .
 على انه لمن المملوم انه لا يمكن ان يوجد عمل اعظم من العمل الذي يصير

به الانسان الحق. والله اذا ادري ان الانسان يعمل الخبيثة صنع ما لا
 يمكن ان يصير شرأ منه. دام هو جل حوده ان يصنع ما لا يمكن ان يصير
 احسن واكثر حوداً منه افترج عملاً فانما دا جود غير متناه بطراً الى
 جوهره واعراضه. لانه من الاستحيل ان يوجد عمل أكثر حوداً وصلاحاً
 من العمل الذي به اتصف الانسان بكل حود الله وصلاحه. او اعظم
 خيراً من الذي به اشرك الله بلاهونه ادنى الخلق الناقصة وانتصر
 بحودته على شر غير متناه. واحد الانسان الخاطي، كما كان يستحقه
 من العذاب الالهي. اى نعم ان هذا العمل الجيد كما لا يدرك حده.
 لانه به انضج ميله تعالى العبر المتناهى الى الرحمة وتجنّى كمال عدله الغير
 المحدود. وذلك تحمله ما كان مترماً بوفاته رجل شرير اثم وبانضاعه
 حتى الموت موت الصليب لخلاص من كان قد حكم عليه بموت الالهي.
 اللهم انت مقرب بل بكل كمال وصلاح وكل من كمالك وصلاحك لا
 حد له. لقد اكملت كل ما كان يقضيه عدلك الالهي واظهرت مع
 ذلك حودك انفاق على نوع عجيب لاني عاملت دالك بعايه الصرامة
 لكي تعاننا باعظم مراحمك

تأمل ثانياً كيفية هذا العمل الكلي حوده والمستحق كل جنس. انه
 لمحبة حرية مفرطة ارتضى الله بان يخلص الانسان بواسطة انسان. وان
 تحتم لذلك انه هو. الى نفسه يصير انساناً لا ملاكاً حتى اذا ما خلاص الانسان
 من شقائه يكون مجدداً مكرماً. فما اعظم هذا الاكرام الذي لم يخط

للملئكة حدث ر الله الذي لم يغفر لملكه مع لهم باطيمه انسى مناشراً
وكما لا أحب ان يعمل المعاصي يغفر لنا . وما بعد ذلك فانه دا حصاً
الانسان وهبط الجنس البشري بأسره منخطاً عن عادته لم يبق معه
صديق يستطيع ان يخفى عليه ويقدم عنه صلواته واتصالاته . خلافاً للملكة
الذين اذا احضروا في مهمهم كثيرون في حال التريث يقفون على هلاكهم .
ومع هذا فقد حب الله ان يمن بهذا الاحسان على الانسان لا على
الملئكة

تأمل ثانياً ان كثرة ضرور المعنوية . سا في الزمن الذي أنجز
وبه الله هذا العمل الكلي لرحمة توسع سا اجلال الخلود الالهي نحو
الجنس البشري لانه حينما كان العالم نسي الله بالكلية . وكانت الناس
تجتهد في ان تكرم كلفة . والذين لم يبلغوا ربهم هذا الردي كانوا
يسعدون لاناس اكثر شرّاً من الشياطين . ففي هذا الزمن الكلي الشقاوة
نفسه اي حينما كان الانسان يريد ان يصير لها عنوة عن الله اراد الله
ان يصير انساناً من اجل الانسان

تأمل اخيراً ما نشأ عن هذا العمل الالهي العجيب من الخير لانه
لو ان الله لم يصنع ما حيراً لكفانا انه اتقنا من ضرورنا . حيث انه بواسطة
تجسده الالهي نجانا من عار الخطيئة ومن اسر الشيطان ومن العقاب
الجهنمي . ثم انه لو كان الله لم يجد عند تجسده شرّاً يتقنا منه ولم يهب
لنا تعالى خيرات جديدة جليلة فقد كانت ضرورته سبحانه ابناً لطيفاً

وصيرورتنا ادباء الله احساناً لانظر له

قد جبر يوستينوس المؤرخ الوثني عن اسكندر الملك انه لما ابصر
يسيكوس محروفاً في رأسه ويخرج من حراجه دم غزير نزع عن تاجه
منديلاً ملوكياً وبه مسح دم الرجل المحبوب منه وعصب حراجه . فتعجب
الحاضرون من محبة اسكندر لاحد عبيده مع ان فعله هذا كان مع رجل
لم يسيء اليه قط بل كان عين الملك سبب هذا الجرح . فاما الانسان
فقد كان بالخطيئة جرح ذاته وسأ الى الله باريه . ومع هذا فتقدم تعالى
ليداوي الانسان وشعبه وبعله هذا لم تحب شيئا مما يمتلكه في الخارج .
لكنه منحه تاجه الالهى اعني به لاهوته . وبشرط هذه المحبة ما اعظمها
ويا لدم ادراك هذا الاحسان ما اوفره

الفصل الرابع

في دابة الاشياء لرمية تنصل من الام

سينا يسوع المسيح وموته

حقاً انه ما من شيء يظهر لنا حاسة لاشياء لرمية ووجوب احتقارها
بأجل مما يوصفه الام ابن الله وموته . فانظر الان كيف انه تعالى أثر
بلايا هذه الحياة واحتقر كل خيراتها وذلك لا بالكلام فقط حينما دعا
الغنى شوكتاً واخص المساكين بالقبضة والطوبى بل بالفعل ايضاً . لانه
لم يوجد خير رمني الا لحيته منه بعض الاذى فلم صيته وعد شريراً

منافصاً . وسأه النسي والمقتى لانه قلب كل ماله حتى اتوبه
 وذاق من المذات مرارة تلغم ولم يرو عطشه المذيب بقطرة ماء ولوفر
 اوجاعه وعظمتها دعي من اشعيا النبي رجل الاوجاع (اش ٥٣ ١٣) .
 ولم يبق عضو من اعضاء جسده الا نالهم بالهم حصوصي ولذلك اوصانا
 تعالى بان تذكر الامة على الدوام لاجل المثال الذي قدمه انبيائها

قد ذكر عن تيفرانس ملك الارمن انه لما قهره كورش ملك العمم
 في الحرب وتغلب عليه واسره وزوجه . واتفق ان كورش آكلها
 يوماً على المائدة ورأى جزيل حب تفرانس لزوجته سأله قائلاً ما
 تجود به من البذل اعتاقاً لروحك . قال فدى لها مملكتي ودمي
 وحياتي . ففرق حينئذ قاب امك كورش وغنمها ورد عليهما ملكهما . فلما
 رجعا الى مملكتهما سأل يوماً تفرانس زوجته قائلاً ما الذي احببت في
 كورش الملك ودولته . فاجابته الملكة مكافئة محبة لها عجة نظيرها
 قالت . لم يرقني منه شيء اصلاً ولم ألومنه على امر بل سددت
 نظري وقصرت فكري وميلي على من فدانني بمملكته ودمه وحياته
 فاخرجني عن الرق . فان كانت هذه الملكة اظهرت حسن الوفاء
 ومعرفة الحيل نحو زوجها المحرّد عزم حسن لم ينجزه . فما الذي يجب
 على عروس الملك السوي التي لاحلها ولاجل اقتدائها لم يعزم تعالى
 على بذل دمه وحياته دونها عزمًا فقط بل بذله فعلاً ايضاً
 قال الانبا البرقوس الكبير والمعلم اللاهوتي المعظم ان فكرًا

واحدًا مقدسًا في الام سيدنا يسوع المسيح يسدينا نعمًا اعظم مما نخبه
 من المصعة صوم سنة كاملة تقصر فيه على الخبز والماء مع جلد اللحم الى
 اهراق الدم كل يوم وتلاوة الربود كله . وقد ذكر ايضا ان السيد المسيح
 ظهر للمديسة حرتزودا ليثتها في عبادتها للآلام المقدسة . فقال لها
 انطري يا ابنتي ان صابري لاجل انه حماي بعض ساعات معقًا عليه مع
 مدنا عظيمًا من الشرف وامتلاء العالم من محبه فاما يكون اذا شرف
 النفس الي تحاط في ذهبها سبعين كثيرة

ولكن لكي نضع من هذا الذكر المقدس ذكر الام ابن الله فيجب
 ان نعرضها نظرًا الى الاعراض السببية المعروفة بظروف الحدوث وقد
 سبق ايرادها حسبما نصها القديس توما اللاهوتي . فتأمل اذا من هو
 الذي يتألم هو الذي ما من احد ياربه برأبل وهو البر تقسه هو الاقنوم
 القدوس نظير الروح القدس فتألم البار اثلاً يتألم المذنب . يتألم من هو
 رب الحبة كلها وسيدها الذي تسجد له الساروقيم وبهاية جميع الطغيات
 اسمويه . قال الرسول الالهى تذكروا ذلك الذي احمل من قبل
 الخطاة ضد نفسه مضاده مثل هذه اعب ١٢ ٣) . لان الجاس
 من عن يمين الله الاب هو الذي زام الان معقًا على الصليب
 بين لصين . فتأمل اذا من هو هذا الذي سمر على عود ولم يكن له
 مرل على الارض . وادكر انه هو ديار الاحياء والاموات . استمر من
 هذا الذي مات على الصليب فترى انه الحياة الابدية نفسها . لاحظ

من دال الذي قبض عليه اعداؤهُ وجلدوه وصلبوه . فعلم انه هو الذي
من مقدسه اخرج ناراً احرقت محالقي ناموسه .

ثم تأمل ماهية عذاباته تعالى التي لم يحتمل لطيرها احد قصه . فقد اتصلت
الى هذا الحد من العطمة والافراط . حتى ان الاشياء العديده الحسن
ارتجفت لها . لان الصعود تصدعت والارض تشقت والعناصر اندهلت
والسما اظهرت الحزن ولا كتاب واطمنت الشمس والقمر وبكت منكة
السلام لانه افرط عظمه هذه الازعاج وقساوتها عرق تفرد اسمه دماً
من قبل محرد تفكره فيها . وقد اخبرت القديسة حرتودا بعدد قطرات
عرقه هذا الدموي حسبما عرفت ذلك برويا طهرت لها انها كانت سبعة
وثمسين الف وثلاث مائة وخمس نقطات . وفي حال مكابته هذه
الابواع ذرفت عيناه من الدموع اثنين وستين الف ومائتي دمة . كما
ذكر بطرس كاليبتيانوس . اما عدد الجلادات التي احتملها فقد سمع يوماً القديس
برردوس في رؤيا ظهرت له انها كانت ستة الاف وستمئة وست وستين
جلدة . والانبا لانسير جيوس يذكر ان رجلاً عابداً سمع صوتاً من السماء
يقول هكذا لو صلى احد الصلاة الربية مائة مرة في كل يوم الى مدة
عشرين سنة اكراماً للجلادات التي احتملها سيدنا يسوع المسيح في الامة
لكان عدد تلاوة هذه الصلوات في المدة المذكورة موازياً عدد نقط
الدم الذي خرج من جراحاته . فقل موجب هذا الحساب يكون عدد
نقط الدم الذي خرج من جسد يسوع في مدة الامة سبع ربوات

واثنين وثلاثين ألف نقطة . فاما كليل الشوك فقال عنه القديس
 أنطس انه دخل منه الف شوكة في رأس يسوع الاقدس . ومن يقدر
 ان يصف شدة الالمه تعالى بتعبه على صليب يديه ورجليه . فهذا لما
 تاماته لقديسه ليدوفينا بكت بكاء دماً . فلا حرم من ان مريم العذراء
 الجليلة لو لم تقوها نعمة الله لكانت قد ماتت من شدة حزنها عند
 مشاهدة ابنها مصلوباً . قال القديس برزديئوس الساني انه لو تورعت
 احراص البتول المجيدة على بقية الخلائق لما توا جميعهم لشدة ما تلحق
 كل واحد منهم من الحزن . فإذا تكون اذا اوجاع ابن الله القائقة على
 اوجاع والدته

واذا ما نظرنا الى مكان الالمه فترى انه كان مدينة اورشليم
 حيث يمدد حوله فيها شرف عظيم واحتمال ملك متصرف قبض عليه
 وقيد خارجاً منها باهانة عظمى ليصلب كرجل اثم . واما الدين فكانوا
 يسمون في تعذيبه وموته فقد كانوا اناساً من ملته قد اتعم عليهم
 ما عزر البركات واعظمها وهم افرغوا وسعهم في تعذيبه . ولهذا شبههم
 الكتاب المقدس بكلاب هابشة واسود رائحة وذئاب خاطفة . واما
 نوع عذابه فلم ير اقطع منه . والزمن الذي احتمل فيه هذا العذاب كان
 الزمن الذي فيه تجتمع اليهود من كل بلد وقطر ومكان . وفي حال
 عدائاته هذه القاسية لم تجدد نفسه تعزية البتة لانه لم يتعز رحائه ان
 تكون الالمه حريصة النفع . لانه تعالى كان يعلم يعلمه السابق ان الدين

ينتفعون من الامة قبلوا . ولم تعر من قبل الامة بحفظ الامانة له
 والوفاء . لان احدهم باعه والاخر جحدته والجميع تركوه وولوا عنه مدبرين
 حتى لم يحصل على تعزية من قبل والدته ايضا . لان مشاهدته حزنها
 كان لديه تعالى غزله صليب اخر نظير الصليب الذي كان مسرّا عليه .
 وهكذا لم تكن له تعزية من قبل ابيه الازلي لانه أمسك عنه فيض
 هذه التعزية ولذلك صرخ نحوه قائلا الهي الهي لماذا تركتني امر ٢١ ١١
 وزد على ذلك انه قدس اسمه احتمل جميع هذه الالام والالواح
 من اجلنا نحن الخاطبة الحقيرة . مع انه لم يكن يصطره الامر الى ان
 يتالم هكذا لكي نخلصنا من اسر الخطية . لكنه رام ان يكاد جميع هذه
 الالواح ليظهر لنا جزيل محبة . ويصطربنا الى الاقتداء به ويحملنا الى
 احتقار خيرات هذه الحياة وكل سعادة دنية . فمن اجل هذا تكلف
 وفاقا . دينا باحتمال هذه المذابح القذحة . فنسظر اذا الى انفسنا في
 هذه ارامة الحليّة لنصف بها سيرتنا ونظهر نحوه عز وجل عواطف
 الحنو والاشفاق ومعرفة الحميل . ويسرق قلبه حرنا ونندما لاننا اسخطنا
 مثل هذا الاله الصالح الذي احتمل لاجلنا جميع هذه العذابات واحسن
 اليا عمل هذه الخيرات ليصيرنا اخيارا . ولتجنب من عظمة جود الله
 الذي احب ان يتلاشي من اجل خيفة حقيرة . ونحب من احبنا هكذا
 ولنتكل على من صنع لاجلنا اكثر مما كان يمكن ان نتفني بل اكثر
 مما يمكن ان نتصوره . ولتقتدين بهذا المثال الالهي المقدم لنا من الاب

السموي على حل المححلة لتصير حياتنا شبيهة بموته . وذلك بالانضاع
واحترار كل خير زماني . حتى اذا ما اتضعنا امامه يرفعنا واذا ما تألمنا حياً
به نكتب النبطة الابدية . وبعد شرب مرارة هذه الحياة نذوق لذات
الحياة السعيدة السموية وسعد دموع قليلة وحيزة نتمتع بالافراح الدائمة

الفصل الخامس

في ان الانبياء حريصين الاعتدال من حيث ان الله اراد ان

يكون الوسطة لربحه ورسماً سر حده ودمه

الاضحى عربونا عن ذلك

ان ربح الابدية الامر باهظ معتبر جداً . والله تعالى يشتهي ان يربح
اشتياؤه حزناً حتى انه بعد ما صنع لاجل ذلك عظاماً مذهلة المقول
اعتني بها بحده والامه . ضاف اليه فعل محبة مفرطه مذهلة وهو
انه سبحانه اراد ان يكون لنا الوسطة لئلا يسل الخلاص في سره الاقدس
سر الاوخرستيا . فمن ذا الذي يرى في هذا سمو الجود الالهى الغير المتناهي
على ان الله القادر على كل شيء . ومصدر جميع الاشياء وغايتها القصوى
ارتضى ان يكون لنا واسطة ايضاً . مع ان هذا شيء محض الخلاق
وليس يدل على كمال . وكذا اخضع الله ذاته لاختيار الانسان ليستعمله
واسطة خلاصه . والكمال مهم هذا الامر القائق اعلم ان وسائط خلاصنا
يمكن ان نلاحظ نظراً الى الله ونظراً الى الانسان لان الله والانسان يسعيان
في هذا الامر . فان كان حب عظيم عجيب لا يدرك في ان الله جعل ذاته

في التمسك الالهي واحتمال الآلام وسيلة لخلاص الانسان - فكم يكون من
الامور المدهلة التي تفوق كـل افراط المحبة ان يرتضي الله بان
الانسان يستعمل اقنوماً ايهاً اي الله عيه واسطة لاجل الغاية المذكورة
اعني بها خلاصه . وذلك لان ابن الله بصيرورته واسطة للانسان ساوي
نفسه مع الماء والزيت والبلسم . لانه كما ان الناس يستطيعون ان
يستعملوا الماء في المعمودية لكي يترروا والبلسم في سرائثيت ليتقدسوا
والزيت في سرائسحة الاخيرة ليتطهروا . كذلك في سرائقربان المقدس
يتدربون ان يستعملوا السيد المسيح ليربحوا زيادة النعمة والصحة الروحية .
فكم يجب ادأ على الانسان ان يجتهد في ان يبلغ غايته الاخيرة حيث ان
الذي هو الغاية لاحيرة جعل ذاته واسطة ليلبغ بها الانسان الى هذه
الغاية . فليست ادري هل من مبلغ أسمى منه يستطيع الجود الالهي ان
يبالغ اليه . هذا وهل يجب ان تعتبر شيئاً ما زمناً نظراً الى ربح الابد
وان كان السقوط عن كرامتنا وترك لدائنا او توزيع أموالنا على المساكين
واسطة مسماة لربح الخلاص هل يجب ان نستصعب ذلك ونستعظمه
بعد ان صير نفسه رب المجد واسطة لنا ومنحاً لذلك ذاته بغير التفات الى
عظمه كونه التي هي اكثر ثمناً من كل شيء .

اما اخص الاسباب التي من اجلها رسم هذا السر المحيبي هو
لكي يكون لنا ذكراً لالام السيد المسيح ومن حيث انها المحبة الحزيلة
الغالية في احتقار الاشياء الزمنية رام تعالى بالوع كثيرة ان نذكرها على

الدوام . لانه وضع في كنفه صورة جده المتالم . وطبع صورة وجهه في منديل قدم له يسوع به عرقه حينما كان حاملاً الصليب ومسوقاً الى جبل المحلة وطبع صورة يديه ورجليه وركنيه في الحجر الذي صلى عليه في بستان الزيتون . وهذه الصورة عليها اطعمها ايضاً في حجر اخر في وادي قدرون حينما كان الجنود يسحبونه . فسقط على الارض وابقى بعده اثر يديه ورجليه وركنيه والحبل الذي كان يسحبه به الجنود فبكل هذه الانواع من الايات اظهر ابن الله كم يرغب ان يستمر هينا ذكر الالهة المقدسة

وما عدا ما ذكرناه فقد وجدت آثار الالهة على حجار أخر كثيرة . لانه وجد في بلاد الشرق حجر من يشم وعله مثال وجه السيد المسيح مكالاً ناشوك . والقديس لويس غوزغا اذ كان يمشي يوماً على شط البحر رأى حجراً صغيراً عليه رسم جراحات سيدنا يسوع المسيح الخمسة . وقد رشح الله هذه الخمسة الجراحات في حجاره كثيرة وفي اشياء اخر عديدة مختلفة . وقد شهد القديس انستاسيوس السباني انه وجدت زهرة مثل المسامير والعمود واكليل الشوك . وفي ثرة الشجرة المدعوة موسى ترى تشخيص صليب وعليه مصلوب . وفي ايماننا هذه يسجد في مدينة غار بصورة الصليب وعليه مصلوب على اصل رهرة تبنت في اورشليم . ولكي تستطيع المصائر ايضاً ان تفخر بهذا الرسم الشريف أرى الله الفوسوس الاول ملك برتوغاليا في الحو رساً وعليه رسم جراحات ابن

الله الحية . هكذا أرى الله معطي الكبر صورة صليبه المقدس
 في الحوائط أيضاً لأن أهل الأدلة على أن مخلصا يرب كل الرعية في أن
 ردد في دها عذابات الامة هو أنه جعل رسم حراحاته في اجساد
 كثيرين من عبيده منهم القديس فرنسيس الكبير والقديسة لوسيا
 الفرارية والقديسة حرتودا ولاسيا الطوباوية لوسيا التي كان يجري دم
 من حراحاتها الحقة كل يوم جمعة . وما انجب الرسم الذي شوهه على
 قلب القديسة كلارا . لأنه بعد موتها وجدوا على قلبها الظاهر صورة
 السيد المسيح مصلوبا والعמוד والسياط والحربة وبقية الات الامة المقدسة .
 ولو اوردنا كل الاشياء التي عليها رسم الامن المسيح وصورته مطوعة لطل
 بنا الشرح جداً . وهذا كله حيلة تعالى لديم ما ذكر الامة بمشاهدتنا
 رسومها . الآن الدليل الاعظم على ذلك هو سر الاوخرى . لان
 هذا السر الاقدس هو صورته . موته انقدس صورته حية . وبه وضع لنا
 تعالى انه لمستعد ان يتألم ويموت لاجلنا كل مرة تقدم ذبيحة القداس
 في العالم بأسره . وما لم تكن حال جسده المجيد من ان يصلب ثانية
 اقترح حوده الغير المدرك صرياً من صروب الاختراع فيه ذبيحة
 الصليب وبمعد علينا نفع الاقتداء من غير ما يحدد لهم ولا اهراف دم
 ما اعتبر ادائها المؤمن قبل تساؤل سر القربان المقدس من يقبل
 عليك ومن انت وتامل جربل عبادة الحليمة مريم العذراء حينما كانت
 تستعد لحلول الكلمة الارلى في احشائها الطاهرة . ولا ترتب في انه

تعالى نفسه ينج فؤادك وانذل ما حيك من الجهد في ان تتقدم بروح
 عبادته مساو لعبادة تلك العذراء الكلية التقاوة فادن منه روح المحبة
 والتهيب والشكر على هذا الاحسان الجليل بل لو امكن الامر لكان يجب
 عليك ان تقبل اليه بافضل من عيادة الطوباوية المذكورة لانك انما انت
 من جليل احساناته الالهية في سر الام بن الله وموته ما لم يفضل به
 تعالى حينئذ على والدته المجيدة والامن به على بشر غيرها . وكى على يقين
 من انك لمزع ان تتناول من هو حالس من عيسى الله الاب من
 بيده مقاليد السلطان المطلق على السماء والارض خالقنا وفادينا ومن
 مزعم ان يدين الاحياء والاموات وهو الاله الذي لا نظير له ولا فيس
 لحكمته وقدرته وبيانه ووجوده وبقيته كالاته الالهية . ترى ما ذهول
 النفس ونهيبها ورعبها ونخبها اذا ابصرت السيد المسيح كما ابصره الرسول
 فعسى من بها . يوده الساطع . فلا ريب في انه تعالى هو في سر القربان
 المقدس هذا اعجد الالهى باسمه . ومن ثم ينبغي ان تدوم من هذا السر
 كدنوئك اليه تعالى وهو جالس على منبر مجده . ان يوحا البشير الحبيب
 لما دخل عليه ملك من السماء ورأى كمال جماله وعزه كاد ان يقضى عليه
 من شدة تهيبه ودهوله . فان عتيد ان تستقبل في منزلك لا ملكا بل
 رب الملكة كلهم

وينحلى سخاء حود الله افضل جلا . مما تتقدم اذ لاحظنا لا عطة
 الاقنوم الذي يمج داته فقط . بل حقارة الاقنوم الذى يقتله ايضا .

فمن أنت لست الأخلقة دية محبولة من طين عرصة لكل شقاء وجهل
 وشر وصعف . فـ كان قائد المائة عدّ نفسه غير أهل لأن يدخل السيد
 المسيح بيته . وهامة الرسل بطرس المعظم اذ رأى هذا الرب على الارض
 طلب ان يتعد عنه لأنه رجل خاطي . . . والتقديس يوحنا المعمدان
 احتسب دانه غير أهل لأن يحمل سيور حذائه . . . وكم يجب عليك انت
 ان تحسب نفسك غير أهل لأن يحمل فيك الجالس بتجدر عظيم من عن
 عيين الاب الادلي والمنسكة لا يجدون طهارتهم كفوءاً لتجاه عزته . وكم
 ينبغي ان تكون خائوتك لكي تآويه في قلبك . ان سيمار الحكيم اذ عرف
 سبع سنين في بناء الهيكل ليضع فيه تابوت العهد . فانت اذ تروم ان تعد
 نفسك هيكل الله فكيف لا تصرف في ذلك نصف ساعة . . . وموسى الحكيم
 ما راد ان يصنع تابوتاً ليضع فيه لوحى التاموس اختار خشباً ثميناً وصلاه
 بالذهب . وانت يا دودة حقيرة فكيف لا تهنى . . . ذلك وتزينها للقتيل
 واضع التاموس نفسه

اما كيفيه منح الله هذا الاحسان العظيم فمن شأنها ان تذيب القلب
 بالمحبة . . . واشير بذلك الى شوقه تعالى الكلي الجود الى ان يتخذ بنا وتواضعه
 المحيب الذي به يهب لنا دانه الالهية ويحمها ما كلاً . ولهذا يحمل راسخ الشرائع
 الطبيعية ويخرج معجرات اعظم من اني احترحها على يد موسى في مصر .
 فتأمل انت بعد تناول القران المقدس ما الذي يجب عليك ان تفعله .
 واحتسب ان السيد اسع الخاس في عرفة قلبك يسأل نفسك كما

سأل رسله بعد ما عمل أرحمهم فائلا اتعرفين ايها النفس ما لدي
صنعت بئ . أتمهين عظم إحساني اليك وجلال عزة من يتخذك
مسكأله . فاعني انه اهلك وديك ومحضك الذي يرغب حيرك غايه
ارعبه قابلي احسانه بشكر الحيل وحسن الوفاء . ولا تحجي شيئا على
الارض سواء لانه هو خيرك الاعظم والادي

الفصل السادس

في انه يسمى لـسس في صورتا خيرات لاديه

انه يفيدنا جدا لفهم الفرق بين الابدي والزمي ان نعلم ان منع
الخيرات الزمنية ليس في مكانه من الاعبار عند الله . لانه حل شأوه
يهيأ أحيانا للاشرار بطريق القصة والعذب . ولهذا قد شك كثير من
من اعناء في حوار طلب الخيرات العالمة من الله فذهب المعلم المملكي
ماري توما انه لا يجب ان نلتص من الله باصلاق الطلب غير الاشياء
الروحية والابدية . واما الاشياء الزمنية فلا يجوز ان نطلب منها سوى ما
ينبغي با الى اكتساب الاشياء الابدية . فالصلاة التي بها تطلب الخيرات
الروحية والابدية هي الغصن الرمزي المدعو في سفر التشيد غصن بخور
يستلده الله . وقد أحسن القديس غريغوريوس اذ قال ان هذه
الصلاة تدعى غصن بخور . لاسها اذا صلبها السمويات فقط تصعد
متسامة فلا تزال طالبة الابديات

ولهذا قد لخط المعلم بالود اتوس ثلث فائض في طلبة ام ابني زبدي .

التيصة الاولى هي انها في طلبها لم تحيط النظام الواجب . التيصة الثانية هي ان نيتها لم تكن تقيّة حاية عن عاطفة لحمية . التيصة الثالثة هي ان موضوع طلبها كان شيئاً ماصلاً . والحال ان هذه الشوائب الثلاث توجد في صلاة من يطلب الاشياء الارضية . فيغير نظر الى الاشياء الابدية وحلوا عن الرغبة ايها . فاولاها عدم النظام لانه ليس من يصاد النظام مثل الذي يطلب الله في القليل مهلاً العظيم لكثير . والذي يطلب لا شيء امير الضروري يضطرب لشيء . المعسر ايضا . ويتعامل عما يحتاج اليه اشد الاحتياج . ان النفس تحتاج الى سمه الله اكثر من احتياج الجسد الى القوت . والنتيجة انها اكثر احتياجاً منه الى العون . تتوي لان قوات الجحيم لا تزال مستعدة لمحاربتها صاهراً وحنياً . والذي يهمل طلب العون الاهي على ذلك ويوجه صلواته الى طلب الاشياء الزمنية فيكون حمله كجمل رحل اضناه ظاء . صيت في رية ققرة في حر الصيف ووفت الظاهرة فصادف رجلاً محتاراً ثناء مملوئاً . صافياً بارداً . وبدلاً من انه يتمس من فضله صراعة الطلاب ان يروي ظمأه امدب يطفئ . يتمس منه ثوباً من صوف لا يفي عنه الا في امان الشتاء .

ثانياً وفي طلب من يطلب الاشياء الزمنية على النوع المذكور شائبة عدم نقاوة النية . لان مثل هذه الطلبة لا ترهبها عالياً نقاوة النية والامانة الروحية اللتين تصيران صلواتنا مقبولة لدى الله تلك النار التي كانت تستعمل لآحراق البغور كانت تؤخذ من مذبح المحرقات دليلاً

على انه لكي تكون صلواتنا مرضية لله يجب ان تكون صادرة عن قلب مضطرب مقدم للعره الالهية كحرقه . وذلك بواسطة تقدمنا له تعالى كل حركات قلوبنا واشواقها . فالذي يطلب شيئاً رمزياً على نوع آخر سبيله ان يخشى من ان يحبه الله مطلوبه بغضب وانقام كما مع الاسرائيليين السلوى . ولذلك اذا كان الطعام في افواههم طلع عليهم رحر الله وقتلهم . واعمرى انها المجسره قيحه وفتح شيعه معاملة الاسار الله ربه واستماله اياه وسيطانا ايل ما سيكون او يمكن ان يكون سبباً للمساعد عنه تعالى الذي هو غايتنا الاحيرة . لاننا بالخيرات الرمنية نريد عن الامطاف نحو الاشياء الابدية . وتتفاصى عن محبة الباري تعالى الذي هو غايتنا القصوى ونستعده في بلوع اعراض احرم مضاده به نود بالله من هذا النفاق . فنطالب فقط ما يجدي نفوسنا بقاءً ويسدي الله سروراً ومهداً لطايف الاشياء الروحية . الابدية ونعمة الله ومعرفته والاقتداء بابنه الوحيد واحتقار العالم ورغبة كل ما يطاق ارادته الالهية . فهذا ما ينبغي ان نطلبه لانه خيرنا الحقيقي . ولا حرم في انه تعالى يحماه حقاً

ثالثاً وفي طلب الخيرات الرمنية شانية بطلان الاشياء المطلوبة . لان كل سعادة وعظمة زمنية تستحق ان تحرق لكونها دنية وجيزة كاذبة وسريعة الزوال . ولذلك تلك المرأة الرزية المتقول عنها في سفر الرؤيا احبت ان تتكلل بالشمس التي هي رمز الابدية لاجل كمال دائرتها (رؤى ١٢) . فاما القمر الذي هو رمز الى الاشياء الرمنية لتغيره المتصل

فكاتب طأه بأرجلها. فتعش إذا كيف يجب أن تعطي ولا تنص في هذا
 الأمر الباهظ على أن الضلال يرداد بقدر الأمر الذي نصل فيه. وبالنتيجة
 أن الضلال في الصلاة يكون ضرره عظيمًا جدًا وذلك لأنه أمر الهى
 قد أوصاه الله به وواسطه ضرورة للخلاص. وقد وعدنا السيد المسيح أننا
 بها نال منه كل شيء. فلا نظائر إذا باسم محله يسوع المسيح ما لم يرد أن
 يموت لأجله بل لنظائر حيرات لسماء حيرات الخلاص الأبدى التي
 اشترها لنا بثمن دمه وحده بنفسه بذلها

الفصل السابع

في أن ندرس حتمًا وأخيرًا رومية يوحنا الخبير

لا يه لى مكتوب من نصحة وعلى

حاشا بطيم من سعادة

لأرب في أن مجد الحيرات الرمية أمر يليق بالاعتبار لأن ابن
 الله يموت على ذلك بمواعيد عظيمه بقوله من ترك أبًا أو أمًا أو أخًا أو أختًا
 أو بيتًا أو حقولًا لأجل فانه يتال في هذا العالم عوض الواحد مائة وفي
 الآخرة حياة الأبد امت ١٩ ١٢٩. فاعظم ما بين الزمنى والأبدى من
 البوب والفرق في هذه الحياة أيضًا. مع أن رحا الحيرات الأبدية ولو
 مجردًا من كل خير زمينى يبقى عامًا لم ينفذ. متلاك جميع الحيرات الرمية.
 فبالعظم سعادة الذين هموا هذه الحقيقة وبدلوا من الأرض السماء.
 وهذا الوعد الألهى يتم حقًا في الرهبان كما قال عنهم الأنبا إبراهيم

اب واحد تركوه في العالم يحدون في الرهبنة مائة ابر وبداً عن احـ
واحد يحدون مائة اح يحبوهم محبة اخوية مسيحية . وعوضاً عن حقل
اربيت واحد يحدون مائة حقل ومائة بيت . وذلك كما قال الرسول
الالهى لاشي لهم وهم لكل شي مالكون (كور ٦ : ١٠)

حتى وان لم يحصلوا على ما ذكرنا فلهم ضعفه بل اضعافه ولهم وفور
فيض التبريات الالهية التي منحهموها الله لتركهم خبرات هذا العالم
وانسكهم وتشفاتهم . وهذا قد ذكره القديس برردوس عن رهبانه
الدين كانوا في دير الوادي المضي . اثم كانوا يحتون من صيادتهم
وتشفاتهم تبريات عظيمة حتى اوجسهم ذلك حيلة من ان الله اراد ان
يشيهم جزاهم واحرمهم في هذه الحياه واتعالى اعطاهم هبا وردوساً
على الارض لاسهم زمعون ان يقدموه فيما بعد

وقد ذكر عن واحد من هؤلاء الرهبان يدعى ارنولفوس . انه اذ
سمع يوماً وعظ القديس برردوس اضطرب قلبه بشاحه عظيم جداً فترك
امواله غزيرة ومعها ترك لدات العالم وكراماته . واعتنق فقر الرهبانية
وصرامة مذهبها وسار في الدير المتقدم ذكره سيرة مقدسة ولما عظم فيه
من النشاط في ممارسة التشفات دهمته امراض الية جداً حتى كان من
شدة لمة يقش على مرات كثيرة . وحينما كان يرجع الى ذاته ويستفيق
من غشيه كان يصرخ قائلاً : حقاً قلت يا يسوع الصالح فظن به يوماً
بعض الحاضرين انه يقول هذا على غير هدى . ولذلك قال لهم

المريض ان الذي قلته يا اخوتي قد فعلته كمال الاتقاد. ان السيد المسيح وعد في انجيله مقدس ان من يترك لاجله انا او امأ او ثروة ينال في هذه الحياه عوض الواحد منه وبعد هذه الحياه القصيره ينال حياه ابدية (مت ١٩ ٢٩). وها هو ذا انا الان مختبر صدق وعده الالهى بنفسى . لان رجائي المجد الابدي قد ردت لي كثرة اوجاعى هذه لذيدة جداً حتى اني است ارتضى باراتها ولا تقصها . وهي عدي الدواجل من كل ما تركته في العالم بل أجل مما يفوق عليه مائة الف مرة . فان عالمي الله يمثل هذا وانا الخاطئ . الكسار وصير اوحاي الله من تعمي القديم . فما الذي يصنعه مع راهب مجاهد سني صديق

ولعمري ان الذين يهتقون لاجل السيد المسيح يمتثلون فرحاً لسببين . اولها هو عين الفقر الذي كما قال سينكا الفيلسوف ينزع عن محبيه حمل المهوم الثقيل ويصير لهم النوم على الحضيض خير فراش الذ جداً من النوم على الفرش الناعمة الفاخرة . ثانيها هو نعمة خصوصية يمنحها الله من شأنها ان تفيض لدات السماء على الذين تركوا لدات الارض . ثم انهم يحتنون نفعا جزيلاً من احتقارهم حيرات العالم . وهذا يوازي ايضاً المئة الضعف . لانه لو يعطى العالم كله لدره خطيئة واحدة فقط لم يكن الثمن موارياً . والحال ان الفقر الانجيلي واحتقار العالم يمنع خطايا لا يحصى عددها . لانك ان سددت باب القنى سددت معاً باب الفخر والصف والكبرياء . وبقية الخطايا التي تصدر منه كصدور الدخان من

النار. وما عدا ذلك فإن التفاضل من مآثرها ان ترقى الفقر الانجيلي كالانصاع وقناعة والادب. ولا ريب ان هذه الفضائل لا فصل ثمنا من جمع كور بلوك. واما شرف السلطة الحاصل عليها الماسكين بالروح فهو اضعافه. لان اسر الاغنياء لشهواتهم وتعبدتهم لاشياء دنية ارضية هو عار عظيم عليهم وبمكس ذلك على الماسكين بالروح عهم نير هذا الاسر الثقيل وتسلطهم على اشياء هذا العالم يفقدتهم ايها الامر الذي يجهد لاخرون باطلا في امتلاكه هو شرف واکرام عظيم لهم. ولذلك أحسن القديس يوحنا كتيكوس اذ قال ان الراهب الماسكين سلطان العالم بأسره. لانه بتوجيه افكاره كلها الى الله يصير هذا العالم ويضحي الناس عملة خدام له. فبالعظم سمو حكمة هذه المشورة الالهية التي بها حمل الله لفقر ثمنا لربح مجده وهد الطريق لكل احد لاكتسابه

الفصل الثامن

في ان كثيرين اختيروا لاشياء زمنية كثيرة كمالها وحمولها ان دناءة الاشياء الزمنية وما يمس هذه الحياة من الضرر مهال الامر واضح حتى وقف على حقيقته واحاط به عمياً فلاسفة الامم الذين كانوا يعملون نور الايمان. ولذلك ارستيدوس احد اشراف مدينة اتينا ام يكن يلبس سوى حلقاء رثة ولم يسد جوعه ابداً واذ قدم له احد الاغنياء كثيراً من الذهب فنبذه ولم يرد ان يقبله

منه . وقد خربنا القديس عريفور يوس ليزيزي عن زيوس الفيلسوف
 الوثني . انه لما بقى دهاب كل امواله قال . اني منذ الان فصاعداً يسهل
 علي السلوك طبقاً لمبادئ الفلسفة . وهكذا انكفراست اذ سمع بذهاب
 امواله قال . انتم كانت اوقتي لو لم تهلك هذه . واما كراتس
 الفيلسوف صدق مبنياً عظيماً من المال في البحر قائلاً . اني اعرفك
 يا اموالي لثلاث تفرقني . ونظيره بدد ديوجينس امواله كافة ولم يبق له
 سوى زبدية واحدة . ولما رأى انه يمكن ان يكون له عنها عنا القاهاه عنه
 ايضاً . واسكينس الفيلسوف لما سفر به احد اغنياء مدينة رودس قائلاً له
 اني اقسم بالالهة اني اذارك على حال هذا الفقير تتجمع قلبي عليك . فاجابه
 الفيلسوف قائلاً . اني اقسم بالالهة اني لما أراك عباً هكذا استرق قلبي وجماً
 وناسفاً عليك تعلي بالمرار المسببة من الفنى . فان كان مثل هؤلاء قد كفاهم
 نور فلسفة طبيعية ليزدروا بالنفى ويرفضوه هكذا . فما التحمل الذي يجب
 ان يشتملنا نحن المسيحيين اذ لا يكفينا لذلك نور ديانتنا القائق الطبيعة
 وهو جزيل التأثير . حتى ان الدين اضاء لهم فيل من أشعته عزموا عزماً
 عجيباً وعقدوا قلوبهم على صواب الامور وعددهم يفوق الادراك . وها
 نحن نورد ههنا اخبار البعض منهم

قد ذكر انه في دير الصفوف الذي كان على شط بحر اليل وكان
 يضم اليه مائتي راهبة كانت راهبة منهن اسمها سيدورا يحتسبها الجميع
 ساهية فاقدة العقل . ولذلك حكات الرهبات يرددين بها ويستغنون

بها ويلطمنها مختبرات كانها كلبة . اما هي فكانت بصبرها افضل من تحمل .
 لانها كانت تخدم جميعهن باتضاع عجب كلها آمة وتدارس جميع الوظائف
 المتعبة المحترمة وتمشي حافية على الدوام بثياب رثة وعلى رأسها منديل وسج بال
 يأنه الجميع . فاحب الله ان يظهر سمو قداسها الواحد من متوحيدي ذلك
 العصر وكان أباشهيرا ذا سيرة حقة وقشقة وقداسة عظيمة يقال له الانبا
 دويني . فظهر له ملك وقال له انه ليس لك ان تتفخر بحال سلوكك
 هداوا كننت تسير سيرة مقدسة منذ سنين عديدة لان في دير
 الصفوف راهبة اسمي قداسة منك . فقم واذهب الى الدير المذكور
 تجده هناك ابنة على رأسها تاح تلطم سهارها كله وتحقر ونهار وهي مع
 ذلك لا تضطرب ولا تتحس البتة ولا تزل تذكر الله وابنه تبارك . واما
 انت فمع كونك متوحدا تدع افكارك تجول في العالم كله . قال هذا
 الملك وتوارى عنه . ففهم حينئذ ذلك الاب المذكور وذهب الى الدير
 المعين . وطلب ان يحاطب الراهبات جميعهن . فأتين ككافة ليشاهدن
 الرجل القديس المشتهر بالفضل والقداسة . فلما حضر امامه اخذ ينظر
 اليهن ليرى تلك الراهبة المشار اليها . فلم يجد تلك العلامة على واحدة
 مهن فقال لمن هل بقي واحدة منك لم تحضر الى . فاجبه ان جميع
 راهبات الدير مائلات امامك . اما الاب القديس فقال لابل منك من
 لم يكن امامي لاني لست احد هنا الراهبة التي اخبرني عنها الملك . فحينئذ
 قل له ان واحدة ليست بمحاصرة امامك وهي ابنة مخنونة تحده

في المظلم. فقال الانبا ابينني بها حالا قائنين بها غصبا وسحقا اليه قهرا.
 فلما حضرت عرفها الارب القديس من المذيل الرث الذي على رأسها
 المدعو من الملك تاجا. وللوقت حثا الشيخ المحترم على رجليها قائلا اسألك
 ايها الام المباركة ان تباركي وتصلني علي. فاستحادت الراهبات وقلن له
 لقد اخضأت يا ابانا لان هذه الراهبة مأفوكه وعدية العقل بالكلية.
 فقال الشيخ من امكن انك انزل الراهبات لاهيات العقل لان هذه الراهبة
 المحسوبة منكن محسوبة هي اوتزل حكمة منكن حياء. ولينعم الله علي في
 يوم الدينونة بان يكون حظي نظير حظها

خبرنا ايضا القديس غريغور بوس تبصص عن فيلسوف مسيحي يدعي اسكندر
 انه كان حسن الهيئة وبهي المنظر حذ محاف من ان يصير حمالة سب
 عشرة له او غيره. فتغرب وذهب الى مدينة كوما. واخذ هناك يشتغل
 بصناعته لثمم واستقام في ممارسة هذه الصناعة سنين كثيرة لم يطهر
 امام الناس الا باثواب مخرقه ووجه مشوه بسجاء الفحم حتى كان يحسب
 من الناس احقر اهل المدينة وانماهم. فانفق ان توفى اسقف مدينة كوما
 فاتي القديس غريغور بوس انتقب بالبحاني يقيم عليهم اسقفا حديدا
 فقدم له الشعب اشرف من كان بينهم لاصل والعلم. اما القديس
 فقال لهم انه لا يحب ان تقتدوا بتعليم العلم وحكمته فقط. بل ينبغي
 ان تلاحظوا الفصيلة ايضا. ثم امرهم بان يقدموا له اناسا فضلاء ولو كانوا
 من احقر الشعب. فلما سمع هذا البعض منهم اجابوه بهرد قائلين. ان

كان يمكن مثل هؤلاء ان يصيروا اساقفة فلقد قدم لقسيسكم اسكندر النحام
 الذي ليس احقر منه في هذه المدينة . فادسمع القديس بهذا الاسم امر
 بالهام الهى بان يحضروه . فلما مثل امامه تهرده القديس وساله أولاً
 عن قصايا خارجة فلما سمع احواله استدأ منها على عمه وعظم فظنته .
 فشرع حينئذ يستغفره عن شان نفسه وسيرته وطلب منه باجتهاد
 ألا يخفي عنه شيئاً . فلما عرف امره اعتمه بحجة والزمه بقول الاسقفية
 فارتسم اسقفاً لتلك المدينة . ولم يسبح الله بان لا يكون مكرماً من العالم
 من قد احقر نفسه هكذا حبابه تعالى . وليس الرؤسوس من الانام
 فقط محقرين هذا العالم بل العطاء والامراء والملوك ايضاً قد احتقروه
 ورغبوا في الفقر الانجيلي المقدس . ومهم كارلوس ملك النمسا الذي
 لا فراط حبه وشوقه الى الاشياء السموية تنزل عن سدة مملكته لاجله
 الصغير وذهب الى رومة بزي رجل فقير وترهب . وما رأى هناك الناس
 يفتقدونه ويكرمونه تطلق سراً الى دير جبل كاسين . وياشر هناك وظيفة
 رعاية النعم . ولما اتفق يوماً ان عمته من رعيته اكسرت رجلها حملها على
 منكبها الملوكية واتي بها الى لدير

ولكيلا ينسب الكلام في ايراد اخبار كثيرين من الذين مجدوا عنى
 العالم وفخره ابرمجوا حيرات السماء ومجده . فنقتصر على نموذج واحد
 يعني عن ايراد اخبار كثيرة . ذكر الينا توما الكاتباتي الذي كان
 معاصراً القديسة مابلدا انسة ملك سكوسيا . انه كان لهذه

القديسة اربعة احوة وكان اولهم اميراً متزوجاً. فترك امرته على رضى
 منها ونفذ امرته وخرج من وطنه ليقضي بفقر السيد المسيح. والآخر
 كان في اقليم من مملكة ابيه والياً فهاجر ايضاً العالم وقضى حياته في
 كوخ متوحداً. والثالث كان اسقفاً فترك ايضاً العالم وترهب في رهبانية
 سيتو. اما الرابع وهو الاصغر المدعو اسكندر فادبغ من العرست
 عشرة سنة جعل اليه ابوه امر سياسي المملكة. فادعت بذلك اخته
 القديسة مايلدا وكانت اذ ذاك سفت من العمر عشرين سنة انفردت
 به سرّاً واحدت تحاطبه فثقلت يا اخي العزيز اسكندر ما مالك مرتصياً
 بمسألة امور العالم. الانتظر الى احوة. الدين بايو ايرتخوا السماء
 اما تفكر انهم تركوا لك ملكاً سوف يليك في حطار هلاك نفسك
 وخسارة الملك السوي. فقال لها اسكندر وهو سجين الميون. فما
 الذي تشيرين به الي يا اختي العزيزة. نتي مستعد لان اتم كل ما تقصدينه
 مني. فقرحت القديسة من عزم اخيها وبمشورتها تنكر كلاهما وسافرا
 معاً الى مملكة فرنسا. واذ وصلا الى هناك ادخلت القديسة احوها في
 دير من رهنه سيتو ليكون هناك خادماً على مائدة الضيوف. فلما وجدته
 الرهبان حبيراً في عمل الحبس لان اخته المذكورة كانت علمته ذلك
 فامر عوه لهذا العمل واخيراً مع غمادي الزمن قلوه راهباً ليكون خادماً
 للاحوه. فقالت له حينئذ اخته مايلدا. لاشك يا اخي في ان الله يكافئنا
 ثواباً عظيماً لاساحاً له تركنا والدينا ووطننا. الا ان احراً سيكون أعظم

جداً اذا ما افترق احدهما من الاخر بقية ايام حياته. ومجدنا تعزية معاشرتنا لكي نحمل كل سرورنا في الله وحده. فنوَّجَلْنا مشاهدة بعضنا بعضاً الى حين تلتقي في ملكوت السماء. فاذا سمع اسكندر هذا الخطاب شرع يبكي بدموع سخينة وشق عليه جداً مفارقة أخته. الا انه ظفر بكل مانع وافترق كلاهما عن الاخر حتى لم يبق احدهما يرى الاخر على الارض. فنصرفت القديسة ماتيلا وتحت في كوخ بعيد عن دير احياء تامة أميال. وقضت هناك حياتها عانسة من تعب يدها وممارسة رياضات الصلاة والتقشفات الحزيلة وكانت مراراً في صلاتها تغيب عن حسمها وتخطف روحها حتى لم تكن تسمع صوت الرعود ولم ترضياء البروق. واما اسكندر احوها فلم يتعرف لاحد في كل زمن حياته ولم يكشف لامرؤاته ابن ملك. وبعد موته تراءى راهب كان مبتلياً بدملة ردية في صدره اذ كان قد جاء الراهب يوماً الى قبر الشاب القديس ليصلي. فظهر له القديس محمداً منيراً كالشمس مكلاً باكيل بهي وقابضاً على اكليل اخر في يمينه. وحيثما اخبر ذلك الراهب بسيرته وعرفته بحاله وقال له ابن من هو. فقال له الراهب ما هذان الاكليلان. فقال له القديس ان الاكليل الذي في يدي هو الاخر الخاص الذي نلته لاجل تركي اكليل مملكة ابي والاكليل الذي على رأسي هو الاخر المعتاد ان يعطى للقديسين في السماء. ولكي نخوض هذه الرؤيا. فما انت تجد جسدك برياً من الداء الذي يؤلمك. فانتبه الراهب. رأى انه قد شفي بالكيفية. فاخبر

الاخوة بما كل فشكروا جود الله الذي يكلل بالمجد من اختار الاحتقار
اكراما لاسم القدوس

الفصل التاسع

في ان محبة الله تقتضي ان تصد انفسا عن محبة الاشياء الارضية
اننا قد أوردنا حججا وادله كافية لان تحملنا على احتقار كل الاشياء
الزمنية والافلاخ عن حبها. وذلك لانها حقيرة ذاتا وعابرة وقابلة للتغير
ودنية وخطرة ولا سيدنا يسوع المسيح مخلصا كثيرا ما تحشم من الاتعاب
والمشقات لكي يمتنا هذا الاحتقار والان نحتم هذا الكتاب بتدليل اخر
وحجة اخرى توجب ذلك فنقول انه لو كانت الاشياء الزمنية أهلا
بذاتها لبعض الاعتبار لم يجر لنا مع ذلك ان نحسبها ابته. وذلك لان
التزامنا بحبة الله لعظيم جدا حتى لا يجوز لنا ان نميل قلبنا الى محبة شيء
اخر سواه. وما لم يكن بين المحج التي تخدمنا بحبه تعالى حجة واحدة
الا وتلزمنا ان محبة من كل قلوبنا. كانت المحج التي تلزمنا بذلك لا
يحصى عددها. والذى اذا نحن ملتزمون به. فقد كان النبي والملوك
داود يهتف قائلا. سم اكلاني الرب عن كل ما اعطانيه ازم ١١٥ ١٢.
وهذا انما كان علة اهتمامه على الدوام. مع ان الله لم يعطه حسد ابنه
الوحيد ودمه الاقدس ولم يكن تحسد ومات من اجله. ففحن الدين
صنع الله هذا لاحلنا فيضطرنا الامر بالاحرى الى ان نشكر ونهتم دائما في
ان تكافئه تعالى ما استطعنا اليه سبيلا عن مراحم هذه القائقة كل وصف

وادرأك

اعلم ان المحبة قائمة بالعمل والصبر واشتراك الخيرات . فانظر اذا
اولا الى افراط محبة خالقك لك واستدل على عظمتها من عظمة ما فعله
لاجلك . اعني به تجسده لالهى وقدأك . انظر ما يصنع لاجلك في جميع
الخالق . تأمل كيف يعطي الوجود للعناصر والحياة النامية للانس
والاشجار والحياة الحسية للحيوانات والنبات المعلقة لئلا تنكسر وهذه كلها
التي يعملها الله لخالق حزيلة العدد والشرف فانه تعالى يصنعها فيك
وحدك . لانه يحفظ وجودك وحياتك وحواشك وصحتك كذلك يصنع
لك وحدك كل ما يمد له نورية مخلوقات . فحتم ان الله اثبت لنا محبة
بالفعل على نوع عجيب جدا من حيث انه صنع عظامنا مذهلة من اجل
من كان يستحق ان يزول ويتلاشى . لاحظ ثانيا محبة تعالى لك في
صبره وطول امانه . لانه لاجلك حتم الاما وموت لا مثيل لاجلها
ومثله يعاملك سبحانه في احتماله خطاياك . فان كانت المحبة تعرف
بالصبر فما اعظم ما تكون المحبة المقترنة بهذا الصبر العجيب . فلم يسمع قط
مثلا ان ملكا صر به احد عبيده سيف وبالغ في ضربه ولم يبال الملك
بمثل ذلك بل لم يزل يحسن الى عبده هذا ويغنيه بهات واهرة فلو
اتفق ذلك من لم يكن يتحب مذهباً من محبة هذا الملك . بل من ذا
الذي لم يكن يظن به انه اوفك واستمر . فالتفاهم صبر الله تعالى لانه
بعد ان صلبناه باثنا عشر مرة يحتسبنا صابراً ويحسن اليانا منعاً . تأمل ثالثاً

تعبته سجنانه اذ يشر كفا في جميع خيرات الله لان الاب الازلي اعطانا ابنه الحبيب
والابن ممحنا لحمه ودمه وارسل كلاهما الينا الروح القدس الذي يصيرنا
بواسطة نعمته شركاء الطبيعة الالهية . فانظر الاب هل يمكن ان يوجد او
يتصور حب يوازي حب الله لنا الذي يشر كفا في كل ماله . فان كانت
الحبة تكافأ باحبة وتقابل بالحب . فبينة محبة يجب ان تكافأ هذه
الحبة

واذا تأملت بعد ذلك بهاء الله وكماله الغير المتناهي فترى انه تعالى
اهل لان يحب حبا غير متناهي ولما كان اهلا بحبة غير متناهية لزمننا ان
محبة غير متناهية . ومن ثم لو كان فبننا صالحا لان يحب حبا غير
محدود لكان يجب ان يفرغ ككل قوته الغير المحدودة في حب هذا
الموضوع الكامل المحبوب على نوع غير محدود . والحال ان قلبنا محدود
وضيق حدا فكيف اذا نخصص جزءا منه شيئا ما ارضي . ولعمري ان
الجود الالهي يجب له الحب الخليل حتى ككان يجب ان يمل حب
ذاتنا لكي يزداد حسنا لله انهاء . فان كان اذا لا يجب ان يحب ذواتنا
فكيف يجب ان يلتفت الى حب الاشياء الارضية . فبانبها الاله الغير
المتناهي جلال عظمته . ما اكثر ما تضر وتبتهج نفسي بانك جزيل
الصلاح وطاق الهاء . والكمال بل مصدر كل خير وعلو كل كمال وهاء .
فوجب ان تكون محبي لك محردة لامن الخلائق فقط بل من داني ايضا
وذلك لكي اصعد داني فيك ات الذي منه اتمددب كل وجودي

وكما اني كما يستمد الشعاع صدوره من الشمس والماء من اليايع ولهذا اذا
ما اعتمد الانسان على ذاته يسقط ويحبه نفسه يهلكها . اما بمجرد عن
ذاته ويضعه ايها فانه يريحها ويخلصها كما قيل في الانجيل المقدس

ومن ذلك نفع انه يجب على الانسان ان يلاحظ نفسه لا كشي
مختص به بل كشي متعلق ومخلص بكليته نظراً الى الوجود الروحي
والجسدي بالله وحده البحر العظيم الذي هو متحد كل وجود وكما .
ومن ذلك نفع ايضا انه يجب ان يكون روحنا خرواً متوقفاً غير مرتبط
بشي . يستطيع ان يرتقي الى الله بكل قوة نيته وحببه اذ لا يجد شيئاً آخر
يستحق ان يحبه . ويمجد فيه تعالى كل ما وجد من الخير في الخلاق بل
وأفضل من ذلك غير قياس . فاداً ما بلغ الانسان الى هذه الحال فانه
وان خالفت اعماله فتكون نيته وقصده واحداً لا غير ولابد من ان يبلغ
مراده هداً دائماً وهو ان يرضي الله وحده . ولما كان من يلبفون هذا
المبلغ لا يفتكروا الا في ان يتموا مشيئة الله على الارض بالحال الذي
به تتم في السماء غدوا لا يرعون شيئاً آخر سوى ان يخرجوا من هذه
الارض ويحوا السماء لكي يسموا من القائن التي تصدر منهم على
الارض في تكميل ارادة الله . ولهذا حينما يدعوهم الله لا يجدون شيئاً
يصدهم او يعيقهم عن فتح الباب لمن يقرع . فتحتدون نحو ايصالهم الى
الى هذه الحال مجردين محدثنا من كل شيء . رمني لنلصقها بحالنا حينئذ
حباً قوياً شانه ان يحتملنا ان نحتمل الثقل الاحمال وننتصر على اشد

الصعوبات وزدل اشهى الارصيات افضل من ان تفصل عن محبته
 تعالى وبخلاف اوامرته وناسي ايه ماذنى شي . . . فلتصكن اذا محبتنا قوية
 كالنوت ولا تفر منه بل تقضي الى لقائه حتماً محبوب منا ويكون هيبها
 مضطراً جداً حتى لا تسطع جميع مياه التخارب الشديدة ان تطفئه بل
 تزيد اضطراباً

وهذه المحبة القوية من شأها ان تبعثنا على حب الفقر والارتياح
 الى الجوع والعري وافراط الحر وسبرد واحتمال الافتراء
 والاهانة بحلم ودعه والصبر على الامراض والاصطهادات
 والتخارب واسعاف القريب في ضرورته . . . والاشتمار من
 اخلاقه ولا نغمر من تغافله عما وعدم رفاهه وفي حال
 انقيط الروحاني لا يهمل شيئاً من رياضاتنا الاعيادية
 لكي يمكننا ان نحول مع الرسول . . . ما الذي يمكنه
 ان يفصلنا عن حب المسيح (رو ٨ ٣٥) .
 اللهم ازل علينا نعمتك ايقوم بذلك باستحقاقات
 ابنك لك العزة والكرامة والمجد الى
 ابد الابدين آمين

فهرس الكتاب

المقالة الاولى

في السيد ١٠ من رمي ولانجي وهي ثلثة عشر فصلاً

٠١٠	في رمي والاندني	الفصل الاول
١٥	في ان الناس في لاندني خريل بعده لتعلم سيره واصلاحها	الفصل الثاني
٠١٨	في ان دكتور الاندني يور في لاندني اكل مر ذكر الموت	الفصل الثالث
٠٢٥	في عظم شعده حال دكتور اندني	الفصل الرابع
	في دعه لاندني على حسب د في فيها اندني عن موريس اندني	الفصل الخامس
٠٢٣	والقديس ديوبيسيوس الاريواحي	
٠٢٦	في دعه لاندني على ربي د دوس داسوف دسبي ولونسوس	الفصل السادس
٠٢٩	في اراد دعه لاندني على حسب معلم ديس رر دوس	الفصل السابع
٠٤٥	في ان الاندية حذقة النهاية	الفصل الثامن
٠٥٥	في ان الاندية عذبة شعير	الفصل التاسع
٠٦١	في ان الاندية لاشد لولاشه	الفصل العاشر
	الفصل الحادي عشر في ماهه الرسم على رأي أرسطو تانس ويعبره من خلاصة وفي سرعة	
٠٦٥	سير هذه الحدة ورواها	
٠٦٨	الفصل الثاني عشر في ان قصر هذه الحدة يصير كل شيء رمي انه لا يصعد	
٠٧٢	الفصل الثالث عشر في ان رسم هو فرسه لاندني	

المقالة الثانية

في ما ان رمي والاندني من طرق باطران هديه الحياه الزمية والزمن

مطاف وهي تسعة فصول

٠٨٢	في هاية الحياه الزمية	الفصل الاول
٠٩٥	في صعقات هديه الحياه الزمية	الفصل الثاني
	في اندقيع التي بين الزمن ولاندني وفي ان هذه الدقيعه جميعه جذ لانه	الفصل الثالث
١٠٦	في تفتي حيات	
١١٥	في اسب ندي من حله يكون انتهاء الحياه الزمية جميعاً	الفصل الرابع
١٢٩	في ان الله يحكم بصرفه شديدة في هذه الحياه اجباً	الفصل الخامس

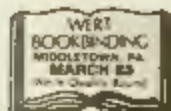
١٣٥	الفصل السادس	في نصب كل من
١٣٦	الفصل السابع	في كيف تم اختيار عاصم وسيد عبد الله من
١٣٧	الفصل الثامن	في السبت الذي من أجله يجب أن يمتنع نعام على نوع من عند هكذا
١٣٨	الفصل التاسع	ثم تصير خدمته بمثابة
١٣٩		في الحروب من

المقالة الثانية

		في - ما يرسمي ولدي من غرق من حيث معبر الأمور برتبة وداهها
		وتحذرها وهي عشرة فصول
١٤٠	الفصل الأول	في من معر الآباء - به محمد أمة بالدرية والاحبار
١٤١	الفصل الثاني	في من بلا عرفة من كانت عذبة خلف رجاء صحتها
١٤٢	الفصل الثالث	في ما يجب على لسان من يروي عواقب ما يمكن أن يكون عليه
١٤٣		من الأهل
١٤٤	الفصل الرابع	في أن معر النساء برتبة وما حد ملاحظها في كم يجب علي
١٤٥		أن يحذرها
١٤٦	الفصل الخامس	في داه لاش برتبة وحلالت من نظام وفي أن الذين يصورها
١٤٧		يعتدون من تحه حذر
١٤٨	الفصل السادس	في كم تكون لاش برتبة برتبة قصيرة
١٤٩	الفصل السابع	في عظم شعاع الداه برتبة
١٥٠	الفصل الثامن	في أن الإنسان في كونه زمت
١٥١	الفصل التاسع	في أن الأشاء برتبة حده حذرها
١٥٢	الفصل العاشر	في أخطار الأشاء البرتبة وحذرها

المقالة الرابعة

		في الفرق بين برسمي ولدي من حيث عظمة الحبرات واشترور
		الادوية وهي اثنا عشر فصلاً
٢٠٨	الفصل الأول	في عظمة دشاء لادية
٢٠٩	الفصل الثاني	في عظمة شرف انديسين وأكرمهم الذي
٢١٠	الفصل الثالث	في عي لاه وملكه الذي
٢١١	الفصل الرابع	في عظمة الأفران يدانية
٢١٢	الفصل الخامس	في شرف أعصاب انديسين وكما في المادة الادوية



Princeton University Library



32101 076415700